

جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-



مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة
قسم خاص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

معارف

في هذا العدد.....

< الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات "مخارج الحروف نموذجاً

< الاستغلال السياسي للنفس المقدس - الصهيونية المسيحية أنموذجاً

< الأمية الوجدانية والعنف

< الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين باضطراب التوحد.

< الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية

< سياسة التشغيل في الجزائر بين الواقع والأفاق

< مساهمة الاتصال في نشر الثقافة التنظيمية داخل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية (دراسة حالة فرع التكرير بمؤسسة سونطراك

< الإدارة الفرنسية ومواقفها من قضايا الدين والمجتمع بعد احتلال الجزائر. دراسة من خلال وثائق أرشيفية -

< محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها -

< القضية الليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائرية" 1947-1956

< القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية مارس 1951 – 01 جانفي 1954 م

< البعد السوسيوولوجي في رواية غثيان الغائب لـ "مصطفى ولد يوسف

الإبداع القانوني
Depot 136 9 _ 2006
ISSN 1112 - 7007
ر.د.ه.ك

العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة)

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة)



Université Akli Mohand Oulhadj
-BOUIRA-

Revue académique éditée par l'Université Akli Mohand Oulhadj -BOUIRA
Partie des Sciences Sociales et Humaines

MÂAREF

Revue académique

ACCOMPAGNER LE CHANGEMENT DANS LES BIBLIOTHÈQUES UNIVERSITAIRES POUR ATTENUER LES RÉSISTANCES, OUMOU DIA L'Année Université de Constantine 2... 287/312

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة

قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية

العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة)

معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة
قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية
العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة)

-الرئيس الشرفي:أ.د. موسى زيرق
المدير مسؤول النشر: د.وهيبة بلعالية
- رئيس هيئة التحرير:
-مصطفى سعادوي
- أعضاء هيئة التحرير

- زوينة حلوان
- سامية فرفار
- ياسين بودريعة
- علجية دوداح
- عفيفة جديدي
- صابر راشدي
- أحمد سليمان

Fax : +21326936968

مكتب

Tele:+21326936968

<http://www.univ-bouira.dz/ar/>

موقع الجامعة على الانترنت

salisada@gmail.com

البريد الإلكتروني لرئيس التحرير

[facebook.com/revue.maaref](https://www.facebook.com/revue.maaref)

صفحة المجلة على الفيس بوك

الإيداع القانوني : Depot 1369 _ 2006

ر.د.م.ك: ISSN 1112 – 7007

جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة

البويرة – الجزائر

الهيئة الاستشارية (الدولية والوطنية)

الهيئة الاستشارية الدولية:

أ.د. محمد ايت المكي (المغرب)	أ.د. احمد بوحسن (المغرب)	أ.د. عبد الله بلحاج (تونس)
أ.د. إبراهيم حمداوي (المغرب)	أ.د. محمد الحيدروسي (الاردن)	أ.د. فريد الماسيوي (فرنسا)
	أ.د. محمد الزحيلي (سوريا)	أ.د. عبد الرحمان عزي (الامارات)
	أ.د. أحمد بن ناعوم (فرنسا)	أ.د. كمال شاشوة (فرنسا)

الهيئة الاستشارية الوطنية:

د.كريم مكيري (البويرة)	ا.د . علي عزوز (الجزائر)	أ.د. موسى زيرق
د.صليحة بوماجن (البويرة)	ا.د. علي براجل (باتنة)	ا.د.عمار بن اخروف (البويرة)
	أ.د محمد بومخلوف (الجزائر)	أ.د. محمود بوسنة (الجزائر)
	أ.د. زوبيدة بلعربي (البليدة)	أ.د. كمال بوزيدي (الجزائر)
	أ.د. ارزقي شويتام (الجزائر)	أ.د. عمر بوساحة (الجزائر)
	د. عبد الباقي بدوي (البويرة)	أ.د. محمد الأمين بلغيث
	د. كمال الدين قاري (البويرة)	(الجزائر)
	د محمد برو (المسيلة)	أ.د. الطيب بلعربي (الجزائر)
	د. عبد النور ارزقي (البويرة)	ا.د.احمد دوقة (الجزائر)

لجنة قراءة العدد

- أ.د عبد القادر بن عزوز (جامعة الجزائر1)
أ.د. كمال شاشوة (اكس أون بروفانس CNRS)
أ.د. محمد بومخلوف (جامعة الجزائر2)
أ.د. علي لونيس (جامعة سطيف 2)
أ.د. عبد القادر مولاي (جامعة الجزائر2)
أ.د. ابراهيم حمداوي (جامعة القنيطرة، المغرب)
د. أحمد فلاق ((جامعة الجزائر3)
د. رضا دغبار (جامعة الجزائر1)
د. يوسف حديد (جامعة جيجل)
د. خليل قاضي (جامعة الجزائر1)
د. عبد النور أرزقي (جامعة البويرة)
د. الطيب جاب الله (جامعة البويرة)
د. عيسى بن قبي (جامعة المسيلة)
د. سعدية سي محمد (جامعة البويرة)
د. فريد بوطابة (جامعة تيزي وزو)
د. نادية بوضياف (جامعة ورقلة)
د. ساجية مخلوف بن تونس (جامعة الجزائر2)
د. رضا قجة (جامعة المسيلة)

قواعد النشر في المجلة:

يشترط في البحوث والمقالات التي تنشر في مجلة معارف ما يأتي:

- 1- أن يكون البحث مبتكراً أو أصيلاً، ويشكل إضافة نوعية في اختصاصه.
 - 2- أن تتوفر فيه الأصالة والعمق وصحة الأسلوب.
 - 3- ألا يكون قد سبق نشره.
 - 4- أن يلتزم بالقيم الإنسانية وبمعايير البحث العلمي وبخاصة ما يلي:
 - أ- الابتعاد عن التجريح والإسفاف في القول، والتعريض بالآخرين.
 - ب- مراعاة البنية المنهجية.
 - ج- ترقيم الهوامش والإحالات تكون إما أسفل النص في نفس الصفحة، أو في آخر المقال، مستقلة عن قائمة المصادر والمراجع.
 - د- وضع قائمة بمصادر البحث ومراجعته.
 - 5- أن تكون مكملات البحث من خرائط أو جداول في صورتها الأصلية.
 - 6- أن يكون البحث المترجم مصحوباً بأصله المترجم عنه.
 - 7- أن يقدم لإدارة المجلة مطبوعاً على الورق ومخزناً في قرص مدمج CD أو في وسيلة من وسائل استقباله في جهاز الحاسوب.
 - 8- أن تقدم سيرة ذاتية للباحث في ورقة مستقلة عن البحث.
 - 9- عدد كلمات البحوث النظرية بين 3000 و5000 كلمة حسب المقاييس الدولية، أي (بين 2010 صفحة بمعدل 300 كلمة /صفحة) والكتابة تكون بخط: **traditionnel arabic** للغة العربية، وبخط: **times new roman-12** بالنسبة للغة الأجنبية.
 - 10- ترفق بالبحث ملخصات باللغات الثلاث (العربية والفرنسية والانجليزية) بما لا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل لغة.
مع ملاحظة أن البحوث والمقالات:
- . تخضع للتقويم العلمي واللغوي ويعلم الباحث بالنتيجة، كما أنها تخزن في أرشيف المجلة، ولا ترجع لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
. وهي تعبر عن آراء كتابها وحدهم ، فهم المسؤولون عن صحة المعلومات وأصالتها، ولا تتحمل الإدارة أي مسؤولية في ذلك.

كلمة التحرير

يطل على الأسرة الجامعية هذا العدد من مجلة "معارف" وهو يزهو في فخر واعتزاز، إذ هي سنة عاشره من الوجود.. امتداد بحث وتواصل تنقيب في مختلف مجالات المعرفة، تفتقت قرائح الباحثين خلالها، لتسهم في صناعة وعي يعدّ تكامل المعارف أساسا في أي مشروع حضاري، وقد أرست بحوث المجلة في مسيرتها تلك، صُوى يُهتدي بها، وتغري من في الطريق بمزيد كشف وتحرّ.. إذ استقر في عرف العقلاء أنه كلما زادت المعرفة، اتسع نطاق الجهل، وأن العلم ثلاثة أشبار، من تعلم الشبر الأول تكبر، ومن تعلم الشبر الثاني تواضع، ومن تعلم الشبر الثالث علم أنه لا يعلم شيئا.

وحين نعمن النظر في العالم حولنا ندرك أن تدفق المعلومات هائل ومريع، وأن اهتمام الأمم بالبحث العلمي كبير جدا، ولا سبيل لرأب الصدع وتدارك الركب، إلا بانتهاج سبيلٍ حداؤها توخي العلمية في صناعة المعرفة في أكمل صورها، وتوطئتها ونشرها.

ولإن أدرك القائمون على التعليم العالي أن الجودة مطلب أساس لتحقيق رسالة الجامعة وتجسيد دورها، فإنها تكون أكد في مجال البحث والتأليف، والذي هو واجب النخبة الأول، إذ يستمر حينها الوجود المعنوي والروحي للباحث، حين يتلاشى وجوده المادي الفيزيائي، ولن تكون العبرة إلا بما خلفه من أصيل بحث وجميل قول وتحقيق واجب.. أجمل بعض متعلقات هذه المعاني المفكر الجزائري مالك بن نبي حين قال: " التاريخ لا يبدأ من مرحلة الحقوق، بل من مرحلة الواجبات المتواضعة في أبسط معنى للكلمة، الواجبات الخاصة بكل يوم ، بكل ساعة، بكل دقيقة ، لا في معناها المعقد ، كما يعقده عن قصد أولئك

الذين يعطلون جهود البناء اليومي بكلمات جوفاء، وشعارات كاذبة يعطلون بها التاريخ، بدعوى أنهم ينتظرون الساعات الخطيرة والمعجزات الكبيرة".

إن هذا العدد من مجلة "معارف" في عامها العاشر أولى عناية لربط الحاضر بالتراث، ومسيرة ما استجد في حقول المعرفة من مناهج ورؤى، واستثمار نتائجها في مجالات من العلوم الاجتماعية والإنسانية متعددة التخصصات ووفق مقاربات متميزة. عالج من خلالها نخبة من الباحثين قضايا في التاريخ والمجتمع والإعلام والنفس والتربية والشريعة.

ولا يفوتنا التنويه بجهود طواقم المجلة منذ انطلاقتها قبل عشر سنوات، وكل الأمل أن تكون في مستقبل الأيام أكثر تألقاً في ساحة البحث العلمي الأصيل محلياً ودولياً..

<u>الصفحة</u>	<u>فهرس المقالات</u>
33 09	1- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات "مخارج الحروف نموذجاً"، أ. محمد قاضي، جامعة الجزائر.
45 34	2- الاستغلال السياسي للنص المقدس - الصهيونية المسيحية أنموذجاً-، د. عبد الحفيظ لعمش، جامعة البويرة.
64 46	3- الأمية الوجدانية والعنف، ا. مختار سليم كتاش ، جامعة البويرة.
88 65	4- الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين باضطراب التوحد. دراسة ميدانية . أ: إحسان براجل، جامعة بسكرة ، أ.د نور الدين جبالي جامعة باتنة
131 89	5- الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية، د: كمال صدقاوي ، جامعة تيارت.
147 132	6- سياسة التشغيل في الجزائر بين الواقع والأفاق، أ. غنية في ، جامعة برج بوعريريج.
185 148	7- مساهمة الاتصال في نشر الثقافة التنظيمية داخل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية (دراسة حالة فرع التكرير بمؤسسة سونطراك)، أ.فضيلة سبع، جامعة البويرة.
204 186	8- الإدارة الفرنسية ومواقفها من قضايا الدين والمجتمع بعد احتلال الجزائر. دراسة من خلال وثائق أرشيفية. د.عائشة حسيني. جامعة البويرة.
222 205	9- محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها، د. حسين محمد الشريف، جامعة المسيلة.
240 223	10- القضية الّليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائريّة" 1947م - 1956م، أ. بن حامد سعديّة، جامعة المسيلة.
259 241	11- القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية مارس 1951 – 01 جانفي 1954 م، د. مصطفى عبيد، جامعة المسيلة.
275 260	12- البعد السوسيوولوجي في رواية غثيان الغائب لـ "مصطفى ولد يوسف"، أ: صليحة لطرش، جامعة البويرة
302 276	13 ACCOMPAGNER LE CHANGEMENT DANS LES BIBLIOTHEQUES UNIVERSITAIRES POUR ATTENUER LES RESISTANCES, Lounis OUAUDIA Université de Constantine 2

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات

" مخارج الحروف نموذجا "

أ. محمد قاضي جامعة الجزائر

الملخص:

وصفية دقيقة لازالت قائمة إلى اليوم في باب مخارج الحروف.

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة لغوية سجلت اهتماما كبيرا لدى الباحثين من علماء التجويد وعلم الأصوات والتي تندرج ضمن أبحاث الدراسات الصوتية وهي مخارج الحروف ، حيث تعتبر من المباحث التي شغلت العلماء في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ، فعلم الأصوات كعلم قائم بذاته لم تتحدّد معالمه إلا في القرن الماضي وعرف تطورا كبيرا بفضل الأجهزة الدقيقة التي افتقر إليها علماء المسلمين في العصور المتقدّمة والتي ساعدت على تحديد مختلف الظواهر الصوتية .

SUMMARY

Vocal studies at the intonation and phonetics scientists

This research seeks to highlight a linguistic phenomenon that witnessed a considerable interest among researchers in intonation and phonetics. This phenomenon falls under the phonetic studies .i.e. how we pronounce sounds and voices.

As we know, phonetics is a science that emerged only last century and has developed widely thanks to the specific devices and equipments, which Muslims lacked centuries ago. These devices helped to identify the various sounds.

In spite of the simple techniques, the scientists of intonation or the readers of the Quran were able to achieve impressive results. They relied on the delicate sense that can identify the sources of sounds and their degrees.

وعلماء اللغة والتجويد وعلى الرغم من تقنياتهم البسيطة استطاعوا تحقيق نتائج باهرة ، حيث اعتمدوا على الحس المرهف في تمييز مصادر الأصوات ودرجاتها . فدراسة المخارج عند علماء التجويد جاءت من منطلق تحسين وتجويد القراءة الثابتة الصحيحة ، وسلامة النطق بالصوت العذب ومقارنته بالنطق النبوي الشريف ، أما دراسة اللسانيين فجاءت من منطلق دراسة الموضوعات اللغوية والصوتية على حدّ سواء . فسبق علماء التجويد على قلة الوسائل المتوقّرة توصلوا إلى نتائج صوتية وأطروحات

Résumé :

Les études phonétiques chez les spécialistes d'intonation et de la phonétique

La présente recherche essaye d'éclaircir un phénomène linguistique qui attire l'attention des chercheurs dans le domaine de la récitation distincte et de la phonétique normative qui font partie des recherches acoustique et spécialement les articulations des lettres.

La phonétique comme science s'est manifesté ce siècle dernier en force, et a connu un développement extraordinaire avec son matériel sophistiqué, ce qui a rendu les chercheurs musulmans de l'époque ,incapable de maitriser ce phénomène . et malgré cela et même avec leur modeste matériel, ils ont pu arriver a des résultats stupéfiants dans l'étude des phonèmes et les organes de la parole et ceci dans le but de réciter correctement le saint Coran et sur les jalons du prophète .En parallèle, les linguistes viennent d'entamer leur études linguistique et phonétique

Studying sounds according to the science of the Quran reading came out from the idea of improving the correct reading of the Quran. In addition, pronouncing sounds with a beautiful voice and approaching it as much possible as to the pronunciation of the Prophet Mohamed –Peace be upon him-. However, the study of linguistics came out from studying the language and the pronunciation themes. As a result Scientists of the Quran reading didn't have a lot of means but, they were able to achieve impressive results and exact studies that still exist nowadays.

مقدمة:

عرف العرب علم الأصوات ولم يصنفوا فيه كما فعلوا في باقي العلوم ، وكان علم التجويد وهو علم أصوات استعمل مصطلحات وجدت في بعض المباحث الصوتية عند علماء النحو واللغة . إذ إن دافع خدمة اللغة العربية عند المسلمين كان نابعا بالأساس من خدمة القرآن الكريم .

وعلم الأصوات كعلم قائم بذاته لم تتحدد معالمه إلا في القرن الماضي ، وعرف تطورا كبيرا بفضل الأجهزة الدقيقة التي افتقر إليها علماء المسلمين في العصور المتقدمة والتي ساعدت على تحديد مختلف الظواهر الصوتية .

وعلماء اللغة والتجويد وعلى الرغم من تقنياتهم البسيطة استطاعوا تحقيق نتائج باهرة ، حيث اعتمدوا . إلى جانب علو كعبهم في مختلف العلوم اللغوية . على الحس المرهف في تمييز مصادر الأصوات ودرجاتها .

كما استعان علماء العرب بعلم التشريح للوصول إلى حقائق علمية بخصوص إحداث الأصوات ، فقد عني ابن سينا في رسالته المشهورة " أسباب حدوث الحروف " (1) بتشريح الحنجرة تشريحا مفصلا ، وحاول الربط بين إنتاج الأصوات وعمل الأعضاء في ذلك .

وتعتبر مخارج الحروف من المباحث التي شغلت العلماء في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ، وكان لعلماء القراءات والتجويد . وهم أكثر العلماء عناية بالدراسات الصوتية . نصيب أوفر في هذا المجال ، وتعاملوا معها في أغلب الأحيان كتعامل علماء النحو واللغة ، وذلك راجع بالأساس إلى أن معظم القراء علماء مبرزون في اللغة .

غير أن اهتمام علماء اللغة وعلماء التجويد بمخارج الحروف لم يكن نابعا من منطلق معرفي أكاديمي محض بل تعدى ذلك إلى بعد عقدي متعلق بالشريعة الإسلامية ، فتجويد القرآن وتلاوته دون لحن من الواجبات والضرورات التعبديّة ، فالفقهاء وخصوصا في العبادات ، حرّموا اللحن الجلي في الصلاة ، واللحن الجلي هو تغيير

الإعراب كرفع المنصوب أو نصب المرفوع وخفض المنصوب أو المرفوع أو ما شابه ذلك (2).

فمن أهم الدوافع إلى البحث في مخارج الحروف هي الكشف العلمي المنصف عن سبق علماء التجويد في هذا الباب ، وكذا الوقوف على هذه الآثار في الدراسات الصوتية الحديثة من خلال أبحاث اللسانيين العرب . وعلى رأسهم الدكتور أنيس الذي أغنى المكتبة العربية بأبحاثه اللغوية والصوتية ، والتي جاءت لتسدّ ثغرة في البناء اللساني والصوتي للغة العربية في القرن العشرين .

* الدراسات الصوتية بين علماء التجويد واللسانيين (النظرية والتطور) :

أفادت الدراسات الصوتية فائدة عظيمة من القراءات القرآنية وتنوعها واختلافها، حيث تضاعفت الملاحظات والإشارات إلى سمات الأصوات وإلى قوانين ائتلافها وطرق تحققها ، وكان لعلماء القراءات والتجويد اطلاع بفحص الأصوات العربية وما تتسم به من السمات والخصائص حسب ما كان يتوفر لديهم من الجهاز المعرفي في التحليل والمقابلة والمقارنة ، ولقد كانت من تبعات انتشار مكانتها ضمن المستويات التي تتناول الظاهرة اللغوية (3) فتزايد الاهتمام بالصوتيات هو ما يشهده هذا العصر من تطوّر على مستوى التفكير والمنهج خصوصا مع ارتفاع قيمة المعلومات وضرورة التواصل السريع ، ولا يتأتّى ذلك إلا بإدراك الخصائص النطقية الفيزيائية للأصوات في الكلام ، وهو ما يتضح أساسا في مخارج الحروف كونها أول ما يدرس في هذا الإطار ، ومن هذا المنطلق أصبحت الدراسات الصوتية ذات أهمية بالغة ، وحظيت في جامعات الغرب بمكانة متميّزة عكس جامعاتنا العربية التي اكتفت في الغالب بدروس نظرية ، تقف عند شرح النصوص التراثية بعيدا عن إخضاع الدراسة الصوتية إلى الملاحظة والتجريب ، أو دراستها دراسة علمية تقوم على المباشرة العلمية والفحص المعنوي حتى يمكن تجاوز المعرفة الحدسية والمعرفة القائمة على ترديد أقوال العلماء القدماء لا غير (4).

أ. تطوّر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد واللسانيين :

يتبين للباحث أنه من خلال دراسة مستويات الدرس الصوتي يلاحظ أنه تدوّج من التلقائية والعفوية إلى الإرادة والتنظيم ، حيث غلب على هذا الدرس المشافهة والعرض على الشيوخ ، فقد كانت تعقد حلقات في أمّهات المساجد للشيوخ القراء

ويتجمع الطلبة حول القارئ ، وكثيرا ما كان الحفظ وراء ضبط القراءة وكان دور الشيخ يتمثل في الإنصات للطالب وتصحيح أخطائه على مستوى الحفظ أو على مستوى المخارج وصفات الحروف بالخصوص وغيرها من أحكام التجويد ، وقد تطورت طرق ضبط القراءات خصوصا بعد ظهور المؤلفات النظرية وبصفة أخص المتون (5).

فتطوّر الدرس الصوتي عند القراء لم يكن بمنأى عن اهتمامات علماء اللغة السابقين ، ولقد أجمع معظم الباحثين والدّارسين على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان له السبق في نشأة الدرس الصوتي ، وقد جاء ذلك ضمن الجوّ الحضاري الثقافي الناهض في عصره ، ولم تكن طفرة في عصره أو مختلف .

هذا السبق ترجمه القراء واللغويون في مجال الدراسات الصوتية باهتمامهم إلى مبدأ اللغة الصوتي القائم على المشافهة ، والتي كانت السبيل المثالي لتلقي القرآن من أهل الأداء ، أو تلقي اللغة من أهلها قبل أن يتوسّع التدوين وتتطوّر الكتابة وتحظى بمكانة لائقة (6).

ويرجع اهتمام القراء وعلماء اللغة إلى المبدأ الصوتي إلى كون اللغات تتصف بكونها كلاما منطوقا يتداول مشافهة ، ولذلك وجب الاهتمام بالأصوات المنطوقة قبل الحروف المكتوبة ، ونجد أنّ أول أمر في القرآن هو قوله تعالى : **چ چ چ چ چ چ چ** (7) فهو كتاب مقروء قبل أن يكون مكتوباً ، ولذلك كان نقل الآيات القرآنية نطقا ومشافهة قبل جمعه في المصحف الشريف .

توالى المحاولات الصوتية في القرن الثاني الهجري متخذة شكلاً أكثر تطورا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ، حيث وضع على المستوى الصوتي الفتحة والكسرة والضمة والسكون ، وعلامة التضعيف وهمزة الوصل وهمزة القطع ، مدركاً خاصيتها من قطع النفس ، كما صنف الأصوات إلى مجموعات بحسب المخارج ، وأبان عن سبق لمعرفة مواضع النطق وأعضائه ونشاط هذه الأعضاء عند تكوين الصوت وإخراجه ، وحالة مجرى الهواء من الانغلاق الكلي والانفتاح عند نطق الأصوات (8).

والواضح أن الدرس الصوتي عند علماء اللغة العربية والمشتغلين بالأصوات العربية في العصور المتقدمة، اقتصر بالأساس على تدوين ما لاحظوه وتوصلوا إليه في كتب عامة شملت جوانب صوتية ، أو كتب خاصة حاولت وضع الظاهرة الصوتية في

أبعادها النطقية عبر المخارج في إطار نظري تقريبي ، ولم يأخذ ذلك شكلا تلقينيا كما عند علماء التجويد (9).

ب . خصائص الدرس الصوتي عند علماء التجويد واللسانيين :

يدخل الدرس الصوتي في العلوم اللسانية ، لأن الهدف من اللسانيات . كما هو معلوم . هو دراسة اللغة من جهة أنها نظام معقد من العلامات يحقق وظيفة أساسية هي التواصل، فكان لا بد من تفكيك مكونات هذا النظام حتى يسهل استيعاب أبعاده المختلفة وعناصره وفروعه وطرق استعماله وعمله ، ولذلك تمّ تقسيم الدراسة اللسانية إلى أربع مستويات أساسية وهي المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي ، المستوى التركيبي والمستوى الدلالي ، إلا أنّ المستوى الذي يهتّم هنا بالأساس هو المستوى الصوتي ، وبالخصوص دراسة مخارج الحروف التي تدخل في هذا المستوى ، حيث تهتم هذه الدراسة بإنتاج الأصوات وإصدارها وآليات النطق عموما ، كما أن المجال الإدراكي والذي تعالج فيه قضايا التلقي والإدراك بحاسة السمع له دور مهمّ في دراسة مخارج الحروف ، كما هي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي كتقنية ذواقة للحروف ، وعند القراء المجوّدين في سماعهم لقراءة الطلبة وتصحيح وتصويب المخارج (10).

إنّ خصائص الدرس الصوتي قد اتّحدت عند علماء التجويد واللسانيين من حيث نوعيتها ومضمونها ، فاللغة العربية وحروفها شكلت الإطار العام للدرس الصوتي عند العرب من قراء ولغوّيين ، ويمكن اعتبار مخارج الحروف إحدى التجليات التطبيقية لهذا الدرس الذي ميّز الدراسات الصوتية عند العرب ، وأبان عن سبقها وتفردا عن سبقها من الأمم العريقة في العلوم اللغوية خاصة الهند والإغريقين ، لأن الاهتمام بالصوت العربي كان نابعاً من القريحة العربية ولم يكن العرب فيه عالة على أحد ولا مقلدين لغيرهم .

والمبدأ أو المنهج الذي أكسب الدراسات الصوتية عند العرب هذا التفوق والتميّز بالنسبة إلى عمل غيرهم من قبلهم ، هو جوهر الدرس الصوتي الذي يعتمد منهج الملاحظة الذاتية المباشرة في معالجة الأصوات ووصفها ومحاولة نطقها نطقا فعليا واقعيّا (11).

وقد شارك اللغويون القراء في هذا المنهج ، ولا يستطيع الباحث فصل جهود بعضهم عن البعض الآخر، لأن معظم اللغويين العرب خصوصا القدامى منهم اشتهروا بالقراءة (*) ، فقد كان أبو الأسود الدؤلي قارئاً ولغوياً ، وكان الكسائي من القراء السبعة المشهورين بالإضافة إلى كونه لغوياً .

وعلماء التجويد في قراءاتهم يدرسون أحكام الأصوات كأحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم واللام والراء ، ومخارج الحروف أو الأصوات ، وصفات الحروف والأصوات وتقسيم هذه الصفات ، كما كانوا يدرسون التفخيم والترقيق ، والمد والقصر ، والوقف والابتداء والقطع والوصل ممّا يدخل في مجال الدراسات الصوتية .

لكن ما يميّز علماء التجويد عن اللسانيين هو جوهر الدرس الصوتي والذي يتمحور أساسا حول الكلمات القرآنية ومكوّناتها الصوتية دون غيرها من الحروف ، فالدرس الصوتي عند علماء التجويد

في بعده النوعي والمضموني اعتمد النص القرآني كمنطلق لأي دراسة صوتية ومنه . أي النص القرآني . انطلق به علماء التجويد إلى التأصيل لأحكام القراءات القرآنية عبر التلقين الشفهي والتحصيل السماعي (12).

أمّا المضمون الصوتي عند اللسانيين المحدثين . وخاصة عند الصوتيين العرب . فلم يقتصر على الكلمات القرآنية ، بل شملت إلى جانب ذلك جميع المظاهر الصوتية للحروف الأبجدية للغة العربية ، ومحاولة مقابلتها بمثيلاتها في اللغات الأجنبية خصوصا الإنجليزية والفرنسية .

وقد تبوّى معظم اللسانيين العرب منهج دراسة مخارج الحروف في اللغات الأجنبية كمنطلق لشرح إشكالية هذه المخارج في اللغة العربية ، وتكوّنت في العالم العربي مدارس مختلفة باختلاف تشبّع أصحابها بإحدى المدارس اللسانية في العالم العربي ، كما تنبّه بعض العلماء والباحثين للتراث الإسلامي في مجال القراءات وحاول التوفيق بين ما وصل إليه علماء التجويد في العصور المتقدمة ، وما سطره علماء الغرب في دراساتهم لمخارج الحروف وتشكل الأصوات عامة من ملاحظات وقواعد في عصرنا الحالي (13).

ويلاحظ أن اهتمامات اللسانيين لم تركز على الدقة والتدقيق في المخرج وتصحيحه وتصوبه كما فعل القراء ، بل ركزت بالأساس على وصف المظاهر النطقية والفيزيائية السماعية والإدراكية ، وبيان مكونات الصوت وسماته المختلفة وإلى تصنيفها والتنبيه على اتفاقها واختلافها في الإنجاز ، والسبب في ذلك هو عدم قدسية الحروف في اللغات الأجنبية المدروسة بعكس الحرف القرآني الذي يثاب على تلاوته وتجويده وإخراجه من مخرجه المحقق (14).

* البحث والتأليف في مخارج الحروف عند علماء التجويد واللسانيين :

1. إذا حاولنا رصد ما قام به العرب من ملاحظات صوتية ، وتدوين ذلك في كتابات متفرقة نجد أن البداية كانت في القرن الثاني الهجري ، حيث إن الجوّ الحضاري الناهض في ذلك العصر ساعد على ظهور اجتهادات صوتية متقدمة وإن افتقرت إلى إطار معرفي مضبوط ، ومع تقدم الزمن زاد توظيف معطيات علم الأصوات في علوم العربية من جهة ، وفي القراءات القرآنية من جهة أخرى ، وظهر "علم التجويد" وقد نشأ هذا العلم الوليد من الحاجة إلى تفسير علمي للوجوه الصوتية التي تضمنتها القراءات القرآنية .

وحمل أصحاب هذا العلم على عاتقهم مهمة المتابعة الجادة لما توصل إليه أهل اللغة في هذا الصدد ، فجددت مسائل وعدلت أخرى مع بقاء الأسس التي أرسيت من قبل ، ويرجع الفضل لعلماء القراءات القرآنية في إضافة معالم صوتية جديدة ، انضمت إلى الرصيد المأثور عن علماء اللغة المبرزين كالخليل وسيبويه ، وضمت المؤلفات في اللغة القرآنية لطائف وإشارات قيمة في الصوتيات من حيث طبيعة الأصوات وصفاتها وأنواعها ومخارجها ، وتأثر الأصوات بعضها ببعض ، وغير ذلك من الظواهر الصوتية غير المسبوقة (15).

والتأليف في مخارج الحروف جاء ضمن التدوين للقراءات القرآنية إماما تفسيرا لاختيارات قرآنية، أو تخصيصا لفصل أو باب للتصعيد والتعميم على مختلف الإشكالات الصوتية الخاصة بقراءة معينة.

فالتأليف في علم التجويد ودراسة كتبه يفيد أصحاب الأداء كما يفيد الباحثين في دراسة علم الأصوات.

لقد غلب النظم على أكثر المؤلفات في علم التجويد، ونورد فيما يلي أهمّ الكتابات في الموضوع ابتداء من القرن الرابع الهجري، ونلاحظ أن تأخير التّأليف والتّأصيل لعلم التّجويد عن التّأليف في القراءات ناتج بالأساس عن عاملين، عامل ذاتي تمثّل بالأساس في سلامة اللسان العربي في القرون الأولى وقرّبها من الأداء النّبوي الشريف، وعامل موضوعي وهو الحاجة إلى تصويب المخارج والتّطق الصحيح لدى الأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجا، وكان لابدّ من تزويدهم بإطار نظري يقرّهم من الطّواهر الصوتية القرآنية الصحيحة الخالية من كل لحن خفي أو جلي (16).

ويمكن اعتبار القصيدة الخاقانية المعروفة بالرّائية أهم سبق في التّأليف لهذا العلم بل اعتبرها ابن الجزري في كتاب النشر أول ما ألف في علم التّجويد، وتسميتها بالخاقانية جاء نسبة لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (*).

وقد شرحها الحافظ أبو عمرو الداني رحمه الله، ولا زالت المخطوطة بمكتبته الأزهر تحت رقم 274 قراءات- إلى اليوم (17).

وتوالى الكتابات في التجويد في القرون الموالية من كبار القراء وأشهرها "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة" لمكي بن أبي طالب القيسي (355 - 473 هـ)، ثمّ كتاب "التّحديق في الإتيان والتّسديد في صنعة التّجويد" لأبي عمرو الداني، وكتاب "تجويد القراءة ومخارج الحروف" لأبي إسحاق الإشبيلي.

كما يعتبر القرن التاسع قرن ابن الجزري (ت 833هـ) في القراءات عامة وعلم التّجويد على الخصوص بدون منازع.

هذه عينة ممّا ألف في التّجويد وعلاقته الوطيدة بموضوع مخارج الحروف، فأوردنا هذه الأمثلة من البحوث والمؤلفات التي أشارت إلى مخارج الحروف ضمن مواضيعها، أو خصّصت لها الحيّز الأكبر في دراساتها الصوتية عند القراء المبرزين، وأوردناها لنبين هذا الكمّ الهائل من الكتب القرائية في مقابل البحوث اللغوية القديمة والمعاصرة لها والتي لم تنل فيها مخارج الحروف إلّا ذلك الحيّز الإجباري الذي دفع باللغويين القدامى لإتمام دراساتهم اللغوية دون صبّ الاهتمام الأكبر للتفصيل فيها كما عند هؤلاء.

2- مخارج الحروف في الأبحاث الصوتية عند اللسانيين:

جاءت الأبحاث اللغوية الحديثة في دراسة الأصوات ضمن اتجاهين، اتجاه عام شامل تطرق إلى علم الأصوات وإلى المخارج، داخل مجال فقه اللغة أو علم اللغة، وخصّص بذلك فصولا وأبوابا لهذا المكون اللساني الهام.

واتجاه خاص مستقل جعل دراسة الأصوات اللغوية هدفا في حدّ ذاته خارج الدّراسات اللغوية العامة.

فالاتجاه الأول يطرح إشكالا إيتيمولوجيا في الوقوف على الفروق بين علم اللغة وفقه اللغة. ومن العسير تحديد هذه الفروق لأنّ مباحثهما متداخلة.

ونرى أنّ التّسميتين تطلقان على نفس البحوث اللغوية إمّا تخصيصا أو تعميما بحسب الدراسة اللغوية المستهدفة، وإن غلب في القرون الأخيرة مصطلح فقه اللغة (18).

وأهم ما يشير إلى مخارج الحروف في فقه اللغة، هو دراسة خصائص الأصوات وبحث لهجات اللغة واختلاف أصواتها ومعرفة أنواع التطوّر الصوتي فيها، من حيث الظواهر الصوتية المختلفة.

وقد تطور التأليف والبحث في فقه اللغة، ومزّ بأدوار سجلت لنشأة هذا العلم وتطوره. ونورد بإيجاز أهم المؤلفات الحديثة في فقه اللغة ونشر أهم من أسهم في إثراء هذا العلم بأبحاثه.

يرجع التأليف في فقه اللغة بهذا العنوان إلى الثعالبي (*) في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) في القرن الخامس الهجري.

أمّا في العصر الحديث فالمؤلفات في فقه اللغة وعلم اللغة تصدّى لها بامتياز ثلاثة كتّاب هم: الدكتور علي عبد الواحد وافي، الدكتور تمام حسان والدكتور إبراهيم أنيس، وهذا لا يعني أنّ الكتابة في فقه أو علم اللغة اقتصر على هؤلاء الثلاثة، وإنما هي إشارة إلى المبرزين منهم.

فألف الدكتور علي عبد الواحد وافي كتابيه المشهورين في اللغة (علم اللغة وفقه اللغة) والذين صاروا من أهم المراجع المعتمدة لمن جاء بعده من اللغويين واللسانيين العرب وحتى المحدثين منهم، وتطرّق فيهما إلى ما له علاقة بمخارج الحروف في علم الأصوات .

أمّا الدكتور حسان تمام، فقد امتازت كتاباته بتحري الدقة في اختيار المواضيع واعتماد الموضوعية في تناولها، وتبني روح البحث العلمي، كما نجد ذلك واضحاً في كتابه القيم الجامع "اللغة بين المعيارية والموضوعية" وغيرها.

ومن بين الأبحاث اللغوية العربية التي تناولت مخارج الحروف في كتاباتها العامة عن اللغة وفروعها المختلفة نجد :

فقه اللغة : للأستاذ محمد المبارك والذي صدر في سنة 1958 وقبله بزمن كتاب جرجي زيدان "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" .

وتوالت الكتابات في فقه اللغة بعد ذلك وجاءت معظمها مجمعة لما مضى ومستعينة ببعض الإسهامات الغربية في الباب.

ويبقى الدكتور إبراهيم أنيس أبرز المؤلفين في فقه اللغة في القرن العشرين ، والذي شكّلت كتاباته دفعة قوية في الأبحاث اللغوية والصوتية العربية في السنوات الأخيرة (19)، ومن أهم مؤلفاته : " أسرار اللغة " ، " في اللهجات العربية " ... وغيرها.

* الجهاز الصوتي عند علماء التجويد واللسانيين :

إن الحديث عن الجهاز الصوتي كمفهوم مستقل لم يظهر إلا في القرنين الأخيرين باعتباره لم يكن مصطلحاً متداولاً في القرون المتقدمة ، ولكن من الممكن قبوله كمفهوم بين علماء التجويد وبين اللسانيين خصوصاً إذا تعلق الأمر بمخارج الحروف ، فالجهاز الصوتي هو بالمختصر المفيد تلك الآلة التي بواسطتها تخرج الأصوات ، وتمثله صحيحاً وهي أشبه بآلة موسيقية ، إن لم نقل جوقة موسيقية ، وقد شبهها قديماً ابن جني بذلك حيث قال : (شبه بعضهم الحلق والضم بالنأي) (*) ، ويقصد بالحلق والضم في الغالب محمل الجهاز الصوتي ، ولأنهما كانا يمثلان ما كان شائعاً في ذلك العصر.

فالقراء لم يتطرقوا إلى الجهاز الصوتي كجهاز وظيفي متكامل وإنما ركزوا على آثاره في المخارج .

ويتكوّن الجهاز الصوتي من مجموعة من الأعضاء ، وهي أعضاء النطق إلا أنّ وظائفها النطقية أقلّ من وظائفها الأساسية ، وقد فضّل عدد من العلماء ومن بينهم الدكتور إبراهيم أنيس مصطلح " أعضاء النطق " على " الجهاز الصوتي " أو " جهاز النطق " ، والجهاز يجعل من هذه الأعضاء وحدة متكاملة ومتناسقة وتشكل آلة . ولا غرابة إذا وجدنا علماء التجويد سبقوا اللسانيين والصوتيين المحدثين باستعمال مصطلح " آلة النطق " ، وبرهنوا بذلك على معرفة دقيقة بالمصطلح وفهم شامل لعملية التصويت .

وجهاز النطق ليس جهازاً للنطق فحسب ، بل له وظيفة أو وظائف أساسية أكثر أهمية وهما وظيفة التنفس ووظيفة الهضم الأولية ، وتسميته بجهاز النطق تطلق عليه مجازاً من باب التقريب الوظيفي لأعضائه ، والوظيفة الأساسية أو الثانوية لأعضاء النطق أو التنفس أو الهضم أمر نسبي بحسب استعمال هذه الأعضاء ، فعند التنفس تكون هذه الأعضاء ذات وظيفة أساسية وهي التنفس ، وعند الأكل تكون ذات وظيفة أساسية وهي الهضم ، وتكون وظيفة النطق والتصويت ثانوية ، ولذلك يصعب التكلم مع الأكل والبلع ويستحبّ تجنّبهُ ، وتصبح وظيفة هذه الأعضاء عند النطق وظيفة أساسية وليست ثانوية ، فالهدف من استعمال هذه الأعضاء يحدّد طبيعة الوظيفة الأساسية لكل واحد منهما (20).

ويقابل أعضاء النطق أو الجهاز الصوتي أو جهاز التصويت عند علماء التجويد مخارج الحروف ، وكأنّ المخرج يشكل عضواً من أعضاء النطق الرئيسية التي يتشكّل عندها مخرج الحرف المعين ، ويلاحظ أنّ المخارج عند علماء التجويد ركزت بالأساس على تصنيف الحروف القرآنية من حيث مخارجها دون النظر في الأبعاد الفسيولوجية للتصويت ، اللهم إذا استثنينا إشارة القراء إلى كيفية معرفة المخرج بحسب الصوت عند تسكينه وتشديده ، وذلك راجع إلى حدّ كبير للتقليد الذي كان سائداً بين العلماء ومنهم القراء في ذلك العصر ، حيث تناولوا الأصوات من الناحية النطقية . أي المخرج والصفة . ولم يختلف عنهم إلا ابن سينا الذي تناول الأصوات اللغوية في رسالته " أسباب حدوث

الحروف " بطريقة أكثر علمية عن سابقه ، حيث أفاد من دراساته الطبية و الطبيعية عندما درس الأصوات اللغوية ، وقدم وصفا تشريحيًا فسيولوجيًا لبعض أعضاء النطق قبل أن يعرض لمخارج الأصوات وصفاتها ، وكتب كل ذلك بإيجاز ودقة علميين لم يعهدهما زمانه ولا زمان لاحقيه ، وتميزت لغته بأسلوب علمي منطقي يعبر عن اتساع معرفته وعمق فكره (21).

* مخارج الحروف وعددها عند علماء التجويد واللسانيين :

أ. عدد مخارج الحروف عند علماء التجويد :

لم يأت معظم القراء بتحديد جديد لعدد مخارج الحروف ، وإنما ردّدوا ما ذهب إليه القدماء من اللغويين في هذا الباب .

كما فرّقوا بين المخارج والصفات ، ممّا جعلهم يبتعدون عن تقسيمات اللسانيين والصوتيين المحدثين ، ونالت المتون حظًا وافرا في تأطيرها لمخارج الحروف وضبطها وتفصيلها ، واعتمد معظم المؤلفين بعد ابن الجزري متن الجزرية في الاستدلال والشرح وتفسير اختلاف هذه المخارج .

تتوزّع حروف العربية وفق المختار منها وهو ما اختاره القراء على مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي في عدد مخارج الحروف ، حيث اعتبروها سبعة عشر مخرجا ، وعلى رأسهم شيخ المحققين ابن الجزري ، حيث قال في الباب الثامن في مخارج الحروف " والكلام على كلّ حرف بانفراده : فصل مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجا ، وعند سيبويه وأصحابه ستة عشر لإسقاطه الجوفية وعند الفراء وتابعيه أربعة عشر لجعلهم مخرج الذلقية واحدا (22) " .

ثمّ هذه المخارج السبعة عشر لها خمسة مواضع أو ما يسمّى في كتب التجويد بالمخارج العامة ، والمخارج السبعة عشر تسمّى بالمخارج الخاصّة ، وهذه المواضع هي : الجوف ، والحلق ، واللسان ، والشفتان ، والخيشوم .

والقاعدة التي يعرف بها مخرج الحرف ، هي أن تسكّن الحرف الذي تريد أن تعرف مخرجه ، أو تشدّده ، وتُدخّل عليه همزة وصل ثمّ تصغي إليه ، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه .

أمّا المخرج الأوّل : هو الجوفُ ، ويخرج منه ثلاثة حروف هي : الألف ، والواو ، والياء الساكنات ، كلّ مسبوق بحركة مجانسة ، الألف المسبوق بفتح ولا يكون إلا كذلك ، والواو المسبوق بضمّ ، والياء المسبوق بكسر .

والمخرج الثاني : هو أقصى الحلق ، (ويعني أبعده) ويخرج منه حرفان هما : (الهمزة والهاء) .

والمخرج الثالث : هو وسط الحلق ، ويخرج منه حرفان هما : (العين والحاء) .

المخرج الرابع : هو أدنى الحلق ، (أقرب جزء للحلق من الشفتين) ويخرج منه حرفان هما (الغين والحاء المعجمتان) .

المخرج الخامس : هو ما بين أقصى اللسان (يعني أقصاه) ممّا يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه " القاف " .

المخرج السادس : هو من أقصى اللسان ، من أسفل مخرج القاف قليلا وما يليه من الحنك الأعلى ويخرج منه حرف " الكاف " .

المخرج السابع : هو من وسط اللسان ، ممّا بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، ويخرج منه ثلاثة أحرف وهي: الجيمُ ، والشينُ ، والياءُ .

المخرج الثامن : من أوّل حافة اللسان ، وما يليه من الأضراس العليا من الجانب الأيسر وقيل الأيمن لجواز ذلك ، ويخرج منه حرف " الضاد " .

المخرج التاسع : ويبدأ من حافة اللسان أدناه إلى منتهى طرفه ، وما بينهما وبين ما يليه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه حرف " اللام " .

المخرج العاشر: وحدّه طرف اللسان ، أسفل اللّام قليلا ، ويخرج منه حرف التّون .

المخرج الحادي عشر: هو من مخرج " التّون " إلاّ أنّه أقرب " أي أدخل " إلى ظهر اللسان ويخرج منه الراء .

المخرج الثاني عشر: ويبدأ من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، مُصْعِدا إلى جهة الحنك الأعلى ، ويخرج منه : الطّاءُ ، والدّالُ ، والتّاءُ .

المخرج الثالث عشر: هو من بين طرف اللسان فوق الثنايا العليا والسفلى ، ويخرج منه: الصَّادُ والزَّايُّ والسَّيْنُ ، وتسمّى حروف الصَّفِير .

المخرج الرابع عشر: هو من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه : الظَّاءُ والذَّالُ والثَّاءُ .

المخرج الخامس عشر: فهو من باطن الشَّفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه حرف الفاء .

المخرج السَّادس عشر: هو ما بين الشَّفتين ، ويخرج منه : الواو والباء والميم ، إلَّا أنَّ الواو بانفتاحها قليلا ، والباء والميم بانطباقهما .

المخرج السَّابع عشر: هو الخيشوم ، وهو تجويف الأنف الداخلي بالتَّحديد في أقصاه ، ويخرج منه صفة تلزم أحرف الغنة وهما النَّون والميم ، بحيث النَّون الساكنة والتنوين حال إدغامها بغنة وإخفاءهما ، والميم والنَّون المشدَّدتان (23) .

ب . عدد مخارج الحروف عند اللسانيين :

لا ينكر أحد ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة ، والتي جاءت بالفائدة من خلال الأبحاث في موضوع مخارج الحروف ، فالكلّ يقرّ بما توصل إليه علماء الأصوات في دقّتهم من خلال دراسة موضوع مخارج الحروف بالأجهزة المتطوّرة ، ولم يكن هذا متيسّرا للعلماء المتقدّمين لدى دراستهم لمخارج الحروف، وكيفية تحديد مواضعها عند أعضاء النطق ، وما يعترها من التغيير .

وتتحدّد عدد مخارج الحروف عند اللسانيين بحسب تقسيم الأصوات بصفة عامّة ويمكن حصر ذلك في أربعة معايير:

المعيار الأوّل: تقسيم الأصوات بحسب وضع الأوتار الصوتية :

جعل الأصوات قسمين وصنف المخارج في قالبين :

* الأصوات المجهورة : وهي الأصوات التي تنتج بفعل تذبذب الأوتار الصوتية ، نتيجة اقترابها من بعضها ، وهذه الأصوات في العربية الفصحى هي : الباء والجيم والذال والذال والراء والزاي والضاد والظاء والعين والغين واللام والميم والنون والواو والياء .

* الأصوات المهموسة : وهي الأصوات التي لا تتذبذب في أثناء النطق بها الأوتار الصوتية ، وهذه الأصوات في العربية هي : التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والفاء والقاف والكاف والهاء والهمزة . وثمة حالة ثالثة ينطبق فيها الوتران الصوتيان انطباقا ، ولا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدّة هذا الانطباق ، ومن ثمّ ينقطع النّفس ، ثمّ ينفجر الوتران الصوتيان ، فيندفع الهواء في حالة انفجار بعد أن كان محبوساً ويخرج في هذه الأثناء صوت همزة القطع (24) .

* المعيار الثاني : تقسيم الأصوات بحسب مرور الهواء عند مواضع النطق :

ويحدّد حالة الهواء موضع النطق المعين ، وإذا ما كان ثمة عائق أو مانع يمنع مرور الهواء منعا تامّا أو منعا جزئيّا ، أو أن يحدث الهواء انحرافا أو تغيرا فيخرج الهواء من جانبي الفم أو من الأنف ، وينتج عن هذه الحالة لمرور الهواء في مواضع النطق المختلفة سبعة أصوات :

1 . الأصوات الشديدة (الانفجارية) : حيث يتوقف الهواء فيها توقفا تامّا عند موضع النطق ثمّ يزول العائق فجأة ، فيخرج الصوت منفجرا ، وتشمل سبعة أصوات : الباء والتاء والذال والضاد والطاء والكاف والهمزة .

2 . الأصوات الاحتكاكية : وهي الأصوات التي يضيق فيها مجرى الهواء ضيقا يسمح باحتكاك الهواء عند مروره بموضع النطق ويتعلق الأمر بالأصوات التالية : الفاء والثاء والذال والطاء والزاي والسين والصاد والشين والفاء والغين والحاء والعين والهاء .

3 . الأصوات المركّبة (الانفجارية الاحتكاكية) وهي التي تجمع بين الانفجار والاحتكاك حيث لا يزول العائق بين النطق زوالا سريعا ، أي لا ينفصلان بسرعة ، وفي الانفصال مرحلة من الانسداد المطلق والانفتاح المطلق ، وفي هذه المرحلة يسمح للهواء أن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء احتكاكا شبيها بما يصاحب الأصوات الاحتكاكية . بمعنى أنه يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا ، وهذا الصوت المركب المزدوج كما يطلق عليه بعضهم الصوت المزجي في اللغة العربية هو صوت الجيم الفصيح .

4 . الأصوات المكررة : وهي الأصوات التي يضيق فيها موضع النطق ضيقا غير ثابت أو مستقر ، بل يتردّد ويتكرّر ، ومن ثمّ يطلق عليها الأصوات المكررة أو الترددية ويمثل هذا النوع من الأصوات في اللغة العربية صوت الراء .

5 . الأصوات الجانبية : وهي الأصوات التي ينحرف فيها مجرى الهواء لأن المجرى يتجنب المرور بمنطقة الإغلاق والتضييق وينحرف إلى جانبي الفم ، فيخرج الهواء جانبيًا ، ويمثل هذه الأصوات في اللغة العربية صوت اللام .

6 . الأصوات المانعة المتوسطة : وهي تلك الأصوات التي ليست أصواتا انفجارية ولا احتكاكية وهي تضم إلى جانب صوت اللام والراء السابقين صوتي الميم والنون ، اللذين يغيّر الهواء مجراهما في أثناء النطق بهما من الفم إلى الأنف ، ويطلق عليهما الأصوات الأنفية (25) .

7 . أشباه الحركات : ويطلق عليها بعض العلماء مصطلح أنصاف الحركات ، وهي الأصوات التي يحدث أثناء النطق بها ضيق في مجرى الهواء ضيقا يسيرا يسمح بمرور الهواء ، دون احتكاك ملحوظ ، وتمثل هذه الأصوات في اللغة العربية صوتي الواو والياء ، وقد يضم الواو والياء إلى مجموعة الأصوات المائعة (26).

ويبدو أن هذا التقسيم وصف الحروف ولحدوثها أكثر منه تحديدا لمخارجها .

* المعيار الثالث : السمات الناجمة عن المخارج :

تقسم السمات النطقية إلى سمات أساسية تتوفر في إنجاز صوت من الأصوات وتسهم في تحديد خصائصه الرئيسية وهي تتصل بالمجرى الصوتي و بالنواتق وتحركاتها ومواضع اتصالها وتقاربها، وإلى سمات فرعية و ثانوية للنواتق، وتتحدد سمات النطق الرئيسي بالمخارج، والمخرج هو النقطة التي يقوم فيها حاجز من جهاز النطق، ولأن تحديد هذه النقطة قد يكون عسيرا، فإن الصوتيين يتحدثون عن "حيز النطق" فالمخرج مساحة مقدرة لصوت معين، ثم إن المخارج من العناصر التي تخضع للتغيير والتحول بحسب الأصوات المجاورة، وتنقسم المخارج حسب هذا المعيار إلى مخارج رئيسية وأخرى ثانوية (27).

ونتحدث الآن عن مناطق النطق الرئيسية، وتشمل سبع سمات أو حيزا للنطق:

أولاً: حيز الشفتين: ويشمل حروفا شفوية محضة، تنطق بإطباق الشفتين وهي في العربية الباء والميم والواو، وهناك حروف شفوية أسنانية تنطبق بضم الشفة السفلى إلى الثنايا العليا، ومثلها في العربية الفاء.

ثانياً: حيز الأسنان: وهو حيز الحروف الأسنانية وهي ثلاثة أقسام:

1- حروف ما بين الأسنان وهي حروف احتكاكية: التاء والذال والظاء في العربية وتنطق بوضع طرف اللسان على أطراف الثنايا.

2- حروف أسنانية وتضم نوعين من الحروف، الأولى تنعت بأنها أسنانية، والثانية تنعت بأنها حروف لثوية.

ومن اللغات ما يكون الفصل فيه بين النوعين واضحاً، ومنها ما لا يوضح فيه هذا الفارق كما هو الأمر في العربية والفرنسية، وهذه الحروف في العربية هي: التاء والذال والطاء والسين والصاد والزاي والنون.

ثالثاً: حيز الحنك ويسميه بعضهم الغار وحروفه قسمان:

1- الحروف الحنكية اللثوية أو اللثوية الحنكية وتنطق برفع وسط اللسان نحو اللثة والحنك وهي في العربية الجيم والشين.

2- الحروف الحنكية أو الغارية عند بعضهم كصوت الياء في العربية.

رابعاً: حيز الغشاء أو الحنك ويسميه بعضهم الحجاب أو الطبق، وتنطق هذه الحروف برفع ظهر اللسان نحو الغشاء أو بضغط ظهر اللسان على الغشاء، ومن أمثلة الحروف الغشائية في العربية حرف الكاف والواو.

خامساً: حيز اللهاة: وتنطق الحروف اللهوية في الغالب بضغط ظهر اللسان على اللهاة، ومن أمثلتها في العربية القاف والخاء والغين.

سادساً: حيز الحلق: وتنطق الحروف الحلقية بسحب جذر اللسان نحو الجدار الخلفي للحلق، وبإحداث انقباض في التجويف الحلقوي والغالب فيها أن تكون احتكاكية وهي نادرة الاستعمال في لغات العالم، وتعتبر الحروف الحلقية والحروف الخلفية التي تنطق من مؤخر جهاز النطق حروفا مميزة للغات السامية ومن أمثلتها في العربية الحاء والعين.

سابعاً: حيز الحنجرة: وتحدث الحروف الحنجرية بتضييق وانقباض في الحنجرة التي تضل مفتوحة وهي حالة الهاء العربية (28).

ويبدو أن هذا الترتيب يخالف ترتيب المخارج في الدراسات العربية عند العلماء القدامى والتي كانت تسلك نسقا تصاعديا من أقصى الحلق إلى الشفتين.

المعيار الرابع: الأعضاء المتحركة والثابتة في جهاز النطق:

وهذا المعيار في تقسيمه لمخارج الأصوات يتجلى في تقسيم الحنك الأعلى على أساس رسم خطوط أفقية تبدأ دائما من بداية كل الأضراس من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر، ورسم ثلاثة خطوط رأسية من بين كل الأسنان الأمامية إلى نهاية الحنك الأعلى، فإذا كان عدد الخطوط الأفقية ثمانية ينتج عنها سبع مناطق أفقية، وكان عدد الخطوط الرأسية ثلاثة ينتج عنها أربعة رأسية، فإن عدد المربعات والمستطيلات التي ينقسم إليها الحنك الأعلى في التقسيم، يصبح ثمانية وعشرين، هذا في تقسيم الحنك الأعلى وحده، ويضاف إلى هذا العدد مجموعة من المخارج تشمل الشفتين معا، أو إحداهما مع الأسنان كما تشمل ما وراء الحنك الأعلى وهما مخرجا الحلق والحنجرة، وبذلك يصبح عدد المواضع التي يمكن أن تسهم في تحديد وصف الصوت اللغوي اثنين وثلاثين، وهو لاشك تقسيم دقيق مسرف في الدقة، والذي يبين بصفة خاصة دقة وضع اللسان عند التقائه بالحنك الأعلى (29).

خاتمة :

من خلال ما سبق يتضح جليا لنا سبق علماء التجويد إلى البحث والتفصيل في موضوع مخارج الحروف والتي قد تم تأكيدها عند اللسانيين المحدثين.

فدراسة المخارج عند علماء التجويد جاءت من منطلق تحسين وتجويد القراءة الثابتة الصحيحة وسلامة النطق والصوت العذب ومقارنته بالنطق النبوي الشريف، أما دراسة اللسانيين فجاءت من منطلق دراسة الموضوعات اللغوية والصوتية على حد سواء، ومن هنا تركزت وظهرت كل هذه الاختلافات في التقسيم في موضوع مخارج الحروف.

الهوامش:

- 1- علي بن الحسين ابن سينا الرئيس، أسباب حدوث الحروف. تحقيق محيي الدين الخطيب، بيت الحكمة، تونس، 2002. ص 156.
- 2- علم الدين السخاوي ، جمال القراءة وكمال الإقراء ، ج 2 ، تحقيق: عبد الكريم الزيري ، دار البلاغة ، 2 . بيروت 1993 ، ص 340.
- 3- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، دراسة مقارنة، عزيز أركيبي ، دار الكتب العلمية، لبنان 2012، ص 13.
- 4- عبد الفتاح إبراهيم ، مدخل في الصوتيات ، دار الجنوب للنشر، تونس د. ت. ط ، ص 8.
- 5- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 21.
- 6- أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، سورية، 1998، ص 23.
- 7- سورة العلق: الآية 1.
- 8- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلوالمصرية. د. ت. ط، ص 93.
- 9- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 26.
- 10- المرجع نفسه، ص 28.
- 11- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال ، 2008، ص 34، 35.
- * بمعنى أنه كل عالم لغوي كان يحسن قراءة من القراءات القرآنية المعروفة.
- 12- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 30.
- 13- الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله ، ص 38.

- 14- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو الغربي، مكتبة الخانجي. القاهرة 1987. د.ط، ص 187.
- 15- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 39.
- 16- سمير شريف استيتة ، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، منبرج لساني معاصر، عالم الكتب الحديثة، الأردن 2005. ص 98.
- * أبو مزاحم الخاقاني موسى بن الوزير عبيد الله بن خاقان البغدادي، من علماء القراءات، مات 325هـ الأعلام ، الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط 15، سنة 2002. ج 6. ص 145.
- 17- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 48.
- 18- صبحي الصالح، فقه اللغة، ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1986، ص 21.
- * أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب من نيسابور، اشتغل بالأدب والتاريخ. وفيات الأعيان 1/ 290.
- 19- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين ، عزيز أركيبي، ص 69.
- * عثمان ابن جنى الموصلبي، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته مطبعة مصطفى الباجي، القاهرة 1954، 8/1.
- 20- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 81.
- 21- محمد صالح الضالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دارغريب، القاهرة، 2002 ، ص 36.
- 22- محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، 1985، ص 105.
- 23- المهدي محمد الحرازي، بغية المريد من أحكام التجويد، ط 2 ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان ، 2006، ص 252 - 258.
- 24- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص 132، 133.

- 25- المرجع نفسه، ص134.
- 26- حسام الهندسوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2004، ص55.
- 27- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين، عزيز أركيبي ، ص135.
- 28- المرجع نفسه، ص136.
- 29- المرجع نفسه، ص137، 138.

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم .
2. أحمد محمد قدور ، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1998.
3. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلومصرية ، د.ت.ط.
4. حسام الهنساوي ، علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004.
5. سمير شريف ستيتة ، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ، منهج لساني معاصر ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، 2005.
6. صبيح الصالح ، فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، ط2 ، بيروت 1986.
7. عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط. 1987.
8. عبد الفتاح إبراهيم ، مدخل في الصوتيات ، دار الجنوب للنشر ، تونس د.ت. ط .
9. عثمان بن جني الموصلبي ، سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق : مصطفى السقا وجماعته ، مطبعة مصطفى الباجي ، القاهرة 1954.
10. عزيز أركيبي ، مخارج الحروف عند القراء واللسانيين ، دراسة مقارنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2012.
11. علم الدين السخاوي ، جمال القراء وكمال الإقراء ، تحقيق : د. عبد الكريم الزيري ، دار البلاغة ، ط1 ، بيروت 1993.
12. علي بن الحسين ابن سينا الرئيس ، أسباب حدوث الحروف . تحقيق محي الدين الخطيب ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 2002.
13. محمد بن محمد بن الجزري ، التمهيد في علم التجويد ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1985.

- 14 . محمد صالح الضالع ، علوم الصوتيات عند ابن سينا ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2002.
- 15 . محمد فريد عبد الله ، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ، دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، 2008.
- 16 . المهدي محمد الحرازي ، بغية المريد من أحكام التجويد ، دار البشائر الإسلامية ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 2006.

Abstract:

Political exploitation of the Bible – the sionist-christianity –A sample-

The student of the Bible becomes clear to him at first the ambiguity of this book in language and in style, theology and law, attributed religions scientists to resort people of the book as Jews and Christians to distort and to switch the sacred text, resulted by the penetration of the material spirit and their keeping away from true spirit of faith, The influence of Zionist Talmudic thought c in their behavior ,political and social dealings, where the main result was the accumulation of a huge number of scriptures in the closet of the temple and the church to more than forty-six books, those who were not the sureness of Moses Torah and the Gospel of Christ - Peace be upon them- because these books are full of disorders ,differences, and contradictions. That showed conclusively the existence of different sources, giving an opportunity for a Christian Zionist to implementation its colonial plans on the grounds that they tagged (Balqoam) or gentile - in the words of the Talmud

المخلص:

إنّ الدارس للكتاب المقدس يتبيّن له من أوّل وهلة غموض هذا الكتاب لغةً وأسلوبًا ، عقيدةً وشريعةً ، أرجعه علماء الأديان إلى لجوء أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى تحريف وتبديل النص المقدس ، نتيجة تغلغل روح المادة فيهم وبعدهم عن روح الإيمان الحقيقي ، ولتأثير الفكر الصهيوني التلمودي في سلوكهم ومعاملاتهم السياسية والاجتماعية ، والذي كانت من نتائجه تراكم عدد هائل من الأسفار المقدسة في خزانة المعبد والكنيسة إلى ما يزيد عن ستة وأربعين كتابا ليست هي يقينا توراة موسى وإنجيل المسيح – علمهما السلام ، لما في هذه المؤلفات من اضطراب واختلاف ، وتناقض دلّت دلالة قاطعة عن تعدد مصادرها ، ممّا تُركّ المجال للمسيحية الصهيونية من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية اتجاه البشرية على أساس أنها الموسومة (بالقيوم) أو الأميين – بحسب تعبير التلمود.

مقدمة :

الصهيونية المسيحية لم تكن في التاريخ سوى حركة سياسية البواعث والغايات، ولا يوجد لها سند في المراجع التوراتية ، وإن زيّفت لها أصول دينية للترويج لها بين صفوف اليهود مستغلة النص المقدس للدعاية المفضوحة بنبوغ الفرد اليهودي ، هذا النبوغ الذي سبب الحسد والكراهة والإضطهاد. وفي حقيقة الأمر أن العزلة التي فرضوها على أنفسهم وموقفهم العدائي من كل أمة -بحسب تعاليم العهد القديم المقدس- جعلتهم ينطبعون تحت طبع شراسة الخلق والحماقة ، فنزل بهم البلاء في كل عصر ومصر، على اعتبار أنها عدوة البشر وتعمل على افساد أخلاق المجتمع وتمزيق أوأصره وهدم قيمه ومقوماته لكي تتسلط عليه فتسخره في مصالحها . والصهيونية لم تكن عقيدة دينية ، بل كانت نزعة سياسية إلتقت مع المسيحية حول فكرة انتظار المسيح المخلص الموعود به ، فاتفقتا على شئ واحد هو الفصل بين الصهيونية السياسية والفكرة الدينية. واعتمدت الصهيونية المسيحية في مرجعيتها الدينية على الكتاب المقدس الذي يعدّ أكثر الكتب غموضا وتعقيدا في لغته وأسلوبه ومعاني كلماته وفقراته و إصحاحاته ، بل من العسير فهم الكثير من مبادئه السلوكية وتشريعاته الفقهية وطقوسه التعبدية ، و أضحى طبيعة الغموض واضحة فيه بل هي السائدة ، ولعلّ السبب يعود إلى أنّ بني إسرائيل واليهود معا قديما حرّفوا النصوص الإلهية التي نزلت على أنبيائهم ومنها شريعة موسى وعيسى -عليهما السلام ، ونتيجة لما قاموا به من تزيف لكلمات الوحي تصلّبت قلوبهم واخشوشنت طبائعهم فنسوا حصّا ممّا نزل عليهم من الوحي ومالوا إلى جمع المال من أي طريق كان سبيله ، وبالتالي فسدت عقيدتهم وأخلاقهم.

-نظرة إلى العهد القديم (التوراة):

من خلال مطالعتي للمراجع المتعلقة بأراء المتكلمين¹ ولآراء بعض المفكرين المسيحيين المنتصفين في كتاباتهم عن الكتاب المقدس ومدى استغلال الصهيونية

¹ - أهم هؤلاء المتكلمون: الجاحظ: (الرد على النصارى) - عبد الله بن محمد الأمباري والمعروف بابن شرسير: (الكتاب الأوسط في المقالات) - محمد بهارون الوزاق: (الرد على النصارى) - أبو القاسم البلخي: (أوائل الأدلة) - أبو منصور الماتريدي: (كتاب التوحيد)

الجنس بن أيوب: (رسالة إلى أخيه علي بن أيوب) - أبو الحسن العامري: (الإعلام بمنابح الإسلام) - محمد بن الطيب الباقلائي: (كتاب التمهيد) - القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني: (تثبيت دلائل النبوة) و (المعني في أبواب التوحيد

المسيحية له، وما جاء من آي القرآن الكريم حوله يمكن أن نبين أنه الكتاب المنزّل من الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى . عليه السلام ، والذي يحتوي على المبادئ والتعليمات والتشريعات والأحكام والحدود الربانية.

واستعمال اللفظ مفردا لكلمة (التوراة) يسوغ القول أنّه كتاب واحد وإن كان لا يمنع هذا أن يكون ذا فصول عديدة، في حين أنّ ما هو متداول اليوم والذي نسميه (التوراة) أو نسميه (العهد القديم) هو مجموعة من أسفار عديدة منفصلة بعضها عن بعض ، وبأسماء مختلفة ، وعددها في الطبعة البروتستانتية : تسعة وثلاثون (39 سفرا) وفي الطبعة الكاثوليكية. ستة وأربعون (46 سفرا)² ، وهناك من يحصر تسمية التوراة بالأسفار الخمسة الأولى من أسفار العهد القديم ، وهي : سفر التكوين، وسفر الخروج ، وسفر الأخبار (اللاويين) وسفر العدد و سفر تثنية الإشتراع³. فشأن هذه الأسفار ليس كشأن التوراة أصلا وواقعا فالتوراة قد كتبها موسى - عليه السلام بحسب ما تلقاه من الله تعالى من وحي ، وسلّم سفرها للكهّان لتوضع في تابوت العهد ، وظل هذا السفر ينسب إليه باسمه .

في حين أنّ هذه الأسفار الموجودة اليوم ، فقد كتبت بأقلام مجهولة متعددة في أزمنة مختلفة ، وقد كتبت بعد الأحداث التي سجّلت فيها بمدة طويلة ، وفيها كثير من التباين والتناقض والمبالغات والمفارقات والأكاذيب⁴. وقد ورد في هذه التوراة ما ينسب إلى الله تعالى وإلى رسله الكرام من أحاديث وقصص غريبة أقربها إلى الأسطورة والخيال من الحقيقة⁵. والسبب أنّ هذه التوراة من حيث اللّغة لم تنزل بلغة اليهود العبرانية أو

والعدل) و(شرح الأصول الخمسة) . ينظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى : عبد المجيد الشرفي من ص 123 إلى ص 170.

² - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام : علي عبد الواحد وافي ، القاهرة، دار النهضة مصر، ط2: 1972 ، ص ص 12، 13.

³ - ينظر : الكتب التاريخية في العهد القديم : مراد كامل ، ط 1 : 1968 ، ص 50 وما يليها.

⁴ - ينظر: إظهار الحق : رحمت الله الهندي ج 1 ، دار الجيل ، بيروت، 1988 م ، ص 85 وما يليها.

⁵ - ينظر الفكر الأسطوري في التوراة في : الفكر الديني اليهودي : حنس ظاظا ، دار القلم، دمشق، ط2، 1987 م، ص 22 وما يليها.

العبرية التي كانت لغة التوراة الأولى ، والتي لم تكن قد اكتملت كلغة : فكانت لغة صحف موسى هي "الهيروغليفية"⁶.

ومن حيث التاريخ كان أهم ما يميز اليهود الصهاينة عن غيرهم من الأمم أن أحداثهم التاريخية أصبحت جزءا من عقيدتهم ، وبخاصة فيما يعرف بالقوانين (التلمودية) ، ومن لم يخضع لهذه القوانين خضوعا تاما فلا يعتبر يهوديا⁷.

لغة التوراة الصهيونية:

تميل بعض الدراسات التاريخية لنصوص التوراة بأن الأسفار الخمسة الخاصة بموسى . عليه السلام قد اعتمدت على أكثر من مصدر وعصر معين، بل يتجه (فؤاد حسنين علي) إلى رأي خاص يعتبر توراة موسى كانت باللغة المصرية القديمة وذلك قبل وجود اللغة العبرية⁸. واختلف العلماء في أصل كلمة عبري فهل هي مشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) أو نسبة إلى (عابر) المنحدر من (سام) ، كنسبة بني إسرائيل إلى إسرائيل ، وهو اسم أو لقب منح إلى يعقوب -عليه السلام. ويتجه رأي من الآراء إلى اعتبار موسى اسم مصري قديم مشتق من الفعل المصري القديم (مسي)⁹ فاللغة التي بلّغ بها موسى رسالته لا نعرفها معرفة يقينية ، حتى على افتراض أنها العبرية ، فلا شك أنها تختلف عن عبرية النص المقدس الذي بين أيدينا¹⁰، والذي يرتد إلى مصدرين أساسيين هما: المصدر اليهودي يحمل اسم (يهود)، ومصدر إلهي يحمل اسم (إلهيم)، وهما تسميتان للرب ومعناهما: (إله) أو (آلهة)، أو (الله)¹¹.

⁶ . الهيروغليفية: نظام الكتابة الذي استعمل في مصر القديمة لتسجيل اللغة المصرية والقيام بعمليات الجمع والطرح والحساب. واستعملت الهيروغليفية كنمط كتابة رسمي لتسجيل الأحداث على المعالم والنصوص الدينية علي جدران المعابد والمقابر وأسطح التماثيل والألواح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية .

⁷ - التلمودية:نسبة إلى التلمود وهو من الكتب التي يعتقد اليهود أنها منزلة . ينظر: الكثر المرصود في قواعد التلمود : تقديم : حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، ط1 : 1408هـ - 1987 م ، ص 47.

-وينظر: La pensée Juive : André chouraqui ;Presses Universitaires De France ,p29.

⁸ -التوراة الهيروغليفية : فؤاد حسنين علي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ص 59.

⁹ - المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني (الكتاب الثالث) : رشيد الناضوري ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت، 1969

ص 139.

¹⁰ - الفكر الديني اليهودي: حسن ظاظا ، ص 25.

¹¹ - نفس المرجع ، ص 27.

إنجيل الصهيونية المسيحية:

والواضح أيضا أنّ الإنجيل كتاب واحد أنزله الله ، أو أوصى به ، أو علّمه لنبيّه عيسى . عليه السلام ، فيه تليغات وأحكام ووصايا ربّانية ، غير أنّ المسيحية الصهيونية تعتقد أنّ الأنجيل والرسائل موحى بها إلى القديسين وأنّهم كانوا رسلا ، وأنّ الروح القدس أمدهم بالهدى والرشاد. ويتداول المسيحيون اليوم أربعة أناجيل ويعترفون بها وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، وينسبون إلى جانب سفر أعمال الرسل للوقا أربع عشرة رسالة لبولس موجهة إلى أهل بلاد عديدة و إلى أشخاص أصدقاء له و إلى العبرانيين¹². وتعدّ مقدسة أيضا في نظر الكنيسة رسائل بطرس ويوحنا ويعقوب ، ورؤيا يوحنا ، وتسمي هذه الكتب بالعهد الجديد ، مع اعتراف المذاهب المسيحية بأسفار العهد القديم لأنّها تلمّح إلى انتظار المسيح المخلص للعالم من الخطايا ، وهذه النصوص يتداولونها ويضمّونها إلى أسفار العهد الجديد تحت اسم جامع للكل ، وهو (الكتاب المقدس)¹³. وبالرغم من تقديس المسيحيين للتوراة فهم لا يتبعونها ولا يمثلون لأوامرها ونواهيها ، ولما تعرّس عليهم التصرف في نصوصها عمدوا إلى المجامع يغيّرون ما يشاءون ممّا نصت عليه التوراة ، ويفسّرونها بما يناسب نصوص العهد الجديد¹⁴.

وما يثير الغرابة أنّ الأنجيل الأربعة التي يتألف منها العهد الجديد صريحة بأنّها كتبت بعد عيسى . عليه السلام ، لاحتوائها قصة حياته ورسائله وتعاليمه ونهايته ، وبأنّها كتبت بعد توفيه بمدة ما، وما يشدّ الانتباه أيضا أنّ الرسائل التي ألّفها أشخاص لم يكونوا على علم يقينا بهذه الأنجيل الأربعة ، فلو صحّت نسبتها إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل، وأنّ الأنجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة.

¹² . رسائل إلى: تيموثاوس، وإلى فيليبس .

¹³ . - الكتاب المقدس: هو التوراة والإنجيل معا ، ويسمى العهد القديم ، بينما تسمى الأنجيل بالعهد الجديد . ينظر: قاموس الكتاب المقدس : نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، تحرير: بطرس عبد الملك ومن معه، منشورات مكتبة المشعل في بيروت، ط6، 1981 م. مادة (كتاب) ، ص 762.

¹⁴ . لقد أنتجت المجامع النصرانية عقائد جديدة لم يقل بها المسيح ولا الفرق اليهودية من قبل ظهور عيسى بن مريم عليهما السلام -

- ينظر هذه العقائد في: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر الميلادي: عبد المجيد الشرفي ، تونس، الدار التونسية للنشر، ط1: 1986. ص88 وما يليها.

- وينظر المجامع وأهم قراراتها: المسيحية: أحمد شليبي ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 : 1967 ، من ص 160 إلى 169.

أيضاً أنّ الرسائل التي ألّفها أشخاص لم يكونوا على علم يقيناً بهذه الأناجيل الأربعة ، فلو صحّت نسبتها إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل، وأن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل ، لأنّ الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل ولا تشير إليها¹⁵ ، ومادام لا يوجد الآن الإنجيل الذي وصفه القرآن الكريم ، فلا مناص من القول أنّه قد فقد في ظروف ما ، كما فقدت التوراة من قبل التي كانت موجودة يقيناً بنص القرآن. وقد يكون في الأناجيل المتداولة اليوم أشياء ممّا تلقاه عيسى . عليه السلام من ربه ، أو احتواه الإنجيل الذي آتاه الله ، وعلمه إياه وأنزله عليه ، غير أنّه لا يمكن أن تكون هذه الأشياء من وجهة نظر القرآن والمنطق والواقع بديلة عنه ، لأنّها ليست هي أوّلاً ، ولأنّ فيها ما لا يمكن أن يكون من ذلك الإنجيل وعلى سبيل المثال : سيرة سيدنا عيسى . عليه السلام منذ ولادته إلى وفاته لم ترد في الأناجيل إشارة إلى كلامه في المهد¹⁶، وعدم ورود أوصاف النّبي الأمي محمد - صلى الله عليه وسلم بصريح العبارة ؛ وقد قال تعالى في محكم تنزيله : {الذين يتبعون الرّسول الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل}¹⁷.

فالأناجيل كتبت من طرف أشخاص كلّفهم (بولس) بتأليف معتقدات ثلاثم وجهة نظره ، فكانت أغلبية نصوص (العهد الجديد) من وضعه ومن وضع أتباعه . ولما وجد المسيحيون ذوي التأثير الصهيوني هذه النصوص لا تفي بالغرض من معتقدات قالو بغفران السيئات من طرف رجال الدين ، وقالوا بعصمة البابا ؛ باعتباره الممثل لبطرس تلميذ المسيح ، وعقدوا لذلك مجامع ، ومن تاريخ عقدها أُعتُبرت قراراتها المصدر الحقيقي للديانة المسيحية، وعلى أساسه اعتبر علماء المقابلة بين الأديان أنّ المسيحية مصدرها بشري يقيناً، وحكموا أنّ لا أثر للوحي فيها على الإطلاق، وما زاد

¹⁵ . المسيحية . أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . ط 3 ، 1967 م ، ص 174.

¹⁶ . سورة مريم الأيتين 28 و 29. قال تعالى : (فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً ، قال إنّي عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراّ بوالدي ، ولم يجعلني جباراً شقيّاً ، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) .

¹⁷ . سورة الأعراف الآية 157

¹⁹ - المجمع الذي أصدر قرار عصمة البابا : مجمع روما المنعقد سنة 1869 م قرر أنّ (البابا) معصوما من الخطأ في كل تشريع يصدره

وله ملك حق الغفران وله ملك حق الحرمان لكل مخالف له. وينظر : النصرانية من التوحيد إلى التثليث : محمد أحمد الحاج ، ص ص 182 ، 183 .

الأمر غرابة ما ذهب إليه المذهب الكاثوليكي إلى الاستغناء حتى عن المجامع والكتب المقدسة كمصدر لعقيدته وشريعته، و أعطى العصمة للبابا في التشريع وفي إصدار الأحكام ، وأوجبوا طاعته لأنه وهب من الله صفة العصمة¹⁸. فكان لاختلاف مصادر الديانات التميّز بين ما هو إلهي وما هو بشري ، فكل دين سماوي أوجب الإسلام الإيمان بكتابه وبرسوله ، لأنّ أصول الشرائع السماوية وكتبها المنزلة واحدة ، فمن كفر بنبيّ واحد ، أو كتاب واحد لا يعدّ مؤمنا ، إذ قال تعالى : { كلُّ آمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله }¹⁹.

والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسول، فإن الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، قال تعالى : { إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون }²⁰.

فدراستي عن الاستغلال السياسي للكتاب المقدس من خلال عرض وجهة نظر الصهيونية المسيحية قمت ببيان حقيقة تراث أهل الكتاب المقدس والمنسوب ظلما إلى ذات الجلالة على أنه وحي ، وقصدت أن يكون هذا المقال بحثا علميا يخضع للعقل والمنطق لا للعاطفة والشعور ، وقد اتضح لي من هذه الدراسة أنّ الكتاب المقدس ليس وحيًا خالصا من الله كما تدّعي الصهيونية المسيحية اليوم ، بل هو مجلد تاريخي غير منقّح من الأخطاء والتناقضات الفضيحة التي تتجلى أحيانا في نصوص السفر الواحد ، وأحيانا أخرى في نفس الإصحاح وبعد أسطر قليلة²¹.

ونظرا لدخول عناصر غريبة إلى النصوص التي تدّعي الصهيونية المسيحية قداستها ، تغيرت الملامح التوحيدية للديانتين الموسوية والعيسوية ، وكان ذلك إيذانا بظهور رسالة جديدة منقّدة للعالم ممّا نزل به من مصائب وخطوب ، وقامت هذه

¹⁹ -سورة البقرة الآية 2.

²⁰ - سورة البقرة الآية 62.

²¹ - ينظر العرض الذي جاء في : الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط 9 ، 1979 م ، ص 50. وفي المقابلة بين تناقضات والإختلافات ما جاء مثلا : في إنجيل متى 14 : 3 ، وإنجيل مرقس 6 : 17 ، وإنجيل لوقا 3 : 19 حيث ورد لفظ فليبيس غلط يقينا بحسب رأي : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ، ص 229.

الرسالة بوضع أسس سليمة وشاملة لأُمور الدنيا والدين معا ، فبعث الله محمدا نبيا ورسولا بدين هو (الإسلام) وجعل مشكاة الهداية البشرية فيه القرآن الكريم الذي حفظه الله من التحريف والتبديل، لقوله تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون }²².

وجاءت آيات كثيرة في هذا الكتاب المحفوظ تحت على وجوب استعمال العقل في التدبّر والتأمّل في قبول العقيدة والإيمان ، حتى سعى العلماء هذا المنهج من التفكير بـ : (علم الكلام)²³.

فعلم الكلام الذي نشأت في أحضانه القضايا الجدلية على الغالب هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراده الحجج ودفع الشبه. وكان موضوع (علم الكلام) عند أهله هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، فتدفع البدع وتزول الشكوك عن تلك العقائد ، ومن أبرز فوائده : الترتي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان ، لقول الله تعالى : {ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات}²⁴، كما لا يخفى أثر المتكلمين ودورهم في مجال النقد²⁵، والرد على الفكر التلمودي المبثوث في المراجع التاريخية والثقافية للمسيحية ، وكان من المنبرين للجدل والنقد كل من المعتزلة والأشاعرة ، والشيعية . وأسهم المتكلمون جميعا في الوقوف أمام مطاعن المسيحيين واليهود وذاود عن كتاب الله ودينه بسلاح هؤلاء الطاعنين : بالجدل ومقارعة الحجج وقوة البيان التي عرفته الأمة الإسلامية في عصرها الذهبي ، حيث كان المسلمون يمثلون طليعة الحضارة العالمية على سطح الأرض بعبقريتهم المرنة ، وبما آل إليهم من كنوز اليونان والرومان من جهة ، وما آل إليهم من بلاد فارس والهند والصين من جهة أخرى . فاستطاع المسلمون بكتابتهم الرباني وسنة نبئهم الكريم أن يلتفتوا إلى حكمة الشرق والغرب غريلة وتمحيصا لمعرفة الغث منها ومعرفة السمين ، وبذلك

²² - سورة الحجر الآية 15 .

²³ - علم الكلام : ويسميه بحق بعض العلماء (بعلم العقائد المقارن) . ينظر: فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية : لويس غردية، وجورج قنواي ، ج1 ، ترجمة : صبيح الصالح والاب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 ، 1978 م ، ص 20.

²⁴ - سورة الزخرف ، الآية 32.

²⁵ - أهم ردود المتكلمين في تقديم للكتاب المقدس . ينظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى : عبد المجيد الشرفي ، ص

انقلبوا من جنود فاتحين إلى علماء متضلعين في الفلسفة والعقائد والأديان ، فكان اليهود والمسيحيون والمسلمون يتخذون لسانا واحدا يعبرون به عن أفكارهم ويدافعون به عن معتقداتهم في غاية الهدوء والحجة والبرهان عن طريق المناظرات أو الرسائل الإخوانية أو تأليف كتب²⁶. وتصدى أهل الفكر بأقلامهم وألسنتهم لليهود والمسيحيين بالرد الجميل على ما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل وخصصوا بعض ردودهم بالرد الصحيح على من بدل دين المسيح ، داعين إلى إظهار الحق وإزهاق الباطل.

ودافع الحال إلى هز هذا الموضوع هو نظرتي إلى خلفية الدول الغربية الدينية والثقافية اليوم التي أسست مجدها وحضارتها على النص المقدس، والتي لا تزال تحدد اتجاهاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية تجاه الدول الإسلامية وفق تلك التصورات العقائدية التي تستنبطها من هذا المرجع ، ولا تزال تنظر إلى الإسلام كتحدٍ يلزم مواجهته ومواجهة قرآنه ، بحجة أنّ الإسلام انتشر في المناطق التي كانت مهذا لديانتها.

إنّ الكتاب المقدس الذي تعلّمه المسيحية والصهيونية اليوم ليس من اليهودية ولا المسيحية في شيء ، وليس من سيدنا موسى ولا عيسى - عليهما السلام البتة ، إنّما هذا الكتاب هو مرجع مهمّ للصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية السياسية مثله مثل (التلمود) الذي ألفه الحاخامات بشروحاته وتعليقاته المعروفة بـ"لمشنا والجمارا"²⁷ وهي نصوص لم ينزل الله بها من سلطان.

²⁶ - ينظر الفهرست: محمد ابن إسحاق النديم ، تحقيق مصطفى الشويبي ، تونس ، دار التونسية ، ط1 : 1985 ص :

111 ، 114 ، 116

²⁷ - التلمود تاريخه وتعاليمه : زفر الاسلام خان ، دار النفايس ، بيروت ، ط6 : 1985 ص 13 ، 28.

وأنظر أيضا : فضح التلمود : زهدي الفاتح ، دار النفايس ، بيروت ، ط2 : 1983 ، ص ص 23 ، 24.

الخاتمة:

إنّ المسيحية الصهيونية التي ترفع شعار الكتاب المقدس في محافلها الدولية والإقليمية تهدف أساسا إلى ربط الدول بعجلة الغرب عن طريق نشر التعاليم المقدسة الملوثة بالوثنيات القديمة ، هذه التعاليم التي تقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامي في جميع الميادين السياسية و الاقتصادية والدولية عائقا وهاجسا مقبنا ، وبالتالي أصبحت الدول المشبّعة بالفكر المسيحي الصهيوني تفكر بالعودة من جديد للاستعمار السياسي ، هذا الاستعمار الذي يريد أن يستعيد نفوذه عن طريق المبشرين وعلماء الاجتماع واللاهوت المتخصصين ، وأحيانا بطريق عملائه من السكّان الأصليين ، فتقوم تلك الدول بإرسال وفود وعلماء لاهوتيين ورجال لهم دراسات لاهوتية يعملون بالسلك الدبلوماسي وينشطون في نشر الكتب والمجلات التبشيرية مجانا ، ويشجّعون على بناء المدارس التبشيرية في كل مكان ، ويمنحون شهادات دراسية بسرعة لمريديهم ليتم تعيينهم في أسمى المناصب العليا ، كما يقومون بتنظيم رحلات وبعثات لأبناء المسلمين إلى دول لها القدرة على إلحاق الفساد بالعقائد ، ونشر الرذائل ، لتتربى الأجيال على الميوعة ، وكره الأوطان.ولهذه الأسباب ولما سبق ذكره من حق المسلمين أن يرفضوا الكتاب المقدس الذي هو بين يدي الصهيونية المسيحية، لأنه ليس كتاب عقائد ولا كتاب دين ، ولا هو وحي من رب العالمين.

- المراجع: (*) : (*) أسقطت " أل " التعريف.**دون التقيد بترتيب الكتابين المقدسين :
- القرآن الكريم والكتاب المقدس.
1. القرآن الكريم ، برواية ورش عن الإمام نافع ، طبعة وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، 1985 م .
 - 2 بالكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد ، مطبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربي ، ط: 1978 م .
 - 3 . الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام : علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1972 م .
 - 4-إظهار الحق ، رحمت الله الهندي ، ج1 ، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1408هـ – 1988 م .
 - 5 . بين الديانات والحضارات : طه المدور ، بيروت ، ط: 1956 م
 - 6 . التلمود تاريخ وتعاليمه:ظفر الإسلام خان ، دار النفائس ، بيروت ، ط6، 1985 م .
 7. التوراة الهيروغليفية: فؤاد حسنين علي ، دارالكتاب العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
 - 8 . فضح التلمود :زهدي الفاتح. دارالنفائس ، بيروت ، ط2 ، 1983 م
 - 9 . الفكر الإسلامي في الرد على النصارى: عبد المجيد الشرفي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط: 1986 م .
 - 10- الفكر الديني اليهودي : حنس ظاظا ، دارالقلم، دمشق، ط2، 1987 م .
 - 11- فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية : لويس غردية، وجورج قنواي ، ج1، ترجمة : صبيح الصالح والاب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 ، 1978 م .
 - 12 . الفهرست : محمد بن اسحق النديم ، تحقيق : مصطفى الشويبي ، الدار التونسية ، تونس ط1، 1985 م
 - 13-: قاموس الكتاب المقدس : نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، تحرير: بطرس عبد الملك ومن معه، منشورات مكتبة المشعل في بيروت، ط6، 1981 م .
 - 14 . الكتب التاريخية في العهد القديم : مراد كامل ، المطبعة الفنية الحديثة، جامعة الدول العربية ط: 1968 م .

- 15- الكنز المرصود في قواعد التلمود : تقديم : حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، ط1
: 1408هـ – 1987 م
- 16 . المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني (الكتاب الثالث) : رشيد الناضوري ، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969 .
- 17 . المسيحية : أحمد شليبي. دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1967 م.
- 18- النصرانية من التوحيد إلى التثليث : محمد أحمد الحاج ، دار القلم ، دمشق ، ط2
، 2002 م.
- 19- الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط9 ، 1979 م.
- 20- André chouraqui, La pensée Juive; Presses Universitaires de France

الأمية الوجدانية والعنف

جامعة البويرة

أ. مختار سليم كتاش

الملخص

انفعال الغضب ينسحب قياسا مع الفارق على كل الانفعالات الأساسية الواردة في تصنيف إيكمان.

الأمية الوجدانية والعنف، عنوان يبدو فيه نوع من المجازفة، و الكثير من انجازات العلم مبنية على قفزات نحو المجهول فالذكاء الوجداني باعتباره وعي انفعالات الذات وحسن إدارتها ثم وعي انفعالات الآخرين وحسن إدارتها، حسب تعريف ماير وسالوفي؛ فإن هناك عمليات معرفية ووظائف وجدانية يستلزمها حسن إدارة الانفعالات.

Résumé :

Cet article traite d'un concept relativement récent quand l'intérêt scientifique porté par les chercheurs dans le domaine des sciences sociales en général, et en sciences de l'éducation plus spécialement, en l'occurrence l'illettrisme Emotionnel et ses applications dans différents aspect de la vie, en exploitant la définition de Mayer et Salovey de l'intelligence émotionnelle, Nous allons essayer d'expliquer le phénomène de la violence par les pulsions des Emotions et leurs effets nocif sur les processus cognitifs, et sur le comportement en général et sur l'apparition, le conditionnement et le renforcement du comportement violent. un constat soutenu par des études qui démontre cette relation logique, comme celle de Ohman et de Zalt et celle de Ekman.

سوف نحاول تبين أهمية الوظائف الانفعالية كمحدد مهم من محددات السلوك العنيف، باعتبار أن هناك تداخلا وتفاعلا وظيفيا بين العمليات المعرفية، والوظائف الوجدانية في إنتاج السلوك عموما، وأن الوظائف الوجدانية تؤثر سلبا أو إيجابا على الأداء المعرفي للفرد، وأن أولى العمليات تأثرا هو الانتباه كما بينت ذلك دراسة أوهمان، وإذا اختل الانتباه اختلت سائر العمليات المعرفية باعتباره الحلقة الأولى وأن سائر العمليات المعرفية. كما أحاول توضيح ذلك بمثال من خلال تحليل انفعال الغضب باعتباره الانفعال الأول الذي يقف وراء سلوك العنف وكيف يؤثر في وظيفتي التقدير والحكم، ثم إن التحليل الذي نقدمه على

Abstract:

The main purpose of this article is to tend to make clear the relationship between new concept in psychology, which is Emotional literacy and violence, according to the definition of Mayer and Salovey of the Emotional intelligence. Thus we attempt to make evident relation on a production of behavior and emotions, especially behaviors linked to violence as phenomenon, which is made evident by several studies such as study of Ohman, Zalt and Ekman.

العنف من المواضيع التي أزلت الإنسانية منذ بدء الخلق، والتي لا تتقدم والتي لا تتسنى الإحاطة بها، مهما أوتي المجتمع من وسائل التقدم التقني، ويبقى موضوع الساعة المتجدد في جميع المجتمعات وسائر الثقافات، والذي يحمل معه تحديات جديدة باستمرار لبني الإنسان عبر كل الأزمنة والأمكنة، ما جعل موضوع العنف يكتسي أهمية بالغة لدى جميع المجتمعات وما يؤكد هذه الأهمية بالنسبة لنا كمجتمع مسلم، ورود قصة ابني آدم وهما الأخوين اللذين جسدا الطبيعة البشرية، وإنما قصها القرآن علينا حتى نعتبر ونتذكر، ونجدد النظر في هذه المشكلة المصاحبة للوجود الإنساني، المانعة لكل ارتقاء بل الهدامة لكل بنيان، والمحطمة لكل إرادة خيرة في العمران.

إن المتأمل في مظاهر النشاط البشري، تحصل لديه فناعة مفادها، أن المجتمعات الإنسانية مهما ارتقت في سلم الانجاز الحضاري، إلا أنها لم تستطع أن تتخلص من مظاهر العنف وصوره، بل إن بعضها قد صاحبت أحيانا هذا الانجاز أو ذاك، بل أسست له أو تأسست عليه أحيانا أخرى، ثم يحتفظ به في زاوية بعيدا عن الاهتمام العام إلى الاهتمام الخاص، في شكل مؤسسات اجتماعية أو رسمية، قصد تنميته وتقويته، وليتخذ احتياطا لازما للحفاظ على تلك الانجازات، ويصدق هذا ما نراه في جل الحضارات التي قامت عبر التاريخ إلى يومنا هذا، إذ هناك مشاريع عسكرية ضخمة، وأموال طائلة تصرف من أجل الحفاظ على التقدم العسكري، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ظاهرة العنف كسلوك سواء كان فرديا أو جماعيا هو سلوك ينبع من الطبيعة البشرية، وهو قرين حاجة إنسانية حيوية، وهي الحاجة إلى الشعور بالأمن على الذات أو على المكتسبات. وعليه فكلما شعر الإنسان بأنه مهدد في مصلحة ما أصبح عنيفا، بل إن ذلك يتناسب طرديا مع درجة حيوية المصلحة المهددة. فالعنف باعتباره قوة دافعة تحرك الإنسان للحفاظ على مصالحته، أو لدرء مفسدة قد تقع عليه أو على ممتلكاته، أو على أي شيء مهم بالنسبة إليه، إنما هي أصل لاستمرار الحياة، ولا تنفك عن كونها خصلة من خصال النفس البشرية، كما قرر ذلك القرآن الكريم " ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت السماوات والأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين." (البقرة: 251)

فالإنسان يحتاج إلى استخدام العنف أحيانا، من حيث هو وسيلة يحافظ بها على حياته، ويحتاج إليه المجتمع كذلك لكي يحافظ على نموه واستمراره واستقراره، بل هو ضروري في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، حتى يتعلموا منطق الاستحقاق، ويتعلموا الالتزام بالحدود الاجتماعية، وحتى يندمجوا ويتكيفوا بنجاح مع مختلف المواقف في الحياة الاجتماعية وحتى يتمثلوا منطق الالتزام بالواجبات وكيفية المطالبة والحصول على الحقوق¹. وهذا ما نلاحظه خلال تفاعل الأطفال فيما بينهم في السنوات الأولى من نموهم، ويتضح المشهد أكثر تدريجيا خاصة مع دخول الطفل إلى المدرسة، ولا نجد عناء للاستدلال على ذلك، إذا وقفنا لملاحظتهم خلال فترات الراحة في ساحة المدرسة، إذ تبدر من الأطفال مجموعة من السلوكيات العنيفة، اللفظية والجسدية، لكنها لا تثير ردعا ولا عقابا من قبل المربين والمعلمين إلا نادرا، لأنها وبكل بساطة ضرورية ليتعلم التلاميذ قواعد الحياة الاجتماعية في المدرسة، قبل الالتحاق بمؤسسات المجتمع في سن الرشد. وعليه فإن مظاهرها استخدام العنف ضمن الأطر القانونية والمشروعة أكثر من أن تحصى، والدليل على ذلك ما تعدده وتجيده جميع المجتمعات من قوى لحفظ النظام العام، باعتبارها أضمن وأمن وسائل الضبط الاجتماعي، للحفاظ على مؤسسات المجتمع من التنافر والتناحر والتفكك و ما تنفقه كذلك سائر دول العالم على جيوشها من إعداد وإمداد، وسائر الاستثمارات في المجال العسكري، يقينا منها بأنه الدرع الوحيد الذي يضمن حماية مصالحها الإستراتيجية، إن هددت من الخارج وهو ما يسمى في عرف العلاقات الدولية بالسلم المسلح.

فالعنف بهذا الاعتبار، أي القوة الدافعة للحفاظ على مصلحة أو لدرء مفسدة متحققة، سلوك طبيعي وعادي لدى الإنسان، فردا كان أو جماعة أو مجتمعا أو دولة، وهذا التقرير إنما يستند إلى استقراء حوادث التاريخ لسائر الأمم، بل هو استنتاج متاح لكل ملاحظ حصيف النظر، حتى في الحوادث التي تجري بين ظهرانينا اليوم عبر العالم. غير أن التحدي المفروض اليوم على المجتمعات، وما يؤرق أصحاب التشريعات ويجعل من العنف سلوكا إشكاليا، هو عدم تناسب العنف من حيث شدته وحدته ومدته وطريقته ونوعه ومن يقوم به، مع الحدث الذي كان سببا في إنتاجه، أو مع الموضوع

¹ Maurice J. ELIAS and AL. promoting social and Emotional Learning guidelines for Educators.

الموجه إليه، أي تجاوز القدر في اعتبار تحقيق المصلحة والحفاظ عليها، أو دفع المفسدة أو الخطر المحدق بمن يقوم به. ومن المعلوم أن السلوك إنما يكون نتيجة تضافر وتفاعل مجموعة من العمليات الحسية والسيورورات والمعالجات المعرفية و الوظائف الوجدانية، ويكون هذا التفاعل مبنيا على أساس سابق خبرة بالموضوع في الغالب، وعليه فالعنف كسلوك ينتج أو على الأقل تزداد فرص ظهوره كلما أدرك المرء أن شيئا ما يهدده في شخصه، أو بزوال مصلحة أو حلول مضرّة مادية أو معنوية.² المشكلة أن الضرر الذي يخلفه العنف تحت وطأة الانفعال في الغالب، أكثر بكثير من الضرر الذي أريد دفعه به، أو قد يؤدي إلى نتائج تنسف بالمصلحة المبتغاة أو المراد الحفاظ عليها، إلى درجة أن الإنسان الذي سلك سلوك العنف يندم عموما على ما فعل، وما ينفع الندم إذ ذاك، لأن الواقع والمجتمع يحكم عليه بالمسؤولية. ومنه توجب البحث عن الوسائل والآليات التي تعين الإنسان على تفادي أضرار العنف على نفسه وعلى غيره، وهل مجرد الشعور بالتهديد يخول له استخدام العنف، وكيف يمكنه التخلص من وطأة الانفعالات أو التخفيف منها باعتبارها الدافع وراء سلوك العنف؟

السياق العالمي والمحلي :

إن العالم أصبح قرية صغيرة كما يعبرون، بل بيتا واحدا مع هذا التسارع التكنولوجي، وعليه فإنه من غير المتاح عقلا ولا مستساغ منهجيا أن نتناول مشكلة بهذا الحجم بمعزل عن السياق الذي توجه إليه الأحداث في هذا الزمان إن على المستوى العالمي أو الإقليمي أو على المستوى الوطني.³

وعليه فعندما يشاع استخدام السلاح بين الناس فإن ذلك من شأنه أن يكون مسوغا لاستخدام العنف وتوظيف السلاح بأنواعه في حل أدنى النزاعات في المجتمع بل حتى في الأسرة الواحدة أحيانا. لقد أصبحنا اليوم نرى أن هناك تجنيدا للكثير من

² باولو فرايري، تعليم المقهورين. ترجمة يوسف نور عوض.

³ أهيب بالعلماء في سائر العلوم الاجتماعية والإنسانية، أن يفكروا في تأسيس تخصصات علمية تتبنى النظرة الشمولية أو المركبة، ولقد بدأت بوادر حسنة تستحق التشجيع، وتتمثل في إنشاء تخصص علم النفس العبر ثقافي (la psychologie transculturelle)، والذي كان بقيادة هنري ترواداك في فرنسا و السباعي في المغرب، كما ظهرت بعض المبادرات هنا في الجزائر، إذ عقد ملتقى دولي في جامعة البليدة (2) في 2015 تحت عنوان "علم النفس العبر ثقافي".

الوسائل التكنولوجية وخاصة وسائل الإعلام، والتي تمرر من خلالها رسائل ضمنية لا واعية (-messages subliminaux-) لغرس وترسيخ مشروعية العنف بل والحرب، وأن هناك إمكانية التسلي حتى بالعنف من خلال الأفلام و الرسوم المتحركة و الألعاب المختلفة الفردية والجماعية خاصة الألعاب الإلكترونية على شبكة الانترنت، التي توظف العنف بكل أشكاله ووسائله ومستوياته، ما من شأنه أن يجعل قنوات تتسلل ثم تتأسس ثم تستقر وترسخ لدى الطفل من حيث لا يشعر ولا يعي، إذ يقتنع بأنه لا مناص له من توظيف العنف في تسوية النزاعات وإن كانت بسيطة، بل لا بد من استخدامه وإلا فسوف يتلعه الآخرون اعتقادا منه أننا نعيش في عالم شرس، وأن عدم استخدام العنف يسند إلى الجبن والخوار، متجاهلا أو متناسيا منظومته القيمية التي تعلمه أنه " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". هذا التأثير المعرفي يدعمه الواقع الاجتماعي المحلي ابتداء من الأسرة التي تبقى سلبية في أحسن الأحوال، إن لم تدعم هي بدورها سلوك العنف لدى أفرادها ببعض المقولات التي أصبحت تتداول كأنها حكم هذا الزمان (لازم اتكون ذيب لا ياكلوك الذيابة)، كما تدعمه جماعة الرفاق بما توفره من مساحات الحرية والحماية، ومن مكانة القيادة للأعنف من أفرادها وبما تلبس الأعنف منهم بلباس البطولة والشجاعة، وشتى أنواع الامتيازات المادية والمعنوية والتعزيزات الاجتماعية، ما يحول الطفل أو المراهق على الأخص يعيش في المجتمع بمسوغات السباع، لا يرقب حرمة ولا يراعي حقا ولا عرفا ولا قانونا، ويتحول إلى شخص شرس يترىص شرا ومكرا من أجل قضاء مصالحته، ولا يهيمه في ذلك لومة لائم ولا حتى سطوة حاكم، يفعل ذلك ولسان حاله يقول "أنا وبعدي الطوفان". إن هذا الجو المشحون من شأنه أن يجعل الطفل فريسة لانفعالاته، ومن ثم لا يجد سبيلا إلى استعادة توازنه إلا بتفريغ تلك الشحنات الهدامة، وسوف لن يتوانى في اقتناء أكثر الوسائل هدمًا للإنسان وللعمران، أي استخدام السلاح بكل أنواعه، ولا يهيمه حتى أن يدفع أموالا طائلة لذلك الغرض ولو بالسرقة أو بقطع الطريق والسطو على ممتلكات الغير أو ببيع المخدرات، وهو تجسيد واضح للعلاقة مع عروض و مشاهد أفلام الهوليوود أو ألعاب "play station" ما يجعل من الأطفال والمراهقين بصفة أخص مستهلكين أوفياء لأدوات الحرب ومشتقاتها "consommateurs"

fideles des produits de guerre et dérivés " 4 مع العلم أن الطفل قبل سن العاشرة يخلط بين الحقيقة أو الواقع الذي يعيشه وما يتمنى أن يعيشه. فرغم شرح الآباء والمربين أن ذلك مجرد تمثيل سينمائي أو رسوم متحركة ليست حقيقة، أو مجرد لعبة إلا أنها تمثل رصيذا للخبرة المرعبة اللاشعورية التي سيوظفها الطفل لمعالجة وفهم و السلوك إزاء خبرة حياتية جديدة، وإلا كيف نفسر بكاء الطفل عندما يخسر في اللعبة، وغضب المراهقين بل حتى الشباب إذا خسر في لعبة ما خاصة في سياق تنافسي، فهو يتخذها مرجعا من دون أن يشعر لأنها تندمج في مجموع خبراته على قلبها، كما بينت ذلك دراسة إيثا شتاين على أطفال دور الحضانة، فقد عرضت مجموعة من الأطفال 20 دقيقة يرون فيها رسوم متحركة تحتوي سلوكيات عنيفة ثلاث مرات في الأسبوع لمدة شهر كامل فوجدت أن درجة الميل إلى السلوك العدوان وممارسة العنف على الآخرين قد ارتفعت بشكل ملحوظ بالمقارنة مع الأطفال الذين لم يتعرضوا إلى هذه الرسوم.⁵

وعليه بفعل التعرض المستمر لهذه الخبرات، تصبح فكرة استخدام العنف فكرة عادية ومستساغة ومع تكرار و ألفة مظهرها بل وتواطئ المجتمع أحيانا على عدم الوقوف في وجهها بمختلف الوسائل و الآليات المتاحة، يصبح العنف الخيار الوحيد لحل جل النزاعات مهما كانت بسيطة، ذلك أن تضاؤل خبرة أفراد المجتمع في حل مشكلاتهم يوما بعد يوم لا يتيح خيارات أخرى أنفع وأنجع، و يرسخ قناعة مفادها أن العنف هو الحل الأمثل، وسيصبح العنف شيئا فشيئا قيمة اجتماعية، و الخطورة في مثل هذه التغيرات أنها سوف تجهز يوما بعد يوم على منظومة القيم الاجتماعية، و يصبح القوي هو النموذج الاجتماعي الذي يُحتذى به، و يصبح الحق مع الأقوى، فيستبطن الناس هذه القيمة و يتمثلونها، و سوف يجدون في أنفسهم مسوغا يسمح بل ويحرض على التعامل مع الناس بهذا التصور ووفق مقتضى هذا المنطق الجديد، بل سوف يعززون ذلك بتربية أبنائهم وفق ذلك التصور، وإذا دخلت التربية حليفا لأي فكرة حكمت على نظيراتها بالهلاك المبين، وحسنت بذلك المعركة لصالح من تحالفت معه،

⁴ Baudier & B. Céleste. Le développement affectif et social du jeune enfant.

⁵ Alain Berthoz. L'empire caché de nos émotions. Science et vie N°232

ومثاله أن يقابل الانتصار في مشاجرة بين الأطفال بالرضا أو الموافقة أو المكافأة من الأولياء أو المرين، فيتسلل العنف إلى الأسرة التي كانت قبل ذلك الملاذ الآمن لقيم السلم والاطمئنان والسكن النفسي لجميع أفرادها.⁶ ومن صور دخول العنف إلى الأسرة، أن يضبط الأب سلوك أبنائه بالضرب أو الكلام الجارح فإن ذلك من شأنه أن يزيد في تشجيع المنزلق نحو العنف لدى الأبناء و استعمال نفس الوسيلة إذا واجهتهم أدنى مشكلة، فهو يوفر لهم فرصة ذهبية للتعلم بالملاحظة أو التقمص و التقليد والتي تعتبر من التعلّيمات الاجتماعية الأكثر رسوخا في شخصية الطفل، والتي سوف يسطحها الطفل خلال جميع مراحل حياته، إذ يتبنى هو بدوره سلوك العنف كآلية يحل بها كل نزاعاته مع الآخرين، حسب نظرية التعلم الاجتماعي ألبرت باندورا (Bandura). فكيف السبيل إلى التخلص من هذه الدوامة؟

سوف نحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال تحليل العلاقة الوظيفية بين السلوك والانفعالات.

علاقة السلوك بالانفعالات

إن معادلة السلوك العنيف لا تنفك عن المعادلة العامة التي تضبط السلوك الإنساني عموما، وهي أن السلوك إنما هو نتيجة لتفاعل العمليات المعرفية فيما بينها وتفاعل الوظائف الوجدانية فيما بينها وتفاعل مجموعة من العمليات المعرفية والوظائف الوجدانية فيما بينها وبالطبع هذا التقسيم أو التمييز هو تمييز منهجي قصد تيسير الفهم والإيضاح ليس إلا، وإنما الحقيقة أن هذه العمليات والوظائف تعمل في تداخل مستمر بحيث لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، غير أن هذه الورقات لا تركز في تحليل ظاهرة العنف على العمليات المعرفية، إذ حظيت هذه الأخيرة باهتمام كبير على الأقل من حيث البحث العلمي إذا قارناها بالوظائف الوجدانية، والتي توضح اهتمامنا هنا ومدخل التعامل مع ظاهرة العنف، ذلك أن الوظائف الوجدانية تؤثر على العمليات المعرفية وقبلها على العمليات الحسية وبالتالي على إدراك العالم الخارجي ثم

⁶ د. جنسون و. ر. جنسون. التعليم الجماعي والفردي، التعاون والتنافس والفرديّة. ترجمة، رفعت محمود بهجات.

على إنتاج السلوك كما بينت ذلك دراسة أرن أوهمان⁷(A.Ohman,2005) ودراسة أنتونيو داماسيو(A.Damasio,2010)⁸؛ حيث أن الإنسان يتأثر بالمواقف الحياتية وجدانياً قبل الدخول في التعامل معها معرفياً، وذلك من خلال الأثر الذي تتركه على الحواس ثم على الانتباه وإذا تأثر الانتباه تأثر سائر الوظائف المعرفية باعتباره الحلقة الأولى في العمليات المعرفية، وأن الانتباه هو الذي يزود الإنسان بالمادة الأولية حول الموضوع لتسنى له التعامل معه، فإذا خاف الإنسان أو غضب أو حزن أو شعر بالقرع، أو الاحتقار أو بالتهديد أو تعجب من شيء أو انتابه شعور بالفجأة، فإن ذلك الحدث أو الموضوع له الأولوية في التعامل مع إهمال سياقه أو ظروف إنتاجه وأسبابها أو عواقب سلوكه، ذلك أن ميزة الانفعالات أنها تضغط على الإنسان لكي يفكر ويتصرف بطريقة تجعله يغفل العواقب بل لا تتبادر إلى ذهنه، فالانفعالات تهيمن على العقل وتستحوذ على الانتباه على حساب كل الواجبات والاعتبارات، وأنها تفرض على الإنسان الأولوية في توزيع الطاقة، والانتباه وتنفيذ السلوكات وكأنها أوامر، دون الاكتراث بالعواقب. يرى فريجا (N.Fridja,2003)⁹ في هذا السياق، أن الانفعالات تهيمن على التفكير وتستأثر بالانتباه وتصرفه عن الواجبات الأخرى، بل تحجب عن العقل التجاوزات التي قد تنتج عن الاستجابة الآنية واللامشروطة للانفعالات، إنها تفرض على الفرد التعامل معها باعتبار أن لها الأولوية في صرف طاقة النفسية عموماً، وتوجيهها إلى الانتباه وإلى إدراك موضوع الانفعال ومقتضياته المعرفية ومقتضياته السلوكية، إنها تفرض على الفرد تنفيذ الأفعال بصفة لا تقبل التأجيل.¹⁰ ما يستلزم منه التعرف على هذه الانفعالات بل والوعي بها، وتوظيف كل ما يعنيه على فهمها وحسن التعبير عنها ثم حسن التعامل معها وإدارتها، بما يحقق له أهدافه عموماً، أو على الأقل ما يمكنه من التكيف مع المواقف الاجتماعية، قبل أن يقع فريسة لها.

من المعلوم من حيث الدلالة اللغوية، أن هناك فرقا شاسعا بين اسم الفاعل لفعل "غضب" وصيغة المبالغة، فالغاضب كلمة تدل على اسم الفعل يصدر من

⁷ D.Chabot , M.Chabot. PEDAGOGIE EMOTIONNELLE ressentir pour apprendre.

⁸ Antonio Damasio. l'erreur de Descartes, raison des émotions.

⁹ Nico Fridja. Envahi par les Emotions. revue des sciences humaines, n°143,

¹⁰ ياسر العبيتي. الذكاء الوجداني.

صاحبه، أي هو المتحكم في الفعل، بينما تمثل كلمة "غضبان" صيغة المبالغة، وعليه فقد صار الفاعل في حكم المفعول به، ولذلك ورد في الحديث " لا يقض القاضي وهو غضبان"، أي أن القاضي إذا بلغ به الغضب مداه فقد القدرة على الحكم الموضوعي، أي أن عملياته المعرفية لم تعد قادرة على الترجيح والنظر الصحيح للقضايا والأحداث، بل قد اندمج في المشكلة إلى درجة أنه أصبح جزءا منها، فلم يعد يملك القدرة في التعامل مع القضية باستقلالية عن ذاته، وعليه فإن كل إنسان يقع تحت وطأة الانفعالات تضعف كفاءته المعرفية، ولا بد أن يكون على وعي تام بذلك، وإلا ارتكب أخطاء فضيعة، وقد يكون ضررها كبيرا على نفسه وعلى الناس.

إن أول من وضع تصنيفا للانفعالات الأساسية لدى الإنسان هو إيكمان (Paul Ekman 1970)، ويرى أن جميع بني الإنسان يشتركون فيها، ولقد توصل إلى هذا التصنيف بعد رحلة طويلة عبر العالم، لكي يلاحظ تجليات هذه الانفعالات والسلوكيات المصاحبة لها في الثقافات البدائية ويصل إلى قائمة من القواسم المشتركة بين جميع الناس، وحاول ألا يكون عامل اللغة عاملا مؤثرا فيها، أو سائر العوامل الاجتماعية والموروثات الثقافية، أي لا ينبغي أن تتأثر بالتعلم والمكتسبات الاجتماعية، ما جعله يذهب إلى أدغال إفريقيا الوسطى، فقام بملاحظة مجموعة من القبائل، ثم توجه إلى أستراليا وقام بملاحظة قبائل "الأبوريجان" وقبائل أخرى في جزر "أندونيسيا"، إلى أن خلص إلى قائمته المشهورة والمعتمدة اليوم في الولايات المتحدة والتي تضم سبعة انفعالات أساسية هي: الخوف والغضب والحزن والاشمئزاز والمفاجأة والسعادة والاحتقار، وهذه الانفعالات تؤثر على العمليات المعرفية بحسب شدتها وعلى رأسها الانتباه ثم الإدراك ثم الحكم، وقد أكدت ذلك دراسة أوهمان (Arne Ohman)، إذ لاحظت أن الإنسان يستغرق وقتا أقل للتعرف على ثعبان بين أزهار من وقت التعرف على زهرة وسط مجموعة من الثعابين، وهذا شيء فطري لأن الخوف ضروري لحمايتنا من الأخطار. هذا الاستنتاج يصدق كذلك على سائر مجالات الحياة الاجتماعية، فقد وجد ذات الفريق أن الأفراد يتعرفون على 45% من الأوجه البشوشة من بين الأوجه العادية أو المحايدة في حين يتعرفون على 60% من الوجوه العدوانية من بين الوجوه المحايدة.

كما قام زالت (David Zalt,2005) بدراسة في هذا السياق وبين أن الانفعالات تؤثر على القدرات المعرفية في معالجة المعلومات، حيث قام بعرض مجموعة من الصور العادية ثم عرض صورة مائلة وسط صور عادية، فوجد أن 86% من أفراد العينة يتعرفون على الصورة المائلة، أما إذا عرض صورة تمثل انفعالا قبل الصورة المائلة فإن ثلث الأفراد لا يستطيعون التعرف على وضعية الصورة المائلة¹¹. إذن هناك تقرير بتأثر العمليات المعرفية بالانفعالات، ومن المعلوم أن الإنسان عندما يسلك وهو متفاعل إنما يرتكب زلات قد تؤدي إلى هلاكه أو إلى أضرار بالغة به أو بغيره بحسب السياق الواردة فيه وعليه فإنه من المفيد أن يتصرف الإنسان وهو على وعي تام بانفعالاته، حتى يتسنى له التحكم في سلوكاته و معرفة عواقبها. لكن كيف سبيل إلى ذلك؟

يقول جولمان في هذا السياق: "إنني لا أستطيع أن أقرر متى أغضب لكنني مسؤول أمام سلوكاتي الناتجة عن غضبي، لأنني أستطيع التحكم في ذلك"¹²

الكفاءة الوجدانية والأمية الوجدانية:

في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات ظهر هناك مفهوم جديد في ميدان علم النفس وهو مفهوم الذكاء الوجداني والحقيقة أن الفضل يرجع إلى ثورنداك في نهاية الخمسينات من القرن الماضي عندما أشار إلى ضرورة اعتبار الوظائف الوجدانية في السلوك الإنساني ثم إلى جاردنر (Howard Gardner) في بداية الثمانينات، ثم إلى ماير و سالوفي في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات ثم إلى جولمان (Goleman) في عام 1995 والذي بسط وأشاع استخدامات الذكاء الوجداني في أوساط كثيرة خاصة المهنية منها، غير أن أول من وضع تعريفا واضحا لمفهوم الذكاء الوجداني هما سلوفي و ماير إذ يعرفانه بأنه " القدرة على وعي عواطف الذات وحسن إدارتها والقدرة على وعي عواطف الآخرين وحسن إدارتها"¹³. وإذا توقفنا قليلا مع هذا التعريف، نجد أن هناك مقتضيات وأبعاد معرفية ووجدانية يتضمنها هذا التعريف وهي أبعاد رئيسية وكل بعد تندرج تحته أبعاد فرعية كالآتي:

¹¹ D.Chabot , M.chabot.opcit

¹² D.Goleman and al. L' intelligence émotionnelle au travail.

¹³ John D. Mayer, & Salovey,P. Emotional intelligence and the construction and regulation of feeling.

1- وعي عواطف الذات وحسن إدارتها: حتى يكون المرء واعيا بعواطف عليه أن يكون قادرا على حسن التعبير عن انفعالاته، فقد يكون تعبيره عن انفعاله مبالغاً فيه أو لا يصلح المستمعين بما يتفق مع شعوره، بحيث لن يفهموا انفعالاته ولن يكونوا حساسين لما يعانیه. فلا ينخرطون معه عاطفياً، وعليه لا يفهمون تصرفاته إذ هو يتصرف بمقتضى انفعال لم يفهمه وسوف يكون رد فعلهم بمقتضى جهلهم أو سوء فهمهم لشعوره، وبطبيعة الحال سوف لن يوافق رد فعلهم ما ينتظره منهم فيخيب ظنه فهمهم، وسوف يغضب لذلك وقد يولد الغضب سخطا لديهم فيغضبونهم بدورهم لغضبه. ولكم أن تتصوروا حجم المشكلات السلوكية التي يفرضي إليها الغضب، ابتداء من التدابير والإعراض إلى التنافر وانتهاء إلى العنف اللفظي أو الجسدي أو قد يصل حتى إلى الإجمام.¹⁴

هذا وقد يكون المرء تحت وطأة الشعور بانفعال ما، إلا أنه غير قادر إطلاقاً على التعبير عنه، إما لخلل في العمليات المعرفية أو اللغوية أو هما معاً، وإما لخلل قد يصيب الوظائف الوجدانية التي تمكن الفرد من التعرف على طبيعة ما يشعر به، فيصاب بالعجز عن التعبير، وهذا مرض يعرف باسم "الألكشثيميا"¹⁵ (Alexithemia)، وهو عدم القدرة على التعبير بوضوح على الانفعالات بما يجعل الآخرين يفهمون معاناة الفرد، فيصاب الفرد بالخرص أي عدم القدرة على النطق بتاتا، أي أنه لا يستطيع أن يعبر عما يشعر به، أو أن يصاب بتأتأة ظرفية أي مرتبطة بالتعبير على انفعال معين، أو كأن يختلط عليه انفعال الحزن والغضب، فيعبر بتعابير الغضب لفظاً أو سلوكاً لكنه يريد أن يوصل إلى الناس رسالة الحزن ليتعاطفوا معه. والذي لا يعرف أن يوصل للناس ما به يشعر لا يمكنه أن يبني علاقات إيجابية معهم، فهو من جهة يلومهم عن عدم فهمهم وتفهمهم لما يشعر به وهم من جهتهم لا يجدون أية رسالة مفهومة يتعاملون معه وفقها فتحدث القطيعة، وهذا ما نلاحظه جيداً عند الصم البكم وما يظهر لديهم من سلوك عنيف تجاه العاديين، وذلك أن الأصم الأبكم يريد إقامة علاقة مع الناس باعتبار دافع ضرورة الاجتماع (الإنسان اجتماعي بطبعه) لكنه لا يملك الأداة التي بها

¹⁴ Marc A. Brackett, John Mayer and Rebecca M. Waner. Emotional Intelligence and its relation to everyday behavior.

¹⁵ D.Goleman,opcit

يقيم هذه العلاقة، فيدخل بلغة الإشارة التي لا يفهمها منه الإنسان العادي، وعندما لا يفهم يطلب المزيد من الشرح والتوضيح فيحاول الأصبم الأبكم أن يتكلم فتخرج أصوات لا معنى لها مما يجعل الإنسان العادي ينصرف عنه بل ويلحقه بالمتخلفين عقليا وهذا ما يثير غضب الأصبم الأبكم لأنه يرى في تصرف العادي احتقارا له فيثور عليه. أو إنه يفضل الانطواء على ذاته والابتعاد على الناس، وشيئا فشيئا يدخل في دوامة لوم الذات ثم إلى احتقار الذات، وقد يصل ذلك إلى حد الانتحار وهو أقصى صور العنف الموجه نحو الذات. وفي هذا السياق يقول كارو ياماماتو: "إن احترام الآخرين لا ينمو في تربة احتقار الذات"¹⁶

هذا إذن بالنسبة للمقتضى الأول في البعد الأول وهو التعبير الانفعالات، غير أن التعبير لن يتأتى إلا بعد حسن فهم الانفعالات، فيفهم ما الذي وقع له أو عليه وما سبب ذلك، فلا ينبغي أن يخلط المرء بين مشاعر الحزن والغضب مثلا، ففي الكثير من الأحيان يريد الإنسان أن يعبر عن حزنه لشيء فقده أو افتقده، وعندما لا تتناسب عباراته مع شعوره ولا يفهم منه ما يعانيه أو ما أراد تبليغه للآخرين، يتحول إلى شخص شرس غاضب ساخط على كل إنسان، وقد يقبل على ارتكاب سلوك العنف انتقاما أو تفريفا لشحنة الغضب. وإذا لم يحسن الإنسان فهم انفعالاته، كان ذلك أدعى ألا يحسن التعبير عليها بشكل صحيح، وذلك من شأنه أن يؤثر على حسن إدارته لها، وعليه فإما أن يستسلم للمعاناة وينغلق على نفسه ويدخل في دوامة من الانعزال المغذى بسوء الظن في الآخرين، وإما أن يدافع على مصالحه الحيوية ضمن محيطه الاجتماعي بأن يحاول أن يهيمن عليه بكل الطرق، وسوف يؤدي به ذلك إلى الوقوع في صدامات مع الآخرين، وهو ما يبرر له العنف حسب نظره، فتتقلب أفعاله عليه ويبدأ فصلا آخر من المعاناة النفسية والاجتماعية، ويبدأ الصراع مع وخزات الضمير والشعور بالذنب، زائد تحميله المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية أو حتى القانونية، التي تنتهي في الغالب أمام المحاكم أو وراء القضبان.

¹⁶ كتاش مختار سليم. مفهوم الذات وعلاقته بالتفاعل الصفي اللفظي.

2-وعي عواطف الآخرين وحسن إدارتها:

إن الإنسان اجتماعي بطبعه وعليه فهو يميل إلى الالتقاء والتفاعل مع الآخرين، غير أن هذا التفاعل تكتنفه أحداث وهذه الأحداث تنتج مجموعة من الرسائل المعرفية والوجدانية هي التي تقرر مصير العلاقات الاجتماعية، فإذا كانت هذه الرسائل مفهومة وواضحة سهل على المرء التفاعل بمقتضاها، أما إذا كانت غير مفهومة أو غير واضحة أو أحيانا تتضمن مؤشرات كثيرة تدل على التجاهل والإعراض، فإن ذلك من شأنه أن يكون إيذانا بنهاية العلاقة مهما كانت حميمة من قبل هذا في أحسن الأحوال، وإلا تحولت إلى علاقات جديدة لكنها تحت عنوان العداوة والافتراق وعليه فإن الإنسان ملزم بدافعه الفطري أن يقيم علاقات إيجابية مع محيطه الاجتماعي لكن إقامة هذه العلاقات واستمرارها واستقرارها ونموها تقتضي حسن فهم عواطف وانفعالات الآخرين بل ومساعدتهم على حسن التعبير عنها وفهمها ومرافقتهم لحسن إدارتها، ودون التمكن من هذه المهارات مجتمعة لن يتمكن الإنسان من إقامة علاقات مستقرة ومستمرة ومثمرة مهما أوتي من كفاءة في الجوانب المعرفية، ولنا أن ننظر حولنا في الحياة الاجتماعية لنجد الكثير من الحالات التي هذه القاعدة؛ إذ نجد مثلا من الناس من تبوء مكانة اجتماعية مرموقة، ما يدل على كفاءته المعرفية العالية واستحقاقه لها، لكن نجده في المقابل لا يتمتع بسمعة جيدة بين زملائه في العمل بين الموظفين الذين يقعون تحت مسؤوليته، أو قد تجده غير ناجح حتى في حياته الأسرية، وقد يعيش جحيما في بيته وهو لا يعي بأنه هو من أوقد فتيله أنه هو من يغذيه ويذكيه بتصرفاته وفي المقابل يلقي باللائمة على الآخرين.

إنه من الطبيعي أن يتعرض الإنسان لمواقف تثير الغضب، لكن لا ينبغي أن يغضب الفرد لأي سبب وعلى كل الأشخاص أو يعبر عن ذلك بأي طريقة، وهنا نتحدث عن المهارة الذاتية في مقاومة الاندفاع، فهي أصل التحكم في الانفعالات، مادامت الانفعالات هي المحرك الذي يدفع نحو القيام بفعل دون آخر. وتعود صعوبة التحكم في ردود الأفعال وضبط النفس، إلى أن كل إنسان يمتلك دماغين، الأول هو الدماغ المسؤول عن الجانب الانفعالي، والثاني هو الدماغ المسؤول عن الجانب المعرفي المنطقي، وأن أغلب المثيرات التي نتعرض لها تمر أولا بالدماغ الانفعالي ثم تذهب إلى

الدماغ المنطقي، ويمكن أن ينقطع الارتباط بين الدماغيين، فتدفعنا انفعالاتنا إلى القيام بسلوكات نندم عليها في الغالب.

يتبين من هذا أن تحرر الإنسان من وطأة الانفعالات وحفاظه على علاقات جيدة مع محيطه، يقتضي أن يتحرر من ربة أميته الوجدانية على حد تعبير نانسي جراهام (Nancy Graham) والتي من مظاهرها:

- 1-عدم وعي عواطف الذات.
- 2-عدم القدرة على فهم عواطف الذات.
- 3-عدم القدرة على التعبير على عواطف الذات.
- 4-عدم القدرة على حسن إدارة عواطف الذات.
- 5-عدم وعي عواطف الآخرين.
- 6-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على فهم عواطفهم.
- 7-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على التعبير على عواطفهم.
- 8-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على حسن إدارة عواطفهم.
- 9-عدم القدرة على فهم الرسائل الوجدانية للآخرين (خاصة الأطفال والفئات الضعيفة؟!).
- 10-عدم القدرة على نقد عواطف الذات. وعدم تقبل انتقادات الآخرين الموجهة إلى انفعالاته. كأن يببالغ فرد ما في الشعور بالحزن أو الغضب أو أي انفعال آخر، وقد يعبر عنه بتعابير غير مقبولة اجتماعيا، كأن يعبر عن السعادة بالفخر والتكبر.
- 11-عدم القدرة على نقد عواطف الآخرين، فقد يحصل من القرب والاندماج بين الأفراد ما يجعل العمليات المعرفية تتعطل بل عاجزة عن تقديم أي انتقاد لصديقه.

كل ذلك له أثر سلبي على الصحة النفسية للفرد وعلى توافقه النفسي والاجتماعي، ثم على تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسات الاجتماعية وعلى العلاقات بين المؤسسات أو حتى بين المجتمعات. ولعل أوضح مثال على هذا المقال، ما نلاحظه من مظاهر العنف الشائعة والمتزايدة بين الزوجين وهي مشكلة تعاني منها جل المجتمعات اليوم، والتي تنتهي في الغالب إلى الطلاق، هذا بعد أن كانت العلاقة من أو الصلات باعتبار قدسيتهما في أغلب المجتمعات، ومع ذلك حالت الانفعالات دون استمرارها، كل ذلك بسبب عدم وعي الانفعالات وعدم فهمها وسوء التعامل معها وعدم الكفاءة في تسيير وإدارة الانفعالات سواء صدرت من هذا الطرف أو ذاك.¹⁷

إن الذي يجهل عواطفه وعواطف غيره أو يتجاهلها، بالإعراض أو التكبر فإن مصيره إلى الهدم ونعني بالهدم كل صور هدار طاقات الذات وطاقات الآخرين، وكل مظاهر التخريب وإلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالذات أو بالآخرين، والحال على ما سبق الوصف، فإنه لن يقوم للإنسان فرداً أو مجتمعاً عمران، وعليه كيف يمكن أن نرأب الصدوع والأضرار التي يتسبب فيها الإنسان بما يسلك، من جريرة قوة الانفعالات الجارفة؟

الوقاية من الانفعالات:

إن الوقاية خير من العلاج، وليس هناك وسيلة أنفع ولا طريقة أنجع من التربية باعتبار التربية تنظيم مستمر من الخبرة هدفه تعميق محتواها الاجتماعي وتوسيعه في حين يهضم الفرد الوسائل الملائمة لاكتساب هذه الخبرات ويتمثلها.

فالتربية عملية إنسانية هادفة، تقوم على تزويد الإنسان بالخبرة التي تمكنه من بلوغ كمالات ذاته الإنسانية، ولن يتأتى له ذلك إلا بتنمية وتوفير فرص اكتساب تطوير الخبرة الفردية والاجتماعية، مع العلم أن مجالات الخبرة ثلاث: الخبرة الحسية الحركية الخبرة المعرفية والخبرة الوجدانية، والتي نعتقد أنها لم تنل حظها من الاهتمام التربوي لدى الناشئة والتلاميذ، بل حتى عند المعلمين أنفسهم، خاصة عندنا في

¹⁷ Pierre André Doudin & Denis Curchod. La compréhension des Emotions par les enseignants dans une situation de violence à l'école.

الجزائر؛ إذ لم يتلقى المعلمون تكوينا يعنى بتنمية كفاءاتهم الوجدانية خلال جميع مراحل التكوين حتى أثناء الخدمة، أو ما يسمى بالتكوين المستمر، ومن الواضح أن فاقده الشيء لا يعطيه.

إن توفير فرص اكتساب الخبرة الوجدانية الفردية والاجتماعية، ثم تصميم وضعيات تعليمية من أجل تعميقها لدى الفرد بحيث يصبح خبيرا في مجالها، ثم تجنيد جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتوسعها على نطاق اجتماعي كبير لتشمل جميع المجالات وجميع المؤسسات هي الكفيلة بالحد من جعل الإنسان ضعيفا أمام انفعالاته، والتربية هي التي تزوده بالأدوات التي بها يفهم انفعالاته وانفعالات الآخرين وتكسبه اللغة الفصيحة التي تمكنه من التعبير الصحيح والمناسب عن انفعالاته، وبالتالي تمكنه من فهم وإفهام الآخرين بل وتفهم عواطفهم والتعاطف معهم ثم التحرك بإيجابية نحوهم، إن توسيع الخبرة الوجدانية بحيث تصبح منفتحة على معاناة الآخرين ومشاركتهم أقراهم وأفراحهم، وما توفره التربية من فرص التعلم الاجتماعي، حقيق بأن يمد جسور التواصل والتحاور والتفاهم والتعاطف مع الآخرين، وعندما نتحدث عن التربية هنا لا نقصد المدارس فقط، بل كل المؤسسات الاجتماعية التربوية ابتداء من الأسرة إلى المدرسة إلى المسجد إلى دور الشباب والجمعيات وكل الفعاليات الثقافية بل وتشجيع كل مبادرة تجعل الإنسان يتعرف على نفسه ثم يتعرف على الآخر ويعرف نفسه بالآخر ويفسح المجال للآخر أن يعرف نفسه بنفسه، وهذا التجنيد والانخراط لجميع مؤسسات المجتمع، سيحقق بالتراكم في ظرف زمني وجيز جوا من الألفة الاجتماعية، يجعل العلاقات الاجتماعية فعالة، ويبعث دينامية إيجابية، تجعل الأمل ينبثق من جديد في نفوس الناشئة والشباب خاصة، فينأون بأنفسهم عن الانعزال أو الانسحاب عن المجتمع (الحقرة والحرقرة)، بل وينخرطون في كل مبادرة للحيلولة دون الفساد، وفي بناء علاقات مثمرة ومتعاونة في سبل الخير للبلاد والعباد.

قائمة المراجع

1. باولو فرايري، تعليم المقهورين. ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، لبنان. 1980
2. حسين أبو رياش وآخرون. الدافعية والذكاء العاطفي. ط1، دار الفكر، الأردن 2006
3. د. جنسون و ر. جنسون. التعليم الجماعي والفردي، التعاون والتنافس والفردية. ترجمة، رفعت محمود بهجات، عالم الكتب، ط1، القاهرة 1998.
4. سلامة عبد العظيم حسين وطه عبد العظيم حسين. الذكاء الوجداني والقيادة التربوية. دار الفكر، ط1 عمان الأردن 2006
5. كتاش مختار سليم. مفهوم الذات وعلاقته بالتفاعل الصفي اللفظي. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (2) 2001
6. ياسر العيتي. الذكاء الوجداني. دار الفكر، ط1، سورية 2003 .
7. Alain Berthoz. L'empire caché de nos émotions. Science et vie N°232 sept 2005.
8. Antonio Damasio. l'erreur de Descartes, raison des émotions. ed Odil Jacob, Paris 1994.
9. Baudier & B. Céleste. Le développement affectif et social du jeune enfant. Ed Nathan, 3° ed, Paris 2004
10. Céline Clément & Elisabeth Demont. psychologie du développement. Ed Dunod, Paris 2008
11. D.Chabot , M.Chabot. PEDAGOGIE EMOTIONNELLE ressentir pour apprendre .Ed trafford, Canada,2005.
12. D.Goleman and al. L' intelligence émotionnelle au travail. éd Pearson éducation, Paris 2005.
13. D.Goleman. intelligence émotionnelle. Traduction de .D. Roche. ed Robert Laffont.SA. Paris.1999.
14. Daniel Favre. L'agressivité; un déni d'émotivité. revue des sciences humaines, N°190, fev 2008 Auxerre
15. John D. Mayer, & Salovey,P. Emotional intelligence and the construction and regulation of feeling. applied and preventive psychology, 4. 197- 2008.

16. Marc A. Brackett, John Mayer and Rebecca M. Waner. Emotional Intelligence and its relation to everyday behavior. university of New Hampshire, department of psychology, 10 library Way, Durham, NH 03824, USA. www. sciencedirect.com/science
17. Maurice J. ELIAS and AL. promoting social and Emotional Learning guidelines for Educators. Published by ASCD, Virginia 1997
18. Nico Fridja. Envahi par les Emotions. revue des sciences humaines, n°143, aout- sep 2003
19. Pierre André Doudin & Denis Curchod. La compréhension des Emotions par les enseignants dans une situation de violence à l'école. Travaux du Symposium: Emotions et compétences émotionnelles des personnels éducatifs et scolaires: quels impacts sur la pédagogie et le bien-être au travail? . actualité de la recherche en éducation et en formation, Strasbourg 2007
20. Véronique Christophe. Les Emotions. presse universitaire du Septentrion, Paris 1998

الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين باضطراب التوحد

. دراسة ميدانية .

أ. إحسان براجل جامعة بسكرة. أ.د نورالدين جبالي جامعة باتنة

الملخص

هدف البحث الحالي إلى الكشف عن درجة الضغط النفسي الذي تعاني منه عينة من أمهات الأطفال التوحديين، والتعرف على طبيعة الفروق بين الأمهات في درجة الضغط النفسي تبعاً لمتغيرات الدراسة (سن الأم ، المستوى التعليمي للأم، عمل الأم). وتكونت عينة الدراسة من 33 أما من ولاية باتنة. وتم الاعتماد على المنهج الوصفي وذلك لمناسبته لموضوع البحث. ولتحقيق أهداف البحث، قمنا بتصميم استبيان خاص بالضغوط النفسية لدى الأمهات، و تم حساب الخصائص السيكومترية للأداة. تم حساب الصدق بطريقة الاتساق الداخلي، إذ تراوحت معاملات الارتباط بين (0,84) و(0,93) ، بينما تم حساب الثبات بطريقتين: طريقة التجزئة النصفية (0,87)، و طريقة ألفا كرونباخ (0,91) وهي معاملات عالية تعبر عن صدق و ثبات الاستبيان.و تم استخدام النسب المئوية في تحديد خصائص العينة، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة درجة الضغط النفسي، اختبار (ت) لتحديد الفروق بين الأمهات من حيث

متغيرات الدراسة. و جاءت نتائج البحث

كالآتي:

- تعاني أمهات الأطفال التوحديين من درجة متوسطة من الضغط النفسي و ذلك بمتوسط حسابي = 3,28.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعاً لمتغيرات البحث (السن المستوى التعليمي، العمل)

Abstract: Psychological stress

The Current research aims to investigate the stress experienced by a number of mothers of children with autism. In addition to the variation in its degrees, mainly depending on the different variables of this study (mother's age, mother's educational level as well as mother's job).The sample of study was thirty three women (33) from Batna City .In her inquiry, the researcher used the descriptive method as to its relevance to the nature of the investigation.In order to achieve satisfactory results, the researcher has designed a questionnaire about mothers suffering from stress.

The Validity psychometric properties of the tool were carefully calculated for: internal consistency, the correlation ranged between (0.84) and (0.93) while reliability was measured in two ways: Split-half (0.87), Cronbach's alpha (0.91) which are high transactions

The researcher has used percentages in determining the properties of the sample, averages and standard deviations to know the degree of psychological stress, besides using(the t-test) to determine the differences between the mothers in terms of the variables of the study.

The study results were as follows: - Mothers of children with

autism suffer from a medium degree of psychological stress. (Average = 3.28)

- No statistically significant differences in the degree of stress among mothers of children with autism depending the age, the level of educational and the work.

مقدمة:

يعتبر التوحد اضطرابا نمائيا يظهر خلال السنوات الأولى من حياة الطفل، يعيق تطوير المهارات الاجتماعية والتواصل اللفظي وغير اللفظي واللعب التخيلي والابداعي للطفل، وهو نتيجة اضطراب عصبي يؤثر سلبا على حياة الطفل، ويجعله يعيش في اضطرابات ومعاناة، ويسبب له مشكلات في المهارات الاجتماعية تتمثل أساسا في عدم القدرة على الارتباط وتكوين العلاقات مع الأفراد المحيطين به. ويعد اكتشاف اضطراب التوحد لدى الطفل بمثابة حدث ضاغط و صادم للوالدين، يؤدي إلى تغير في الأدوار الأسرية، وما يصاحب ذلك من ردود فعل انفعالية لفقدان الأولياء لآمالهم و طموحاتهم المرتبطة بميلاد الطفل، خاصة الأم التي تعتبر الفرد الأقرب للطفل، والتي تتحمل مسؤولية رعايته، فالعناية بالطفل التوحدي تتطلب إشرافا مكثفا و اهتماما خاصا، ومعاملة مميزة. فهو أكثر الفئات الخاصة صعوبة في فهمها و التعامل معها، لأن التوحدي يكون أكثر انغلاقا على ذاته. ومن ثم فإن التعامل معه يصبح أمرا صعبا، مما يضع الأم تحت ضغوط نفسية كبيرة.

1- إشكالية الدراسة و تساؤلاتها: تعتبر إعاقة التوحد من أكثر الإعاقات العقلية صعوبة و شدة من حيث تأثيرها السلبي على الطفل، وعلى قابليته للتعلم و الاندماج مع الآخرين أو الاستقلال عنهم أو الوصول إلى النضج الاجتماعي، و تتزايد هذه الصعوبات نظرا لما يحيط بهذه الإعاقة من غموض سواء على مستوى التشخيص، أو على مستوى فهم الأسرة لها، أو أسلوب التعامل مع الطفل، حيث يتصف الطفل التوحدي بمشكلات تتعلق بإقامة علاقات اجتماعية و المحافظة عليها. و يعتبر التوحد من الاضطرابات النمائية الأكثر شيوعا عند الأطفال، حيث تشير الدراسات إلى أن هناك طفل توحدي لكل 872 طفل في عام 2007⁽¹⁾. و إذا كان اضطراب التوحد من أشد الاضطرابات صعوبة بالنسبة للطفل فهو أيضا يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة للأسرة، و ذلك لأن الطفل التوحدي يتصف بقصور و تأخر في النمو الاجتماعي و التواصل مع الآخرين. و لقد بدأ المتخصصون في الإرشاد و التأهيل النفسي و الاجتماعي حديثا بالاهتمام بآباء و أمهات الأطفال التوحديين، و أدركوا الضغوط و الصراعات الموجودة لديهم، فوجود طفل توحدي في أسرة ما يسبب لها مشكلات إضافية، و علاقات أسرية أكثر تعقيدا، و قد يكون له الأثر الكبير في إحداث تغيير في تكييف الأسرة، و إيجاد خلل في التنظيم

النفسية الاجتماعي لأفرادها، خاصة الأم التي تواجه العديد من المشكلات و الصعوبات في ظل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المعاصرة نتيجة لتعدد أدوارها كزوجة و أم و ربة منزل و في الكثير من الأحيان امرأة عاملة، مما يعرضها لكثير من الضغوط النفسية⁽²⁾ بالإضافة إلى اعتبارها الشخص القائم برعاية هذا الطفل. و حسب(الدعدي، 2009)⁽³⁾ فإن أهم المشكلات التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين تكمن بشكل عام في الأزمت الزوجية ، زيادة العدوانية ، القلق و التوتر و الصعوبات المادية، و العزلة عن الناس. وقد أشارت العديد من الدراسات من بينها دراسة (العضل،2012)⁽⁴⁾ والتي اهتمت بالجانب النفسي لأسر المعاقين إلى أن معظم هذه الأسر تتعرض لضغط نفسي شديد مقارنة بأسر الأطفال العاديين؛ إذ أن وجود طفل توحدي في أي أسرة يعتبر صدمة عامة لأفراد الأسرة.

ونظرا للآثار السلبية التي يخلفها اضطراب التوحد على الحالة النفسية للأم، و التي تتمثل أساس في مشاعر اليأس و الإحباط و المشكلات الاجتماعية، و القلق على مستقبل الطفل. فإن التساؤل الإشكالي للبحث يتمثل في:

- ما درجة الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال التوحديين؟ وهل تختلف درجة الضغط لديهم باختلاف متغيرات الدراسة؟

و يمكن من خلال التساؤل العام وضع التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما درجة الضغط النفسي الذي تعاني منها أمهات الأطفال التوحديين؟
2 - هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير السن؟

3 - هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير المستوى التعليمي؟

4 - هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير العمل؟

2. فرضيات البحث:

1 - تعاني أمهات الأطفال التوحديين من درجة مرتفعة من الضغط النفسي.

2 - توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير السن.

3 - توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعاً لمتغير المستوى التعليمي.

4 - توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعاً لمتغير العمل.

3 - أهمية البحث :

تتمثل أهمية البحث الحالي في:

- كونه يتعامل مع الأم التي تقع عليها مسؤولية رعاية الطفل التوحدي ، و توفير متطلباته ، و بما أن هناك طفل توحدي في الأسرة فإن ذلك يؤثر على الأم بطريقة مباشرة ، مما يجعلها معرضة للتوتر والضغط النفسي.

- يمكن أن تسهم نتائج هذا البحث في وضع برامج تدريبية و علاجية للتعامل مع مشكلة الضغوط النفسية للأمهات لتخفيف أعراضها و محاولة علاجها.

- يساهم في نشر الوعي باضطراب التوحد في أوساط الأمهات .

4- أهداف البحث : يهدف البحث الحالي إلى:

- التعرف على درجة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين.

- التعرف على إذا ما كانت هناك فروق في درجة الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال التوحديين تعزى لمتغير السن.

- التعرف على إذا ما كانت هناك فروق في درجة الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال التوحديين تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

- التعرف على إذا ما كانت هناك فروق في درجة الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال التوحديين تعزى لمتغير العمل.

5 – التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث:

تعريف الإجرائي للتوحد:

يقصد بالتوحد في البحث الحالي : اضطراب في النمو يؤثر على التفاعل الاجتماعي و مهارات التواصل لدى الطفل. و يحدد الطفل التوحدي بناء على تشخيصه في المركز المتخصص.

التعريف الإجرائي للضغوط النفسية: يقصد بالضغوط النفسية في البحث الحالي :
الدرجة التي تتحصل عليها الأم من خلال إجاباتها على استبيان الضغوط النفسية
المستخدم في الدراسة.

إطار النظري للدراسة

3. مفهوم التوحد : إن البحث عن تعريف محدد للتوحد سيكون صعبا و ذلك نظرا
لقلة الدراسات التي تناولت هذا النوع من الاضطرابات النمائية، و سنعرض مجموعة
من التعريفات :

يطلق (سليمان، 2001)⁽⁵⁾ على اضطراب التوحد اسم الذاتوية الطفولية " Childhood
autism " ويعرفه على أنه نوع من أنواع الاضطراب الارتقائي المنتشر يتمثل في:
- نمو وارتقاء غير طبيعي أو مختل قبل 3 سنوات.

-الأداء غير الطبيعي في المجالات النفسية الثلاثة : التعامل الاجتماعي /التواصل
والسلوك المحدد المتكرر /مشكلات أخرى مثل : الرهاب، المخاوف المرضية، اضطراب
النوم والأكل،عدوان موجه نحو الذات.

و ترى "كريستين مايلز"(1994) أن التوحد حالة غير عادية، لا يقيم الطفل
فيها أي علاقة مع الآخرين، ولا يتصل بهم إلا قليلا جدا، و التوحد مصطلح يجب
استخدامه بحذر، فهو لا ينطبق على الطفل الذي قد يكون سلوكه الشاذ ناجما عن
تلف في الدماغ، و لا يمكن استخدامه في الحالات التي يرفض فيها الطفل التعاون بسبب
خوفه من المحيط غير المألوف، و يمكن أن يصاب الأطفال من أي مستوى من الذكاء ب
التوحد مع الخيال، و قد يكونوا طبيعيين، أو أذكيا جدا، أو متخلفين عقليا.⁽⁶⁾ و تعرف
الجمعية الأمريكية التوحد على أنه خلل في تطور وظائف المخ والذي بدوره يتركز في
المناطق الخاصة بالتخيل و التفاعل الاجتماعي و مهارات التواصل، كما أن أحد أكثر
التعاريف المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية يتناول اضطراب التوحد على أنه يقع
ضمن مجموعة اضطرابات تسمى اضطرابات النمو التطورية، و يشترط أن يظهر الطفل
أعراضا واضحة ضمن ثلاثة مناطق أساسية هي:

1- ضعف دال في التفاعل الاجتماعي.

2- ضعف دال في مهارات التواصل .

3- سلوكيات و أنشطة تكرارية و نمطية.⁽⁷⁾

ويعرف التوحد أيضا على أنه اضطراب معقد في النمو يؤثر على وظائف الدماغ، ما يجعل من المستحيل إقامة روابط اجتماعية مع العالم المحيط.⁽⁸⁾

2 . مفهوم الضغط النفسي : تعددت تعريفات الباحثين للضغط النفسي تبعا للتوجهات النظرية التي يتبناها كل منهم، فبالنسبة لعلماء النفس قد عرضوا ثلاثة طرق في وصفهم للضغوط ؛ إذ يمكن وصف الضغوط النفسية على أنها:

مثير Stimulus: ويظهر الضغط كمنبه خارجي في مواقف كالتالي : لدي كم كبير من الضغوط، لدي ثلاث امتحانات الأسبوع القادم، لقد فقدت مذكرتي، عربتي تحطمت. وهي في مجملها أمور تتعلق بالبيئة الخارجية، أي منبهات خارجية ليس للفرد دخل فيها..

استجابة Reponse : يوصف الضغط كاستجابة، وتصنف الاستجابة إلى ثلاثة مكونات : معرفية، نفسية، وسلوكية. وتكون استجابات الفرد كالتالي : لدي مشكلة كبيرة، أشعر أن هناك ضغوط كثيرة تحوطني. ويعتبر وجود المشاعر السلبية محدد لاستجابات الضغوط، أي أن الضغط ناتج عن تقدير الفرد للموقف على أنه ضاغط. التفاعل بين الفرد/ الموقف Person- situation interaction : وينشأ الضغط نتيجة لتفاعل الفرد مع البيئة، وهذا الرأي يجمع بين الرأيين السابقين من حيث النظر إلى الضغط كمنبه، واستجابة، فهو يجمع بين كليهما، بل و يضيف التفاعل بينهما، ليشكل كل منهما الموقف الضاغط⁽⁹⁾.

و تعرف الضغوط إجمالا بأنها العلاقة بين الفرد و البيئة التي يرى الفرد أنها تفوق أو تقل عن قدراته وإمكاناته و تهدد رفاهيته النفسية⁽¹⁰⁾.

و يعرف "فرج طه و آخرون (1993) في موسوعة علم النفس و التحليل النفسي أن مفهوم الضغط النفسي يشير إلى وجود عوامل خارجية ضاغطة على الفرد سواء بكليته أو على جزء منه و بدرجة تولد لديه إحساسا بالتوتر أو تشويها في تكامل شخصيته، و حينما تزداد شدة هذه الضغوط فإن ذلك قد يفقد الفرد قدرته على التوازن و يغير نمط سلوكه عما هو عليه إلى نمط جديد.⁽¹¹⁾

3- الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين:

إن الآثار و النتائج المترتبة عن ولادة طفل توحدي في الأسرة تشمل جميع أفراد الأسرة، إلا أن الأم هي أكثر من يعاني من ذلك الحدث، وهي الأكثر عرضة لخطر المشاكل

والضغوط النفسية، حيث أظهرت الدراسات أن الأم أكثر عرضة للمعاناة من هذه النتائج الضارة من تلك التي يتعرض لها الأب.⁽¹²⁾

وقد وصف بعض الباحثين أمهات الأطفال المتوحدين ، أنهن أمهات تتصفن بالانغلاق على ذواتهن ، باردات انفعاليا ، منعزلات على أطفالهن المضطربين ومنسحبات اجتماعيا ، ويقصد بذلك أن الأم تعاني اتجاه ابنها المتوحد ، نتيجة عجزه عن الاستجابة لها⁽¹³⁾. وقد حدد محمود الدسوقي في دراسته الميدانية الضغوط التي تتعرض لها أمهات الأطفال التوحديين:

- الضغوط النفسية: وهي الحالة التي توجد عليها الأم نتيجة وجود عوامل خارجية ضاغطة (إصابة الطفل بالتوحد)، مما يولد لديها الإحساس بالعجز والإحباط، و الإحساس بالقلق و التوتر الذي يفقدها اتزانها، و عدم قدرتها على أداء وظيفتها، و تنقسم هذه الضغوط إلى :

- الإحساس بالإحباط و العجز عن مواجهة تلك الكارثة، و عدم القدرة على رعاية الطفل أو الاستجابة للمطالب التي يفرضها وجوده.

-الإحساس بالقلق و التوتر على مستقبل الطفل وكيفية المحافظة على حياته و حياة أسرته، و المخاطر التي يمكن أن يسببها وجوده في الأسرة.⁽¹⁴⁾

- الضغوط الاجتماعية: وهي الأحداث الحياتية التي ترتبط بعلاقة الأم بالمجتمع و أفرادها خاصة فيما يتعلق بوجود الطفل التوحدي في الأسرة، و التي تمثل في شعور الأم بالخوف و عدم الراحة و العلاقة بالآخرين و نظرة المجتمع.

- الضغوط الأسرية : وهي الظروف الشديدة التي تحدث تغييرا في نظام الأسرة ، و ذلك بفقدان العلاقات مع الأبناء، التشاجر بين الزوجين، الشعور بالخجل و ترك العمل لرعاية الطفل.

- الضغوط الاقتصادية: و يقصد بها الإمكانيات المادية من ميزانية الأسرة التي تنفق في علاج الطفل، و التي ترتبط بميزانية الأسرة و التكاليف الطبية و نظام الغذاء و الرعاية.

إن تعرض الأمهات للضغوط النفسية بسبب مواجهة أزمة التوحد يؤدي بها إلى عدم الاتزان و الحاجة إلى المساعدة الخارجية لاستعادة التوازن و التكيف مع وجود طفل توحدي، لذلك يجب الإشادة إلى المطالب الضرورية اللازمة لمساعدة الأم على مواجهة متطلبات رعاية ابنها التوحدي، مع تخفيف حدة الضغط الذي تعاني منه، و

محاولة الحفاظ على الاتزان الجسدي و النفسي. بالإضافة إلى تلبية حاجات الأمهات المتعلقة بالخدمات اللازمة أو الأهداف المرجو تحقيقها من أجل الشعور بالرضا بعيدا عن الضغوط. وتصنف هذه الحاجات فيما يلي:

- الحاجة إلى المعلومات الخاصة بإعاقة طفلها.

- الحاجة إلى الدعم بكافة أنواعه.

- الحاجة إلى المساعدة والتعايش مع المشكلات الأسرية.⁽¹⁵⁾

و هناك العديد من المتغيرات المرتبطة بالضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين:

- أهمية العلاقة بين الأم و الطفل التوحدي:

يجب العمل على تحسين العلاقة بين الأم و الطفل التوحدي من خلال تغيير نظرتها و اتجاهاتها نحو طفلها، فالعلاقة الجيدة بين الأم و الطفل تشعرها بالسعادة و الرضا عن دورها، و تجعلها أقل حزنا و كآبة.

- عمل الأم و تأثيره في مستوى الضغوط النفسية لدى أم الطفل التوحدي:

فقد توصلت العديد من الدراسات إلى أن الأمهات اللاتي لا يعملن لديهن مستوى أعلى من القلق و الحزن و الكآبة مقارنة بالأمهات العاملات، لأن عمل المرأة يشغلها عدم التفكير في إعاقة طفلها، و يشعرها بأنها تؤدي دورا هاما إضافة إلى دورها الأمومي، في حين يرى آخرون أن العمل مصدر للضغوط لأنه عبء و جهد إضافي للأم يرهقها و يزيد من مسؤولياتها.

- الحالة الصحية لأم الطفل التوحدي:

تؤثر الحالة الصحية للأم على قدرتها في رعاية طفلها و العناية به يوميا؛ فالأم التي لا تتمتع بالصحة الجيدة قد تجد صعوبة في التغلب على المشكلات المسببة للضغط. كما أن الضغوط النفسية الناجمة عن رعاية طفل توحدي يمكن أن تتسبب في أعراض جسدية و نفسية.

- عمر الأم و مستوى تعليمها: حيث يعتقد أن الأم الأصغر سنا أكثر قدرة على تلبية حاجات الطفل و تقديم الدعم له، مما يقلل لديها من مستوى الضغوط النفسية، كما أن الأم ذات المستوى التعليمي المرتفع أكثر قدرة في الحصول على المعلومات المتعلقة بإعاقة طفلها و الخدمات المتوفرة، كما أنها تصبح أكثر قدرة على استيعاب حالة الطفل

و بالتالي تكون أقل عرضة للضغوط النفسية أقل من الأم الأقل تعليماً.⁽¹⁶⁾
الجانب الميداني للبحث:

1. حدود البحث: تمت الدراسة الأساسية في مدينة باتنة وبالتحديد قسم استشفاء الأطفال في المؤسسة الاستشفائية للأمراض العقلية - المعذر- ولاية باتنة على عينة قوامها (33) أم لطفل توحدي في الفترة الممتدة من: 21 ماي 2013 إلى غاية 29 ماي 2013.

2. منهج البحث: تم اتباع المنهج الوصفي، وهذا لمناسبته لموضوع البحث الحالي
3. عينة البحث: تتمثل عينة البحث في (33) أم لطفل توحدي، وتم اختيارها بطريقة قصدية، وتم الوصول إلى 28 أم من المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في الأمراض العقلية بمدينة المعذر باتنة، أما البقية فقد تم الوصول إليها من خلال اتصالات شخصية في أماكن مختلفة من مدينة باتنة. ونظرا لصعوبة توسيع العينة وعدم تجاوب البعض من الأمهات، تم الاكتفاء بهذا العدد.

جدول رقم (1): يبين مواصفات العينة الأساسية.

المتغيرات المستقلة	مستويات المتغيرات المستقلة	التكرار	النسبة المئوية
سن الأم	أقل من 40 سنة	18	54.5%
	40 سنة فما فوق	15	45.5%
عمل الأم	غير عاملة	21	63.6%
	عاملة	12	36.4%
المستوى التعليمي للأم	ثانوي وأقل	18	54.5%
	جامعي فما فوق	15	45.5%
المجموع		33	100 %

4. أداة البحث:

أ - استعنا باستبيان " الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين بمتلازمة داون " من إعداد جبالي صباح (2013)، و استفدنا من هذا الاستبيان، حيث قمنا بإعادة صياغة بعض البنود الواردة فيه بطريقة تتناسب مع موضوع البحث الحالي، و استكملت باقي البنود من مراجعة الدراسات السابقة، بالإضافة إلى الاستنتاجات الأخرى من الإطار النظري للبحث.

ب - تم عرض الاستبيان في صورته الأولية على (10) محكمين من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الحاج لخضر- باتنة و جامعة محمد بوضياف - مسيلة، للتأكد من مدى مناسبة فقرات الاستبيان وشموله للعناصر الرئيسة المراد تحديدها وتقييمها، وكذا مدى كفاية المفردات الفرعية الخاصة بكل محور، ومناسبة أسلوب التقدير المقترح، حيث يقابل كل عبارة خمسة بدائل (بدرجة ضعيفة جدا - بدرجة ضعيفة، بدرجة متوسطة، بدرجة عالية، بدرجة عالية جدا).

ج - بعد تقييم النتائج تم الأخذ بالاقترحات المناسبة والمتفق عليها، حيث أجمع معظم المحكمين على مناسبة أغلب البنود لموضوع البحث. لحساب صدق الاستبيان تم الاعتماد على صدق الاتساق الداخلي،. وتبين أن جميع معاملات الارتباط بين المحاور والدرجة الكلية للاستبيان مرتفعة ودالة إحصائيا عند المستوى (0,01) حيث تراوحت بين (0,84) و (0,93) وذلك ما يؤكد صدق اتساق محتوى المحاور مع الدرجة الكلية لاستبيان الضغوط النفسية. وقد تم حساب ثبات للاستبيان بطريقتين هما: - معامل ألفا كرونباخ: 0.91 وهو معامل عال .

- طريقة التجزئة النصفية: 0.87 وهو بدوره عال ومقبول، مما يعني أن للاستبيان ثابت فيما يعطي من نتائج.

5 . عرض النتائج: نتائج الفرضية الأولى:- تعاني أمهات الأطفال التوحديين من درجة ضغط نفسي كبيرة لتفسير الاستجابة على أداة البحث، ومعرفة درجة الضغط النفسي تم اعتماد وترتيب المتوسطات الحسابية للعبارات حسب المحك التالي: المتوسطات من (1-1.49): ضغط ضعيف جدا. المتوسطات من (1.5-2.49) ضغط ضعيف. المتوسطات من (2.50-3.49) ضغط متوسط.

المتوسطات من (3.50- 4.49) ضغط كبير.

المتوسطات من (4.50- 5.00) ضغط كبير جدا .

-المحور الأول: ضغوط تتعلق بحالة الأم:

جدول رقم(2): يبين درجة الضغط النفسي لدى الأمهات في محور الضغوط المتعلقة بالحالة الذاتية للأم

الرقم	العبارات	المتوسط	الانحراف	الرتبة	درجة الضغط
1	أشعر بالتعب بعد كل عمل أقوم به لأن ابني توحيدي	3.06	1.19	6	متوسط
2	ترهقني متطلبات ابني التوحيدي	3.42	1.25	4	كبير
3	يؤلمني عدم قدرتي على التعامل مع ابني التوحيدي	3.15	1.48	5	متوسط
4	أشعر أن حياتي قد تحطمت بعد أن علمت بحالة ابني التوحيدي	2.87	1.53	9	متوسط
5	أعاني من صعوبة في النوم لأن ابني توحيدي	2.84	1.46	10	متوسط
6	أشعر بالحزن حينما أدرك أن ابني التوحيدي لن يعيش حياة طبيعية	4.27	.91	1	كبير
7	أجد صعوبة في وضع خطط لحياتي المستقبلية لأن ابني توحيدي	2.90	1.40	8	متوسط
8	أشعر بالضيق حينما أفكر في مستقبل ابني التوحيدي	4.18	1.10	2	كبير
9	أشعر بالقلق دون مبرر	3.06	1.47	7	متوسط
10	تخليت عن كثير من الأشياء التي طالما تمنيتها بسبب ابني التوحيدي	3.72	1.20	3	كبير
11	أشعر بضيق في التنفس دون سبب واضح	2.63	1.34	11	متوسط
-	المحور ككل	36.15	8.03	-	-

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا بأن درجة الضغط متوسطة في كل من البند

1،3،4،5،7،9،11، بينما كانت درجة الضغط كبيرة في البنود:2،6،8،10.

2-المحور الثاني: ضغوط تتعلق بخصائص الطفل التوحدي

جدول رقم(3): بين درجة الضغط النفسي لدى الأمهات في محور الضغوط المتعلقة بخصائص الطفل التوحدي

الرقم	العبارات	المتوسط	الانحراف	الرتبة	درجة الضغط
1	يقلقني أن ابني التوحدي يواجه صعوبة كبيرة في الفهم	3.33	1.08	4	متوسط
2	أشعر بأن إمكانيات ابني التوحدي محدودة	2.75	1.14	8	متوسط
3	يزعجني أن ابني التوحدي لا يستطيع مواجهة الحياة مثل الآخرين	3.78	1.24	3	كبير
4	تقلقني صعوبة تعلم ابني للمهارات البسيطة	3.12	1.43	5	متوسط
5	أشعر بالحزن لأن ابني التوحدي لا يستطيع التعبير عن مشاعره	4.18	.98	1	كبير
6	يزعجني عدم قدرة ابني التوحدي على الحفاظ على نظافته	2.84	1.52	7	متوسط
7	أشعر بالقلق لأن ابني التوحدي يجد صعوبة في ارتداء ملابسه	2.90	1.25	6	متوسط
8	يزعجني أن ابني التوحدي لا يستطيع التعرف على عنوان المنزل	3.96	1.26	2	كبير
9	يقلقني عدم مقدرة ابني التوحدي على تبادل الابتسامه	2.09	1.23	9	ضعيف
-	المحور ككل	29.00	7.30	-	-

يتبين من خلال الجدول أن درجة الضغط ضعيفة في البند 9، بينما في البند 1,2,4,6,7 فقد كانت درجة الضغط متوسطة، وكانت درجة الضغط كبيرة في كل من البند 3,5,8.

3 -المحور الثالث: ضغوط تتعلق بالحالة الاجتماعية للأم.

جدول رقم(4): بين درجة الضغط النفسي لدى الأمهات في محور الضغوط المتعلقة بالحالة الاجتماعية للأم

الرقم	العبارات	المتوسط	الانحراف	الرتبة	درجة الضغط
1	يصعب علي زيارة الأقارب وقت ما أشاء لأن لي ابن توحدي	3.15	1.34	4	متوسط
2	يؤلني عدم تواجد الدعم المناسب لأسرة الطفل التوحدي	4.18	1.18	2	كبير
3	أشعر أن أقاربي يتجنبون التعامل مع أسرتي بسبب ابني التوحدي	2.27	1.30	6	ضعيف
4	من الصعب إدراك الآخرين لمعاناتي مع ابني التوحدي	4.18	.98	1	كبير
5	أشعر أن علاقاتي الأسرية تغيرت بسبب وجود ابني التوحدي	2.96	1.31	5	متوسط
6	من الصعب تقبل نصائح الغير بأن التعامل مع الطفل التوحدي أمر طبيعي	3.48	1.20	3	متوسط
-	المحور ككل	20.24	4.05	-	-

الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين باضطراب التوحد أ: إحسان براجل، أ.د نورالدين جبالي

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا بأن درجة الضغط كانت كبيرة في كل من البندين 2 و 4، بينما في البندين 5 و 6 فقد كانت درجة الضغط متوسطة، أما في البند 3 فقد كانت درجة الضغط ضعيفة.

جدول رقم(5): بين درجة الضغط النفسي لدى الأمهات في استبيان الضغوط النفسية

رقم	المحور	المتوسط	الأصناف	الرتبة	عدد البنود	الحسابي الكلي المتوسط	درجة الضغط الكلية
1	ضغوط تتعلق بخصائص الطفل التوحدي	36.15	8.03	1	11	3,28	متوسط
2	ضغوط تتعلق بالحالة الذاتية للأم	29.00	7.30	2	9		
3	ضغوط تتعلق بالحالة الاجتماعية للأم	20.24	4.05	3	6		
-	استبيان الضغوط النفسية	85.39	16.80	-	26		

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن أمهات الأطفال التوحديين تعاني من درجة ضغط متوسطة و ذلك بمتوسط حسابي = 3,28.

نتائج الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعاً لمتغير السن

جدول رقم (6): يبين دلالة الفروق بين أفراد عينة الدراسة في أبعاد مقياس الضغط النفسي و الدرجة الكلية للضغط النفسي تبعاً لمتغير السن

الدلالة	اختبار "ت"	الأصناف	المتوسط	العدد	السن	المحور
0,19 غير دال	1,33	9,69	37,83	18	أقل من 40 سنة	ضغوط تتعلق بخصائص الطفل التوحدي
		5,05	34,13	15	40 سنة فما فوق	
0,37 غير دال	0,90	7,69	30,05	18	أقل من 40 سنة	ضغوط تتعلق بالحالة الذاتية للأم
		6,83	27,73	15	40 سنة فما فوق	
0,89	0,13	3,98	20,33	18	أقل من 40 سنة	ضغوط تتعلق بالحالة الاجتماعية للأم

غير دال		4,27	20,13	15	40 سنة فما فوق	
0,29	1,06	19,14	88,22	18	أقل من 40 سنة	استبيان الضغوط النفسية
غير دال		13,34	82,00	15	40 سنة فما فوق	

للتذكير قيمة " ت " المجدولة عند 0.05 تساوي القيمة: 2.03 وعند 0.01 تساوي القيمة:

2.74 عند درجة الحرية: 31

من خلال الجدول، نلاحظ أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي 1,33 في محور الضغوط المتعلقة بخصائص الطفل التوحدي بدلالة 0,19 و هو غير دال، بينما المحور الثاني الضغوط المتعلقة بالحالة الذاتية للأم فقد كانت قيمة (ت) 0,90 عند دلالة 0,37 و هو غير دال، أما المحور الثالث الخاص بالضغوط المتعلقة بالحالة الاجتماعية للأم فقد وصلت قيمة (ت) 0,13 بدلالة 0,89 و أيضا غير دال، بينما وصلت قيمة (ت) المحسوبة 1,06 في الاستبيان ككل بدلالة 0,29 و هي قيمة غير دالة. من خلال النتائج الموضحة في الجدول، وبما أن كل القيم غير دالة، فإننا نخلص إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعا لمتغير السن.

نتائج الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير المستوى التعليمي

جدول رقم (7): يبين دلالة الفروق بين أفراد عينة الدراسة في أبعاد مقياس الضغط النفسي
الدرجة الكلية للضغط النفسي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي

المحاور	المستوى التعليمي	العدد	المتوسط	الانحراف	اختبار "ت"	الدلالة
ضغوط تتعلق بخصائص الطفل التوحدي	ثانوي وأقل	18	36,00	8,45	-0,11	0,90 غير دال
	جامعي فما فوق	15	36,33	7,80		
ضغوط تتعلق بالحالة الذاتية للأم	ثانوي وأقل	18	27,77	6,95	-1,05	0,29 غير دال
	جامعي فما فوق	15	30,46	7,67		
ضغوط تتعلق بالحالة الاجتماعية للأم	ثانوي وأقل	18	19,88	3,46	-0,54	0,59 غير دال
	جامعي فما فوق	15	20,66	4,76		
مقياس الضغوط النفسية	ثانوي وأقل	18	83,66	15,83	-0,64	0,52 غير دال
	جامعي فما فوق	15	87,46	18,24		

للتذكير قيمة "ت" المجدولة عند 0.05 تساوي القيمة: 2.03 وعند 0.01 تساوي القيمة: 2.74 عند درجة الحرية: 31

من خلال الجدول، نلاحظ أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي -0,11 في محور الضغوط المتعلقة بخصائص الطفل التوحدي بدلالة 0,90 وهو غير دال، بينما المحور الثاني الضغوط المتعلقة بالحالة الذاتية للأم فقد كانت قيمة (ت) -1,05 عند دلالة 0,29 وهو غير دال، أما المحور الثالث الخاص بالضغوط المتعلقة بالحالة الاجتماعية للأم فقد وصلت قيمة (ت) -0,54 بدلالة 0,59 وأيضاً غير دال، بينما وصلت قيمة (ت) المحسوبة -0,64 في الاستبيان ككل بدلالة 0,52 وهي قيمة غير دالة. من خلال النتائج الموضحة في الجدول، وبما أن كل القيم غير دالة، فإننا نخلص إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي.

نتائج الفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الضغط النفسي بين أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغير العمل.

جدول رقم (8): يبين دلالة الفروق بين أفراد عينة الدراسة في أبعاد مقياس الضغط النفسي والدرجة الكلية للضغط النفسي تبعا لمتغير العمل

المحاور	العمل	العدد	المتوسط	الانحراف	اختبار " ت "	الدلالة
ضغوط تتعلق بخصائص الطفل التوحدي	غير عاملة	21	35,57	8,80	-0,54	0,59
	عاملة	12	37,16	6,72		
ضغوط تتعلق بالحالة الذاتية للأم	غير عاملة	21	27,71	7,23	-1,35	0,18
	عاملة	12	31,25	7,16		
ضغوط تتعلق بالحالة الاجتماعية للأم	غير عاملة	21	19,90	4,12	-0,62	0,53
	عاملة	12	20,83	4,04		
مقياس الضغط النفسي	غير عاملة	21	83,19	17,60	-0,99	0,32
	عاملة	12	89,25	15,25		

للتذكير قيمة " ت " المجدولة عند 0.05 تساوي القيمة: 2.03 وعند 0.01 تساوي القيمة: 2.74 عند درجة الحرية: 31

من خلال الجدول، نلاحظ أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي -0,54 في محور الضغوط المتعلقة بخصائص الطفل التوحدي بدلالة 0,59 و هو غير دال، بينما المحور الثاني الضغوط المتعلقة بالحالة الذاتية للأم فقد كانت قيمة (ت) -1,35 عند دلالة 0,18 و هو غير دال، أما المحور الثالث الخاص بالضغوط المتعلقة بالحالة الاجتماعية للأم فقد وصلت قيمة (ت) -0,62 بدلالة 0,53 وأيضا غير دال، بينما وصلت قيمة (ت) المحسوبة -0,99 في الاستبيان ككل بدلالة 0,32 و هي قيمة غير دالة. من خلال النتائج الموضحة في الجدول، و بما أن كل القيم غير دالة، فإننا نخلص إلى أنه لا توجد فروق

ذات دلالة إحصائية بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعاً لمتغير العمل.

2. مناقشة النتائج:

نتائج الفرضية الأولى:

من خلال عرض نتائج الفرضية الأولى و التي تنص على أن أمهات الأطفال التوحديين تعاني من درجة كبيرة من الضغط النفسي، حيث أظهرت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجات الكلية لاستبيان الضغط النفسي هو (3,28) وهذا يدل على أن أمهات الأطفال التوحديين يعانون من مستوى متوسط من الضغوط النفسية. إذن الفرضية لم تتحقق حيث أن أمهات الأطفال التوحديين يعانون من مستوى متوسط من الضغوط النفسية هذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة جبالي(2013)⁽¹⁷⁾ حيث توصلت الى ان مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المعاقين ذهنياً متوسط ولم تتفق هذه النتيجة مع دراسة العضل (2012) التي أجراها على والدي الأطفال المعاقين، حيث كانت نتيجتها أن مستوى الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال المعاقين مرتفع. ومن هنا نرجع معاناة أم الطفل التوحدي من مستوى متوسط الشدة من الضغوط، إلى أن رعاية طفل توحدي مع ما يميزه من خصائص والتي تسبب عجز في التواصل مع قصور في السلوك التكيفي، فالطفل التوحدي يجد صعوبة في تعلم مهارات العناية بالذات أو النظافة الشخصية والأكل وارتداء الملابس التي تعتبر وظائف روتينية يتمكن منها الطفل العادي بكل بساطة، مما يجعل أعباء الوظائف الاستقلالية مصدر قلق وإزعاج للأم التي تقوم بنفسها بهذه الأمور. كل هذه المشكلات تجعل الأم في حالة حيرة فهي لا تستطيع وضع خطط للمستقبل خاصة وان ابنها لا يستطيع مواجهة الحياة بإمكانياته المحدودة، فتعيش الأم حالة ضيق وتوتر تحاول الخروج منها عن طريق متنفس خارج محيط الأسرة فتصطدم بالمجتمع الذي يعتبر الطفل التوحدي وصمة عار تلحق بالأسرة وبالأم خصوصاً، فتحمل الأم مشاعر الذنب وتكبتها مما يجعل أعراض جسدية تظهر عليها قد تتعقد لتصبح أمراض عضوية.

نتائج الفرضية الثانية:

يتبين من خلال النتائج أن كل قيم (ت) المحسوبة في أبعاد الاستبيان الثلاثة، و في الدرجة الكلية للاستبيان تعتبر غير دالة، و بالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية

بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعا لمتغير السن، وبالتالي عدم تحقق الفرضية، وهذه نتيجة تتعارض مع دراسة جبالي (2013) التي أكدت نتائجها على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الأطفال المعاقين تبعا لمتغير السن، بينما لا يوجد أي اتفاق أو اختلاف بين هذه النتيجة وبين باقي الدراسات السابقة نظرا لعدم وجود أي دراسة منها تناولت الفروق في درجة الضغط النفسي لدى الأمهات تبعا لمتغير سن الأم.

نتائج الفرضية الثالثة:

تظهر النتائج أن قيمة (ت) المحسوبة في بعد الضغوط التي تتعلق بخصائص الطفل التوحدي (-0,11) وهي نتيجة غير دالة، وفي بعد الضغوط التي تتعلق بالحالة الذاتية للأم كانت قيمة (ت) = (-1,05) بدلالة 0,29 وهي قيمة غير دالة، كذلك بالنسبة للبعد الثالث المتعلق بالضغوط المتعلقة بالحالة الاجتماعية للأم فقد بلغت قيمة (ت) المحسوبة (-0,54) بدلالة (0,59) وهي أيضا غير دالة، أما فيما يخص قيمة (ت) في الاستبيان ككل فقد بلغت (-0,64) بدلالة (0,52) وهي قيمة غير دالة. مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأمهات في درجة الضغط النفسي تبعا لمتغير المستوى التعليمي. وبالتالي عدم تحقق الفرضية، وهي أيضا نتيجة تتعارض مع دراسة جبالي (2013) التي أثبتت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الأطفال التوحديين تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

نتائج الفرضية الرابعة:

من خلال كل قيم (ت) المحسوبة هي قيم غير دالة سواء في البعاد الثلاثة للاستبيان، أو في الاستبيان ككل، مما يؤكد أيضا عدم وجود فروق بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعا لمتغير عمل الأم، إذ لم تختلف الأمهات العاملات عن الأمهات الغير عاملات في درجة الضغط، وبالتالي عدم تحقق الفرضية الرابع. وحسب الدراسات السابقة فإنه لا يوجد أي اتفاق أو اختلاف بين هذه النتيجة وبين الدراسات السابقة نظرا لعدم وجود أي دراسة منها تناولت الفروق في درجة الضغط النفسي لدى الأمهات تبعا لمتغير عمل الأم. وبالتالي يمكن أن نرجع عدم وجود فروق بين أمهات الأطفال التوحديين في درجة الضغط النفسي تبعا لمتغيرات الدراسة)

سن الأم، المستوى التعليمي للأم، عمل الأم) على صغر حجم عينة الدراسة، وذلك لعدم تمكن الطالبة من الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأمهات.
المنافشة العامة للنتائج:

بالنظر إلى ما توصلت إليه نتائج الدراسة، والتي بينت في مختلف الفرضيات عدم وجود فروق بين الأمهات في درجة الضغط النفسي تبعاً لمتغيرات الدراسة (سن الأم، المستوى التعليمي للأم، عمل الأم)، يمكن أن نرجع نتائج هذه الفرضية إلى صغر حجم عينة الدراسة، وذلك لعدم تمكننا من الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأمهات. وبالتالي فإن متغيرات الدراسة المستقلة لم تؤثر في درجة الضغط النفسي لدى أمهات الأطفال التوحديين، وهذا يختلف مع ما أثبتته بعض الدراسات السابقة، كدراسة جبالي(2013)، وبينت النتائج من جهة أخرى أن أمهات الأطفال التوحديين يعانين حقيقة من ضغوط نفسية وبدرجات مختلفة في محاور استبيان الدراسة، وقد جاءت النتائج التي عبرت عن درجة كبيرة من الضغط النفسي لدى الأمهات خاصة في البنود التي تتعلق بمستقبل الطفل التوحدي؛ إذ بلغت أعلى درجة الضغط في هذه البنود بمتوسط حسابي عال قدره (4.27)، وتوزع قيم المتوسط الحسابي ذات درجة الضغط الكبيرة حسب الترتيب التالي للبنود. فنجد البند (أشعر بالحزن حينما أدرك أن ابني التوحدي لن يعيش حياة طبيعية) قد عبر على أعلى متوسط حسابي قدره(4.27)، وتليه البنود (يؤمني عدم تواجد الدعم المناسب لأسرة الطفل التوحدي) (من الصعب إدراك الآخرين لمعاناتي مع ابني التوحدي) (أشعر بالضيق حينما أفكر في مستقبل ابني التوحدي) (أشعر بالحزن لأن ابني التوحدي لا يستطيع التعبير عن مشاعره) بمتوسط حسابي قدره (4.18)، فالبند (يزعجني أن ابني التوحدي لا يستطيع التعرف على عنوان المنزل) بمتوسط حسابي (3.96)، بعد ذلك البند (يزعجني أن ابني التوحدي لا يستطيع مواجهة الحياة مثل الآخرين) بمتوسط حسابي قدره (3.78)، ثم يأتي البند (تخلت عن كثير من الأشياء التي طالما تمنيتها بسبب ابني التوحدي) بمتوسط حسابي أقل (3.72)، بينما يأتي البند (ترهقني متطلبات ابني التوحدي) بأقل متوسط حسابي قدره (3.42). ويمكن إرجاع ذلك إلى أن اضطراب التوحد يسبب ضغوطاً نفسية للأم، مما يجعل أعباء الوظائف الاستقلالية مصدر قلق وإزعاج للأم، كل هذه المشكلات تجعل الأم في حالة حيرة فهي لا تستطيع وضع خطط للمستقبل خاصة وأن ابنها لا

يستطيع مواجهة الحياة بإمكانياته المحدودة، فتعيش الأم حالة ضيق وتوتر تحاول الخروج منها عن طريق متنفس خارج محيط الأسرة فتصطدم بحقيقة هذا الاضطراب الذي جعل ابنها طفلا غير عادي، ولا يمكن أن يعيش حياته كباقي الأطفال العاديين، مما يزيد في معاناتها، وهذا ما أثبتته (خليفة و سعد، 2008) ⁽¹⁸⁾ على أن تعرض الأمهات للضغوط النفسية بسبب مواجهة أزمة التوحد يؤدي بها إلى عدم الإلتزان والحاجة إلى المساعدة الخارجية لاستعادة التوازن والتكيف مع وضعها. ونفهم من هذا أن الطفل التوحدي يسبب ضغوطا نفسية للأم بغض النظر عن بعض العوامل أو المتغيرات التي قد يكون لها الأثر في اختلاف درجة الضغط النفسي باختلاف متغيرات الدراسة التي حددناها كمتغيرات أساسية في الدراسة وهي: السن، والمستوى التعليمي، والعمل. إلا أن ذلك لم يظهر في نتائج هذه الدراسة، مما يعني أن اضطراب التوحد يؤثر سلبا على حياة الأم في جميع النواحي، مهما كان عمرها ومستواها التعليمي و عملها المهني.

وفي ضوء نتائج البحث نقترح ما يلي:

. إعداد وتصميم برامج علاجية للأمهات الأطفال التوحديين، تساعد على خفض درجة الضغط النفسي لديهن.

. تنظيم حملات توعوية وإعداد برامج تستهدف آباء و أمهات الأطفال التوحديين في كيفية التعامل مع المشكلات التي تواجههم في رعاية أطفالهم.

. إنشاء مراكز متخصصة للتكفل بأطفال التوحد.

إعداد دورات خاصة توضح للأم كيفية التعامل مع ضغوط الحياة وكيفية مواجهتها.

إجراء المزيد من البحوث التي تهتم بأسر الأطفال التوحديين وخاصة الأمهات.

خلاصة عامة

لقد تبين من خلال نتائج الدراسة أن أمهات الأطفال التوحديين يعانون كثيرا من الضغوط النفسية، وبدرجات ومستويات مختلفة. وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج بعض الدراسات السابقة من حيث عدم وجود فروق بين درجة الضغط لدى أمهات الأطفال التوحديين تبعا لمتغيرات الدراسة، ومنها من اختلفت عن نتائج الدراسة وذلك بإثبات وجود الفروق بين الأمهات في درجة الضغط النفسي. ومهما كان مستوى الاختلاف في نتائج الدراسات السابقة ونتائج هذه الدراسة بالنسبة لمستوى الضغوط النفسية ودرجة تأثيرها لدى أمهات الأطفال التوحديين، فإن وجود طفل توحدي في الأسرة يسبب ضغوطا كثيرة ومعاناة كبيرة للأم مهما كان وضعها ومستواها، مما يعني أن الأم تكون في حاجة ماسة إلى تقديم خدمات علاجية وإرشادية لتخفيف درجة الضغط والتقليل من تأثيره عليها، حتى تتمكن من تقبل وضع ابنها والتعايش معه، ومساعدته على إطلاق طاقاته الكامنة، وفتح له المجال للتكيف والاندماج في المجتمع بشكل طبيعي، قد يعيد له ولها الأمل في العيش الكريم داخل الوسط الاجتماعي الذي يعيشان فيه وينتميان إليه.

هوامش البحث:

- (1) . جاد الله السيد الحسن السيد: العلاقة بين التدخل المبني ببرامج الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية و حجم الضغوط النفسية و الاجتماعية التي تتعرض لها أسر الأطفال التوحديين دراسات في الخدمة الاجتماعية و العلوم الانسانية.د.س. ص 1011
- (2). إيمان شعبان أحمد: الإنهاك النفسي للأم ذات الطفل التوحدي و علاقته بإدارة موارد الأسرة، المؤتمر السنوي العربي السادس . الدولي الثالث لتطوير برامج التعليم العالي النوعي في مصر و الوطن العربي في ضوء متطلبات عصر المعرفة، كلية التربية النوعية المنصورة، مصر، 2011، ص 185.
- (3) (غزلان شمسي محمد الدعدى:الضغوط النفسية والتوافق الأسري والزواجي لدى عينة من إباء وأمهات الأطفال المعاقين تبعا لنوع ودرجة الإعاقة وبعض المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية، رسالة ماجستير جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. 2009، ص 3.
- (4) جمانة حسام العضل:العلاقة بين الضغوط الأسرية والمساندة الاجتماعية لدى آباء وأمهات الاطفال التوحديين ، رسالة ماجستير، جامعة دمشق سوريا. 2012
- (5) سليمان سيد عبد الرحمن:الذاتوية، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2000، ط 1، ص 17.
- (6) سليمان سيد عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص 22
- (7) عثمان بن عبد الله ابراهيم: استراتيجيات التربية الخاصة و خدمات المساندة الموجهة للتلاميذ ذوي التوحد، جامعة الملك سعود السعودية. د س، ص 6.
- (8) Petit larousse de la medecine, Larousse , p 101
- (9) (ددير أبو بكر عمار كرم نشوة: فاعلية برنامج إرشادي عقلائي إنفعالي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية لدى طلبة الجامعة، دراسة دكتوراه، جامعة القاهرة. 2010 ص 50.
- (10) (- عبيد السيد بهاء الدين ماجدة: الضغط النفسي و مشكلاته و أثره على الصحة النفسية، دار صفاء، عمان، 2008، ط 1، ص 20.
- (11) (حسين عبد العظيم طه و حسين عبد العظيم سلامة: استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية و النفسية، سلسلة الإدارة التربوية الحديثة، دار الفكر، عمان، 2006، ط 1، ص 20.
- (12) (اللوزي حمدان صلاح و الفايز متعب عبد الكريم : أثر وجود طفل معاق على الوالدين دراسة ميدانية، المجلة الأردنية للعلوم الإجتماعية، الأردن، 2008، العدد 1، المجلة 1، ص 32
- (13) Bernadette Roge (l'autisme de la comprehension a l'intervention) -PARIS 1996.P 14.
- (14) (جاد الله، مرجع سبق ذكره ، ص 1018

¹⁵ () خليفة السيد أحمد وليد و سعد عيسى علي مراد، مرجع سبق ذكره ص 253

¹⁶ () خليفة السيد أحمد وليد و سعد عيسى علي مراد، مرجع سبق ذكره ص 254

¹⁷ () جبالي صباح: الضغوط النفسية و استراتيجيات مواجهتها لدى أمهات الأطفال المصابين بمتلازمة داون، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2013.

¹⁸ () خليفة السيد أحمد وليد و سعد عيسى علي مراد، سبق ذكره ص 255

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير

على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية

جامعة تيارت

أ:كمال صدقاوي

المخلص:

يناقش هذا البحث ظاهرة الدروس الخصوصية في الجزائر التي أصبحت تنامي بشكل كبير و في غياب دراسات أمبريقية و إستطلاعات للرأي تعطينا بعض المعطيات والمؤشرات عن درجة وجودها و تأثيرها على النظام التعليمي الرسمي، من حيث أنها لا تتيح للتلاميذ على إختلاف مستوياتهم الفرص المتكافئة من الناحية التحصيلية و من ثم الالتحاق بالمستوى الأعلى. وقد أصبحت الدروس الخصوصية مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم حتى أصبحت قضية مجتمع، حيث ومن المعاينة الميدانية نلاحظ تهافت تلاميذ مختلف المستويات عليها خارج المؤسسات التعليمية الرسمية. وفي كل المواد التعليمية الموجودة في البرنامج الدراسي، رغم حصص الدعم و المعالجة التربوية التي أقرتها الدولة في مختلف المستويات للتلاميذ الذين يعانون من صعوبات دراسية.. ومع التسليم بتأثيرها على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و حتى النفسي.. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث في أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية من وجهة نظر عينة البحث المقدر ب 40397 مشارك في البحث من أساتذة ، أولياء، تلاميذ

السنوات الأولى متوسط، الرابعة متوسط، الثالثة ثانوي في السنة الدراسية 2013/2014، و في 17 ولاية أختيرت عشوائياً (حضرية، شبه حضرية، ريفية)، إلى جانب ذلك هل كان للدروس الخصوصية تأثير في تحصيل التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية في العام الماضي أو هذا العام في الامتحانات الرسمية.. و قد خلص البحث إلى أن:

- نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية العام الدراسي 13/12، في السنة الخامسة ابتدائي كان 40.90 %.
- نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية العام الدراسي 13/12، في السنة الرابعة متوسط كان 48.73 % .
- نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية العام 13/2014، في السنة الثالثة ثانوي كان 66.91 % .
- هناك إختلاف في المواد و الشعب المتابع فيها دروسا خصوصية ، مع التذكير أن الرياضيات و العلوم الفيزيائية و العلوم الطبيعية و اللغة الفرنسية كانت دائما في الصدارة.

Résumé :

Les cours particuliers dans le système éducatif entre les motifs et leur impact sur la réussite scolaire des élèves aux examens officiels

Ce travail se propose d'aborder le phénomène des cours particuliers qui se développent de manière considérable, en l'absence d'études empiriques et de sondages d'opinions susceptibles de nous fournir des données et des indices sur le degré de la présence de ce phénomène et son impact sur le système d'enseignement officiel, dans la mesure où il n'offre pas à tous les élèves appartenant aux différents niveaux les mêmes chances dans l'acquisition et, par conséquent, dans le passage au niveau supérieur.

Ces cours particuliers constituent un problème qui se complique davantage. Ils prennent jour après jour de l'ampleur au point de devenir une affaire de société. L'observation de la réalité du terrain montre l'afflux des élèves de différents niveaux vers ces cours particuliers en dehors des institutions éducatives officielles et ce, dans toutes les matières du programme scolaire, en dépit de l'existence de séances de soutien et de remédiation instaurées par l'Etat pour les différents niveaux et au profit des élèves en difficulté. Tout

○ هناك عدة أسباب لتفشي ظاهرة

الدروس الخصوصية منها تربوية، بيداغوجية، إجتماعية ، نفسية ..

○ هناك تقارب وبعض الأحيان اختلاف

في تحديد أسباب الدروس الخصوصية من قبل أفراد العينة.

○ تأثير الدروس الخصوصية في

التعليم الابتدائي كان نوعا ما مقبول أما في التعليم المتوسط والثانوي فالتأثير يبقى نسبي و فقط بقيت بعض المواد خاصة الرياضيات واللغة الفرنسية تشكل مشكل حتى على التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية ترجمت في نتائجهم المتدنية أحيانا.

الكلمات المفتاحية : الدروس الخصوصية،

التحصيل الدراسي، الصعوبات الدراسية،

المعالجة التربوية، الامتحانات الرسمية،

حصص الدعم .

- Il existe une différence dans les matières et filières dans lesquelles sont suivis les cours particuliers ainsi : les mathématiques, les sciences physiques, les sciences naturelles et le français occupant les premières places.
- Il existe plusieurs raisons à l'origine du développement du phénomène des cours de soutien : raisons éducatives, pédagogiques, sociales, psychologiques, etc.
- On rencontre chez les enquêtés tantôt des convergences, tantôt des similitudes dans l'identification des causes lies à l'origine du phénomène des cours particuliers.
- L'impact de ces cours particuliers dans l'enseignement primaire est quelque peu acceptable, leur impact dans l'enseignement moyen et secondaire est relatif. Cependant, certaines matières telles que les mathématiques et le français posent problème, y compris chez les élèves ayant suivi des cours particuliers, en raison des notes insuffisantes obtenues.

en admettant leur influence sur le niveau social, économique et même psychologique. La présente étude est venue, d'une part, rechercher les causes et l'origine de l'accroissement du phénomène des cours particuliers a partir d'un échantillonnage de recherche de l'ordre de 40397 enquêtés, composé d'enseignants, de parents, d'élèves de 1^{ère} année moyenne, de 4^{ème} année moyenne et de 3^{ème} année secondaire, de l'année scolaire 2013/2014, et ceci q travers 17 wilayas choisies aléatoirement (urbaine, semi-urbaine, rurale). D'autre part, l'on s'est interrogé sur l'influence des cours particuliers sur les résultats des élèves ayant suivi ces cours l'an dernier ou cette année dans les examens officiels.

Notre recherche a abouti aux résultats suivants :

- Le taux d'élèves ayant suivi des cours particuliers en (2012/2013) en cinquième année primaire est de 40.90 %.
- Le taux d'élèves ayant suivi des cours particuliers en (2012/2013) en quatrième année moyenne est de 48.73 %.
- Le taux d'élèves ayant suivi des cours particuliers en (2013/2014) en 3^{ème} année secondaire est de 66.91 %.

Mots clés : Cours particuliers, résultats scolaires, difficultés scolaires, remédiation éducative, examens officiels, séances de soutien, soutien de l'élève.

private tutoring phenomenon from a research sample of about 40,397 respondents, composed of teachers, parents 1st year average of students, average 4th year and 3rd year of secondary school year 2013/2014, crossing 17 wilayas randomly chosen (urban, semi-urban, rural). On the other hand, we questioned the influence of tutoring on student achievements with these courses last year or during this year in official examinations.

Our research yielded the following results:

-The rates of students who have taken private lessons during the school year (2012/2013) in the fifth year of primary school are 40.90%.

-The rates of students who have taken private lessons during the school year (2012/2013) in fourth year average are 48.73%.

-The rates of students who have taken private lessons during the school year (2013/2014) in 3rd year high of are 66.91%.

-There is a difference in the subjects and sectors in which special courses are followed as well: mathematics, physical sciences, natural sciences and French occupying the top places.

-There are several reasons behind the development of the tutoring phenomenon educational

Abstract :

Private lessons in the education system between the patterns and their impact on the academic success of students during the official examinations

This work proposes to address the phenomenon of private lessons that develop significantly in the absence of empirical studies and opinion polls may provide us with data and clues on the extent of the presence of this phenomenon and its impact on the formal education system, insofar as it does not offer all students belonging to different levels the same opportunities in the acquisition and, therefore, in the transition to the next level.

These private lessons are a problem that is further complicated. They take every day to the extent as to become a partnership deal. The observation of the reality on the ground shows the influx of students in different levels towards these private lessons outside the official educational institutions and in all correlated subjects, despite the existence of support sessions and remediation established by the state for different levels and for the benefit of students. While acknowledging their influence on social, economic and even psychological. This study came on the one hand, studying the causes and the origin of their increasing in

purposes, educational, social, psychological, etc.

-Is found among respondents sometimes convergences, sometimes similarities in the identification of causes related to the origin of the private tutoring phenomenon.

-The impact of these private lessons in primary education is somewhat acceptable; their impact in the medium and secondary education is relative. However, some courses such as mathematics and French are a problem, even among students who have taken private lessons, because of insufficient grades.

Keywords : Tuition, school performance, learning difficulties, educational remediation, official exams, support sessions, support the student

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

مقدمة

إن تقدم أي أمة من الأمم و تطورها في شتى مجالات الحياة يتأثر إلى حد كبير بمدى التطور العلمي و التكنولوجي ، لكن ما تدركه أي أمة من الأمم من هذا التطور يتأثر بدوره بمدى كفاءة نظامها التعليمي وفعاليتها. فالاهتمام بمهنة التعليم في أي مجتمع يشير إلى مدى مسؤولية ذلك المجتمع تجاه مستقبل أجياله و مدى حرصه على توفير الخدمات التربوية لأبنائه ولعل هذا ما دفع شاندرلوزملاءه (Chandler.B.G et al (1971) إلى وصف مهنة التعليم بأنها المهنة الأم Mother profession لأنها تسبق جميع المهن الأخرى كما أنها لازمة لها و بذلك تعتبر المصدر الأساسي الذي يمهد للمهن الأخرى ويمدها بالعناصر البشرية.

لذلك فإن إشكالية تجويد التعليم، ومحاولات رفع المستوى التعليمي للتلاميذ تمثل هدفاً أساسياً للنظام التعليمي في أي بلد.. وقد يبدو الأمر أكثر تعقيداً، عندما نفترض أن ثمة عوامل عديدة تكمن خلف المشكلات التعليمية التي تطل برأسها علينا من حين لآخر، أو ما زالت طافية على سطح الواقع التعليمي ولم تختف بعد ، أو ن فشل في احتوائها بشكل فعلي. فالمنهج الدراسي باعتبارها واحدة ، من أكثر مدخلات العملية التعليمية أهمية ، والتي قد يعلق عليها البعض كثيراً من جوانب الفشل ، قد تكون مناسبة أو متطورة وليس فيها ما يدعو للقلق ، لكن الاختلالات الناجمة قد تكون راجعة لأمر أخرى مرتبطة ببرامج إعداد الأساتذة ، أو تدني كفاءة الإدارة المدرسية .. أو غير ذلك من عناصر كثيرة مؤثرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في المستوى التعليمي للتلميذ ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث ، كمحاولة للتعرف على بعض المظاهر السلبية لجوانب العملية التعليمية والتي تمثل إشكاليات مفترضة ألا وهي قضية الدروس الخصوصية التي عمت بها الشكوى فرغم محاسنها الممكنة إلا أن سلبياتها مخيفة و أثارها كبيرة على الفرد و المجتمع .. بحيث لا يتوقف تأثيرها عند حد الانعكاسات الثقافية السلبية بل تمتد لتلحق الضرر بالجانب الاقتصادي و النفسي و الاجتماعي أيضا ..

فقد نشر المعهد الدولي للتخطيط التربوي (I.I.E.P) التابع لليونسكو في العام 1999، أول دراسة هامة عن واقع الدروس الخصوصية، أجراها براي (Bray (1999)، على مستوى عدد من البلدان المختلفة. وقد حظيت الدراسة باهتمام بالغ لدى الأكاديميين والمختصين ، كما تناول الكثير من الكُتّاب هذا الموضوع بالدراسة منها على الخصوص دراسات Bray (1999) و

{ (2003)، (2006) Bendall، (2007) Kim، (2008) Anglade، (2009) Cavet، Silova،
معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MÂAREF Revue académique }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

(2009).. إلى جانب ذلك كشف مجلس أبوظبي للتعليم عن النتائج الأولية لاستطلاع الرأي الخاص بمدى رضا الطلبة وذوهم عن جودة التعليم للعام الدراسي 2012/2013، أن 47٪ من التلاميذ يحصلون على دروس خصوصية. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على ظاهرة الدروس الخصوصية وأبعادها بالجزائر مع تحديد الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشارها في السنوات الأخيرة مع محاولة لوضع مقترحات عملية تساهم في أن تكون آليات علاجية تساعد على التقليل من إنتشارها .

الإشكالية .

إن التطور السريع الذي عرفته الجزائر في عدة مستويات، علمية ، ثقافية ، اقتصادية .. و التطلعات الجديدة للمجتمع و ما يجري في العالم من مستجدات و تغيرات سريعة و توجهات جديدة فرضت نفسها على المجتمعات في سائر البلدان، وبما أن التربية وثيقة الصلة بالتغيرات العلمية والتكنولوجية المتسارعة التي تحدث، وعليها ملاحقة هذه التغيرات من أجل تحقيق أهدافها في التنمية في مجالاتها المتعددة، فدور التربية ينبغي أن يكون في اتجاهين مواكبة هذه التغيرات من جهة وتحقيق أهداف التنمية

المطلوبة من جهة أخرى. وكان من نتيجة هذه التطورات المجتمعية المتسارعة .. تأثير في تنامي الدروس الخصوصية التي أضحت من الصعب أن نحصل على معلومات دقيقة عن حجمها وشكلها في أي مجتمع من المجتمعات، وذلك لأسباب عدّة تتعلق بمن يقدمها وبمن يتلقاها ، فالأساتذة، عادة ما يتفادون جلب الانتباه، إذ أن كثيرا منهم يقدمون الدروس الخصوصية كنشاط غير رسمي لكسب دخل لا يخضع للاقتطاع الضريبي.. والتلاميذ ، تلقىهم الدروس قد يشير بحصولهم على امتيازات غير مستحقة مقارنة مع أقرانهم ، و/أو أنهم لا يثقون بمعلمهم في المدارس النظامية.. والأولياء هم الآخرون لا يثقون بمعلمي التعليم النظامي، كما قد يدل ذلك على خوفهم من فشل أبنائهم...

وقد أجري ما يكفي من الدراسات ليسمح لنا بتشكيل صورة تقريبية للوضع. فلقد بين استطلاع لرأي أولياء الأمور حول مشكلة الدروس الخصوصية في مصر (2010)، ارتفاع الذين يحصلون على الدروس الخصوصية بين تلاميذ مختلف المراحل ، وعن المواد التي يأخذ فيها التلاميذ دروسا خصوصية ترتبت اللغات الأجنبية في المرتبة الأولى في استطلاعي عامي 2009

بنسبة 79.00 % ، و2010، بنسبة 80.00 % تليها مادة الرياضيات 2009 بنسبة 75.00 % ،
معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MAAREF Revue académique

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

و2010، بنسبة 72.00 % ، و مادة اللغة العربية 2009 بنسبة 67.00 % ، و 2010 بنسبة 66.00 % . إلى جانب وجدت دراسة فرشان لويزة وآخرون بالجزائر (2009)، أنه في التعليم الابتدائي مادة الفرنسية احتلت الصدارة و ذلك بنسبة 63.00 %، تبعها مادة الرياضيات بنسبة 58.00 %، و مادة اللغة العربية بنسبة 54.00 %، أما في التعليم المتوسط فكانت الرياضيات و العلوم الفيزيائية 21.00 %، فالعلوم الطبيعية 11.00 %، أما في التعليم الثانوي فكانت الرياضيات 57.00 %، و العلوم الفيزيائية 41.00 %، فالعلوم الطبيعية 24.00 %، اللغة العربية 16.00 % ، الفلسفة 14.00 %، اللغة الانجليزية 11.00 %، اللغة الفرنسية 08.00 % . إلى جانب ذلك أوضحت هذه الصورة أكثر وضوحاً بعد انتشار الوعي بالأهمية الاجتماعية والاقتصادية للدروس الخصوصية، وسعي العديد من الباحثين والهيئات التربوية لدراسة الظاهرة بشكل موسع مارك براي (2009). خاصة لما بلغت الدروس الخصوصية نسبة عالية من حيث كثافتها و انتشارها فقد أظهرت العديد من الأبحاث و الدراسات في الكثير من دول العالم مدى انتشارها في مختلف المستويات التعليمية، ففي كمبوديا بلغت نسبة متابعة التلاميذ الدروس الخصوصية في المستوى الثانوي في السنة الدراسية 1998/1997، 31.20 % ، و في الفيتنام وجد في (2002)، أن 38.00 % من تلاميذ المدارس يتابعون دروسا خصوصية ، أما في الصين (2004)، بينت دراسة تم القيام بها أن 73.80 % ، من تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي و 65.50 % ، من تلاميذ التعليم الثانوي تابعوا دروسا خصوصية أما في بنغلاداش فقد أظهرت دراسة شملت 33229 أسرة سنة (1998)، و 16400 أسرة سنة (2005)، أن الدروس الخصوصية كانت منتشرة بقوة حيث انتقلت من 21.40 % ، إلى 31.00 % ، و هذا بمرحلة التعليم الابتدائي أما في السعودية تشير نتائج البحوث أن نسبة 82.00 % ، من التلاميذ يستعينون بالدروس الخصوصية و في هونغ كونغ (2006)، بلغت النسبة 36.6 % ، في الثانوي الأدنى و 33.6 % ، في الثانوي المتوسط، و 48.10 % ، في الثانوي الأعلى. أما في اليابان فكانت نسبة 68.00 % ، من تلاميذ الصف الثانوي تابعوا دروسا خصوصية .. كما بين استطلاع لرأي أولياء الأمور حول مشكلة الدروس الخصوصية في مصر (2010)، قام به مركز استطلاع الرأي العام ارتفاع الذين يحصلون على الدروس الخصوصية بين تلاميذ المرحلة الاعدادية (المتوسطة) إلى 75.00 % ، و المرحلة الثانوية 70.00 % ، أما المرحلة الابتدائية

فسجل ذات التقرير نسبة 57.00 % .

{ **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF Revue académique** }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

كما أظهرت دراسة حديثة أجرتها كلية دبي (2011)، أن أكثرية التلاميذ الامراتيين في مرحلة الدراسة الثانوية يتلقون دروسا خصوصية و أن أكثر من نصف المعلمون 52.50 % ، الذين يعطون الدروس الخصوصية هم أنفسهم المعلمون الذين يقومون بتدريس تلاميذهم في الأقسام النظامية..أما في الجزائر تشير دراسة فرشان لويزة وآخرون (2009)، أن 67.00 % ، من التلاميذ يتلقون دروسا خصوصية ، و تلاميذ السنوات الخامسة أقل نسبة ،بينما تلاميذ السنوات الرابعة متوسط كانت نسبتهم 33.70 % ، أما تلاميذ الثالثة ثانوي كانت نسبتهم 52.10 % .مما لا شك فيه أن هذا الاقبال الكبير من قبل التلاميذ على الدروس الخصوصية في العديد من دول العالم مرده اعتقاد الكثير من الأولياء بوجود إيجابيات ملموسة مثل تحسن مستوى التحصيل الدراسي لأبنائهم لكنهم يجهلون أو يتجاهلون السلبيات والآثار التي تنجم عن الدروس الخصوصية وقد وجدت كيم Kim(2007)، عن ماك براي (2009)، أنه من الطبيعي أن تؤثر الدروس الخصوصية المكثفة سلبا على تركيز التلاميذ ففي كوريا وجدت نفس الباحثة مثلا أن التلاميذ عادة ما ينامون خلال ساعات الدرس و ذلك بسبب كثافة الدروس الخصوصية التي يتلقونها والتي يعتقدون أنها تساعدهم على النجاح في مختلف الامتحانات و في الجزائر أوضحت الدروس الخصوصية في تنام مستمر باعتبارها تعليما موازيا مختلفا عن التعليم المدرسي المنضبط و أخذت تسلب المدرسة دورها التربوي ليتحول تدريجيا التعليم والتعلم إلى يد معلم خاص يهدف تدارك نقائص التعليم المنضبط أحيانا و في أغلب الأوقات للحصول على أعلى النقاط في مختلف الامتحانات العادية منها و الرسمية و ليس لتحصيل المعرفة و اكساب التلاميذ الخبرات و المهارات...وبالتالي نقول:

هل تعد الدروس الخصوصية مطلبا اجتماعيا تربويا لا يمكن الاستغناء عنها؟
ماهي الأسباب الكامنة وراء لجوء مختلف الأطراف (تلاميذ معلمين ..)، إلى الدروس الخصوصية ؟.

هل فعلا للدروس الخصوصية المقدمة لتلاميذ أقسام الامتحانات (ش.ن.م. التعليم الابتدائي ، شهادة التعليم المتوسط ، شهادة البكالوريا) تأثير في تحصيلهم الدراسي في مختلف الامتحانات الرسمية.

2 أسباب اختيار الموضوع :

- غياب إحصائيات رسمية حول مدى انتشار الدروس الخصوصية.
معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MÂAREF Revue académique

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي

للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- معرفة واقع انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية بمختلف المراحل التعليمية .
- الإقبال المعتبر من طرف التلاميذ بمختلف مستوياتهم التحصيلية ، على الدروس الخصوصية .
- البحث عن مدى انتشار الظاهرة على المستوى الوطني في عينة البحث (17 ولاية مشاركة) .
- تحديد الأسباب والمبررات التي دفعت تلاميذ مختلف أقسام الامتحانات للإقبال على الدروس الخصوصية .
- وضع بعض الإجراءات التي يمكن أن تقلل من انتشارها إذا تم تنفيذها والاستفادة منها .

3 أهداف الدراسة :

- التعرف على واقع انتشار الدروس الخصوصية بمختلف المراحل التعليمية من وجهة نظر أفراد العينة.
- معرفة الأسباب (التربوية ، البيداغوجية ، النفسية ، الاجتماعية) وراء لجوء تلاميذ أقسام الامتحانات الرسمية ، الأساتذة ، وأولياء الأمور للدروس الخصوصية من وجهة نظر أفراد العينة .
- معرفة درجة إقبال تلاميذ أقسام الامتحانات الرسمية على الدروس الخصوصية .
- معرفة تأثير الدروس الخصوصية على نتائج التلاميذ في الامتحانات الرسمية.
- التعرف على أهم المواد الدراسية التي يأخذ فيها التلاميذ دروسا خصوصية و ترتيبها تبعا لأهميتها.

التوصل إلى المقترحات و الحلول للتقليل من انتشار الدروس الخصوصية و اقتراح الآليات العلاجية ..

4 أهمية البحث : تحديد الأسباب والمبررات التي دفعت التلاميذ للإقبال على الدروس الخصوصية .

في ضوء ما تسفر عنه الدراسة من نتائج ، ستقدم هذه الدراسة مقترحات يمكن الاستفادة منها في علاج هذه الظاهرة ، ووضع بعض الإجراءات التي يمكن أن تحد من انتشارها

إذا تم تنفيذها والاستفادة منها .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

وضع أمام المسؤولين عن التربية حقائق عن طبيعة هذه الظاهرة وإظهار مدى خطورتها على المجتمع ، وذلك من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة للتقليل من حدتها .
ضبط بعض المشكلات الاجتماعية المتوقع أن تحدث جراء أخذ دروس خصوصية في البيوت.

1- تحديد المفاهيم و المصطلحات :

5 - 1 تعريف الدروس الخصوصية:

- « أنها كل جهد تعليمي يحصل عليه التلميذ خارج الفصل المدرسي حيث يكون هذا الجهد منتظما و متكررا و بأجر ، و يستثنى من هذا ما يقدمه بعض الآباء لأبنائهم في صورة مساعدات تعليمية في المنزل » الرشيدى وآخرون (2004).

5- 2 الامتحانات الرسمية :

5-2-1 شهادة التعليم الابتدائي :

عرف الحقييل (1999) التعليم الابتدائي « بأنه القاعدة لجميع المراحل التعليمية المختلفة وكلما كانت مرحلة التعليم الابتدائي قوية كان العائد أكبر للمراحل التي تليها » .. يتوج التعليم الابتدائي بامتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي، الذي يتناول اللغات الأساسية : اللغة العربية، الرياضيات واللغة الأجنبية الأولى.

5-2-2 شهادة التعليم المتوسط :

يتوج إمتحان شهادة التعليم المتوسط، التعليم الإلزامي تنصب إختبارات هذا الإمتحان على المناهج الرسمية للمواد المدرسة في أقسام السنة الرابعة من التعليم المتوسط و يتضمن إمتحان شهادة التعليم المتوسط:

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

3-2-5 شهادة البكالوريا :

حددت تعريف البكالوريا في قاموس اللغة الفرنسية ، بأنها « أول درجة للتعليم الجامعي تعطى تسمية الطالب الناجح في البكالوريا و تتوج الدراسات من الدرجة الثانية ». (1993) Dictionnaire encyclopédie.

6 - حدود البحث :

اقتصر البحث الحالي على دراسة مدى و أسباب انتشار الدروس الخصوصية و تأثيرها في ضوء تصورات أفراد العينة من أساتذة ، أولياء الأمور، تلاميذ الأولى متوسط، الرابعة متوسط ، الثالثة ثانوي الذين يأخذون دروسا خصوصية فعلا . لذلك تعميم نتائج هذه الدراسة ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الحدود التالية :

1. إجراء البحث على عينة من الأساتذة، أولياء الأمور، تلاميذ الأولى متوسط، الرابعة متوسط ، الثالثة ثانوي.

2. تم افتراض أن يكون أفراد العينة ممثلين للمجتمع ككل.

7 - المنظومة التربوية الجزائرية بين التحصيل الدراسي و الدروس الخصوصية:

7 - 1 تشخيص واقع الدروس الخصوصية عالميا و محليا :

بينت العديد من الدراسات Bray (1999) ، Bendall (2006) ، Kim (2007) ، Anglade (2008) ، Cavet (2009) ، Silova (2009) ، بروز تعليم موازي للنظامي وهي الدروس الخصوصية، وعلى نطاق واسع.

7 - 1 - 1 انتشار الدروس الخصوصية في العالم :

و على العموم الجدول رقم (01)، يبين تنامي الدروس الخصوصية في بعض البلدان Bray (1999)

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
 للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

البلدان	نسبة الانتشار (1997 الى غاية)
بنغلادش	31.00%
كمبوديا	% 31.20
هونغ كونغ	% 34.00
اليابان	68.00%
الفيتنام	38.00%
الصين	65.50%
كندا	% 09.40
انجلترا	08.00%
فرنسا	25.00%
اليونان	50.00%
قبرص	% 86.40
النمسا	20.00%
مالاوي	22.10%
زامبيا	44.80%
تانزانيا	46.10%
كينيا	% 68.60
ناميبيا	34.70%
السعودية	82.00%
مصر	% 61.00
الجزائر	67.00%
دبي	65.00%
أبو ظبي	47.00%

الجدول رقم (01)، نسب انتشار الدروس الخصوصية في بعض بلدان العالم .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

من خلال المعطيات الواردة في الجدول رقم (01)، حول نسب الدروس الخصوصية في مختلف دول العالم يمكننا من تصنيف هذه الدول حسب طبيعة الدروس الخصوصية ومدى انتشارها فيها .

7-2 أسباب انتشار الدروس الخصوصية :

7-2-1 الأسباب النفسية :

أصبحت الدروس الخصوصية حاجة نفسية لدى الكثيرين من التلاميذ وأولياء الأمور حيث يقوم المعلم بالتركيز على جوانب الضعف لدى التلميذ.. ويقدم له المادة بالسرعة والمستوى المناسب ليقفل قدر الامكان من الأخطاء .. « الرصيصة (2007).

7-2-2 الأسباب الاجتماعية:

أرجعت دراسة محسن وآخرون (2009) أن أولياء الأمور عادة ما ينظرون إلى المرحلة الثانوية بأنها تحدد المسار المستقبلي للأبناء فيسعون إلى توفير كل الاحتياجات لهم والتي تضمن لهم النجاح و الحصول على أعلى الدرجات مما قد يبعث لدى أولياء الأمور الخوف والقلق على الأبناء..فضلا عن كثرة المواد الدراسية وصعوبة بعض المناهج . ورغبة منهم في . النجاح .

7-2-3 الأسباب البيداغوجية:

عدم الاستقرار في السياسة التعليمية أدى إلى عدم استقرار النظام التربوي الأمر الذي يزيد من أزمة الدروس الخصوصية. كما يرى البعض أن سبب تفي ظاهرة الدروس الخصوصية في الوسط التعليمي ، يعود إلى الاصلاحات التي شهدتها المنظومة التربوية وتمسك المدرسين بالمناهج القديمة في ظل ضعف تكوينهم ، الأمر الذي جعلهم قناة ضعيفة في العملية التربوية ..

7-2-4 الأسباب التربوية :

تبين من خلال العديد من الدراسات أن المعلم يلعب دورا هاما في انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية بين التلاميذ وذلك بتصعب مواضيع الامتحانات ومحاباته للتلاميذ الذين يأخذون دروسا خصوصية عنده في الفصل الدراسي وإهماله للآخرين وعدم اهتمام المعلم بتوصيل المادة العلمية لتلاميذه وعدم مراجعته لبعض النقاط الأساسية من

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب والتأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

المقرر الدراسي، وهذا يرجع حسب دراسة محسن حمود وآخرون (2009)، أن المعلمين يرون أن تكليفهم بأعباء الاشراف الاداري داخل المدارس يرهقهم ويضيع من الجهد والوقت ويؤثر على كفاءة الأداء داخل الحصص الدراسية ..

7-3 الآثار الناجمة عن الدروس الخصوصية :

7-3-1 أثر الدروس الخصوصية على التعليم العام :

يرى Poisson (2007)، عن براى (2009)، أن السلبيات التي تنجم من الدروس الخصوصية تفوق الإيجابيات في أحيانا كثيرة وفي ظل النظرة السابقة وخاصة من المنظور طويل الأجل. وذلك لأن التلميذ يهدف من ذلك حصوله على نسبة مرتفعه فقط، و الأستاذ قد يكون هدفه الأساسي هو زيادة دخله وخاصة بعض المعلمين المتعاقدين ، ومعظم أولياء الأمور يهدفون أيضاً إلى حصول أبنائهم على نسب مرتفعة في المعدل العام تضمن لهم استمراره في التعليم من خلال قبوله في المراحل التالية لمرحلته (وخاصة نهاية المرحلة الثانوية). كما أن من أبرز سلبيات الدروس الخصوصية هو اعتقاد التلميذ بأن الأستاذ سوف يركز على الدرس أو النقاط التي ستكون أسئلة الاختبار منها فقط. وبذلك فهو قد يتجاهل أمور كثيرة ..

7-3-2 الآثار الاقتصادية :

ان الدروس الخصوصية تظل مصدر دخل إضافي للمعلمين. وحتى المداخيل الاضافية التي يكسبها طلبة الجامعات الذين يخصصون بعضا من وقتهم لإعطاء دروس خصوصية ، قد يكون لها فوائد إقتصادية عرضية ..لقد أشارت نسيبة المرعشلي (2012)، إلى أن الدروس الخصوصية ترهق الأسرة بأعباء و مصاريف إضافية حتى أصبحت تشكل هاجسا خاصة مع بداية كل سنة دراسية وحتى في العطلة الصيفية مما ينعكس سلبا على ميزانية الأسرة إذ يدفع الكثيرون جزءا لا يستهان به من دخلهم مقابل الدروس الخصوصية.

7-3-3 الآثار النفسية :

أصبحت الدروس الخصوصية حاجة نفسية لدى الكثيرين من التلاميذ وأولياء الأمور الرصيفة (2007)، إلى جانب ذلك تؤثر على شخصية الدارس ليس فقط عندما ينهي المرحلة

الثانوية بل تمتد إلى طالب الدراسات العليا فهي تخلق داخله نوعا من الإنكسالية والإعتمادية و
معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MAAREF Revue académique

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

السلبية و عدم المبادرة و التفكير و نوع من الخمول العقلي و عدم الابتكار لأنه تعود أن تلقن له المعلومة بدون عناء لذلك لم ينشأ داخلهم مشروع باحث ..

7- 3 - 4 الآثار الاجتماعية :

من الجلي ان الدروس الخصوصية في أغلب أشكالها ترسخ الفروقات الاجتماعية وتعمقها ، ومن جانب آخر يمكن للدروس الخصوصية أن توفر للتلاميذ فضاءات إجتماعية أخرى لا يجدونها في المدارس ،ولا بين عائلاتهم مارك براي(2009).

7- 3 - 5 الآثار التربوية :

إن المدرسة تقوم بوظائف عديدة ، وليس فقط نقل المعلومات والمعرفة ،مما أدى إلى ظهور المشكلات التربوية في الأوساط المدرسية. والدروس الخصوصية تدعم دروس التعليم النظامي من خلال توفيرها لوسائل إضافية تساعد التلاميذ على التعلم في المواد الدراسية ومع ذلك تأثيرها في بعض الأحيان يكون تأثيرا سلبيا ينعكس على مستوى الانضباط في المدرسة تدفع إلى الفوضى، كما أنها تجعل التلاميذ كثيري الغياب بسبب الإرهاق نتيجة لهذه الدروس أو ايماننا منهم بعدم جدوى الذهاب الى المدرسة ، ولا يعملون بجد في القسم ويثيرون الفوضى .. مارك براي (2009).

8- منهجية البحث .

8- 1 أسباب اختيار الموضوع :

ان الهدف الأساسي من هذا البحث هو معرفة في أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية ومدى تأثيرها على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الامتحانات الرسمية لمختلف الأطوار ، ويمكن حصر أسباب اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

أ - من حيث الجانب الأكاديمي :

ثمة إحساس باتساع هذه المشكلات ، بشكل يوحي بضرورة إجراء دراسات متنوعة ومستمرة .

ب - عدم وجود محك موضوعي لتقويم تأثير الدروس الخصوصية على تحصيل التلاميذ:

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

إن غياب هذا المحك التقويي كان من بين الدوافع للقيام بهذا البحث.

8-2 الأهداف العلمية والعملية للبحث :

- تسليط الضوء على ظاهرة الدروس الخصوصية التي أصبحت متفشية، والتنبيه بأثارها .
- معرفة مدى انتشار الدروس الخصوصية بين التلاميذ على المستوى الوطني .
- تحديد الأسباب و المبررات التي دفعت تلاميذ مختلف أقسام الامتحانات للإقبال على الدروس الخصوصية.
- الوقوف عند درجة تعتبر الدروس الخصوصية نظام موازي للمدرسة الجزائرية.
- وضع أمام المسؤولين عن التربية حقائق وطبيعة هذه الظاهرة وإظهار مدى خطورتها على المجتمع .

8-3 فرضيات (أسئلة)البحث :

نظرا للأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع سعينا إلى الاجابة على الأسئلة الخاصة بموضوع البحث.

1. تختلف درجة إقبال تلاميذ أقسام الامتحانات الرسمية على الدروس الخصوصية بحسب المتغيرات البيوغرافية التالية :
- عامل المستوى الدراسي، شعب التوجيه المختلفة، المواد المعنية بالدروس الخصوصية.
2. توجد عدة أسباب (تربوية، بيداغوجية، نفسية، اجتماعية)، وراء لجوء تلاميذ أقسام الامتحانات الرسمية للدروس الخصوصية .
3. توجد علاقة بين متابعة التلاميذ للدروس الخصوصية و تحصيلهم الدراسي.

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

8-4 تحليل مجال السلوك :

8-4-1 اعداد الفقرات:

تم اعداد العبارات في شكل مقياس أولي بناء على المعطيات المحصلة في المرحلة الأولى يضم 85 فقرة مترجمتا لمختلف المحاور ، رتبت تلك العبارات ترتيبا عشوائيا مع العلم أنه تم استخدام سلم ليكرت للإجابة المتكون من 05 درجات مع تلاميذ السنوات الرابعة و الثالثة ثانوي و الأساتذة وهي كالتالي: موافق جدا، موافق ، محايد ، معارض ، معارض جدا. أما تلاميذ الأولى متوسط و الأولياء فكانت الاجابة نعم ، لا.

8-4-2 دراسة الخصائص السيكومترية :

الخطوة الأولى: عرض المقياس الأولي على المحكمين:

الخطوة الثانية: عرض المقياس الأولي المعدل على المحكمين ثانيًا:

تم تعديل و ادخال مختلف الملاحظات على المقياس الأولي بناء على ملاحظات المحكمين فكان:

← استبيانات تلاميذ الثالثة ثانوي:

رقم البعد	الأبعاد(المحاور)	عدد العبارات	الرقم التسلسلي
الأول	الأسباب التربوية لظاهرة الدروس	23 بند	01-23
الثاني	الأسباب الاجتماعية لظاهرة الدروس	16 بند	24-39
الثالث	الأسباب البيداغوجية لظاهرة الدروس	08 بند	40-47
الرابع	الأسباب النفسية لظاهرة الدروس	10 بند	48-57
	المجموع	57 بند	01-57

الجدول رقم(02) توزيع مختلف فقرات المقياس في بعد التعديل الأولي له.

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

← استبيانات تلاميذ الرابعة متوسط :

رقم	الأبعاد(المحاور)	عدد العبارات	الرقم	التسلسلي
الأول	الأسباب التربوية لظاهرة الدروس الخصوصية .	23 بند	01- 23	
الثاني	الأسباب الاجتماعية لظاهرة الدروس الخصوصية	15 بند	24- 38	
الثالث	الأسباب البيداغوجية لظاهرة الدروس	08 بند	39- 46	
الرابع	الأسباب النفسية لظاهرة الدروس الخصوصية .	10 بند	47- 56	
	المجموع	56 بند	01- 56	

الجدول رقم(03) توزيع مختلف فقرات المقياس في بعد التعديل الأولي له.

← استبيانات تلاميذ الأولى متوسط:

رقم البعد	الأبعاد(المحاور)	عدد العبارات	الرقم	التسلسلي
الأول	الأسباب التربوية لظاهرة الدروس الخصوصية .	18 بند	01- 18	
الثاني	الأسباب الاجتماعية لظاهرة الدروس	17 بند	19- 35	
الثالث	الأسباب البيداغوجية لظاهرة الدروس	05 بند	36- 40	
الرابع	الأسباب النفسية لظاهرة الدروس الخصوصية	08 بند	41- 48	
	المجموع	48 بند	01- 48	

الجدول رقم(04) توزيع مختلف فقرات المقياس في بعد التعديل الأولي له.

الخطوة الثالثة: تطبيق المقاييس المعدل الذي يضم (57 بند):

الخطوة الرابعة: دراسة الصدق و الثبات:

▪ دراسة الصدق .

- صدق المضمون: وهذا عن طريق عرض بنود المقياس في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين .

- صدق الاتساق الداخلي: كل بنود المقياس دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 - عدا البند الأول 0.05 - .

▪ دراسة الثبات.

{ **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF Revue académique** }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
 للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- استخدام معامل ألفا كرونباخ: بلغ الثبات بهذه الطريقة 0.920 وهو معامل ثبات مرتفع يمكن الوثوق به .

8-6 عينة البحث وكيفية اختيارها:

يقدم لنا الجدول رقم (05)، عينة الدراسة و المتكونة من 05 فئات كما هو موضح في ذات الجدول

الرقم	العينة الولايات	عينة الأستاذة	عينة الأولياء	عينة 1 متوسط	عينة 4 متوسط	عينة 3 ثانوي	المجموع
1	بومرداس	504	1077	587	900	941	4009
2	الجزائر وسط	137	856	251	164	451	1859
3	الجزائر غرب	181	542	715	472	670	2580
4	عين الدفلى	159	290	225	182	312	1168
5	وهران	304	1646	900	1351	1102	5303
6	عين تموشنت	113	459	255	150	139	1116
7	سعيدة	150	731	196	915	309	2301
8	باتنة	193	1298	444	546	463	2944
9	قسنطينة	175	435	317	110	39	1076
10	الوادي	155	225	358	602	669	2009
11	الأغواط	208	407	147	307	156	1225
12	أدرار	128	86	103	134	354	805
13	برج بوعريج	161	1223	521	581	576	3062
14	تيزي وزو	197	1509	728	823	885	4142
15	تلمسان	378	1168	727	665	746	3684
16	عنابة	140	1205	359	469	463	2636
17	البيضاء	6	3	160	169	140	478
	المجموع	3289	13160	6993	8540	8415	40397

الجدول رقم (05) عينة البحث حسب الولايات .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

9- تحليل النتائج ."

9- 1 التشخيص: الفرضية الأولى « تختلف درجة إقبال التلاميذ على الدروس الخصوصية بحسب بعض المتغيرات »

9- 1-1 واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر عينة البحث .

- واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر المعلمين والأساتذة .

يتضح من النتائج المحصل عليها للنسبة العامة لتقديم الدروس الخصوصية من قبل المعلمين والأساتذة أن:

➤ النسبة العامة للمعلمين والأساتذة الذين يقدمون دروسا خصوصية في مختلف الولايات لم تتعدى 10.48 %، وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع ما هو متوقع بناء على معطيات الميدان.

- واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر أولياء التلاميذ .

يتضح من النتائج المحصل عليها للنسبة العامة الخاصة بأولياء الأمور الذين لديهم أبناء تابعوا دروسا خصوصية أن:

➤ النسبة العامة لأولياء الأمور الذين لديهم أبناء تابعوا دروسا خصوصية في مختلف الولايات كانت 54.16 %، وهي نسبة مرتفعة نوعا ما مقارنة مع ما هو متوقع بناء على معطيات الميدان. الى جانب أن هناك تفاوت ملحوظ بين الولايات المشكلة لعينة البحث حيث كانت أدنى نسبة مسجلة في ولاية عين تموشنت 28.54 %، وأعلى نسبة في ولاية بومرداس 81.05 % - على اعتبار أن العينة المختارة في ولاية البيض غير ممثلة وبالتالي لا تحسب - .

- واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ الأولى متوسط .

يتضح من النتائج المحصل عليها للنسبة العامة الخاصة بتلاميذ الأولى متوسط الذين تابعوا دروسا خصوصية أن:

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

➤ النسبة العامة لتلاميذ الأولى متوسط الذين تابعوا دروسا خصوصية العام الماضي أي الخامسة ابتدائي للسنة الدراسية 2013/2012، في مختلف الولايات كانت 40.90 %، و هي نسبة مرتفعة نوعا ما مقارنة مع ما هو متوقع في هذا المستوى (الخامسة ابتدائي) ، الى جانب أن هناك تفاوت ملحوظ بين الولايات المشكلة لعينة البحث حيث كانت أدنى نسبة مسجلة في ولاية أدرار 09.70 %، و أعلى نسبة في ولاية عنابة 59.61 % .

- واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ الرابعة متوسط .

يتضح من النتائج المحصل عليها للنسبة العامة الخاصة بتلاميذ الرابعة متوسط الذين تابعوا دروسا خصوصية أن:

➤ النسبة العامة لتلاميذ الرابعة متوسط الذين تابعوا دروسا خصوصية العام الماضي في السنة الدراسية 2013/2012، في مختلف الولايات كانت 48.73 %، و هي نسبة مرتفعة نوعا ما مقارنة مع ما هو متوقع في هذا المستوى ، الى جانب أن هناك تفاوت ملحوظ بين الولايات المشكلة لعينة البحث حيث كانت أدنى نسبة مسجلة في ولاية أدرار 08.20 %، كما مع تلاميذ الأولى متوسط ..وأعلى نسبة في ولاية عنابة 71.85 % و هي نفسها ترتيبا مع تلاميذ الأولى متوسط.

- واقع انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ الثالثة ثانوي .

يتضح من النتائج المحصل عليها للنسبة العامة الخاصة بتلاميذ الثالثة ثانوي الذين تابعوا دروسا خصوصية أن:

➤ النسبة العامة لتلاميذ الثالثة ثانوي الذين تابعوا دروسا خصوصية في السنة الدراسية 2014/2013، في مختلف الولايات كانت 66.91 %، و هي نسبة مرتفعة نوعا ما في هذا المستوى ، الى جانب أن هناك تفاوت ملحوظ بين الولايات المشكلة لعينة البحث حيث كانت أدنى نسبة مسجلة في ولاية أدرار 24.01 %، كما مع تلاميذ الأولى متوسط و الرابعة متوسط ..وأعلى نسبة في ولاية عنابة 93.95 % .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
 للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

9-1-2 توزيع أفراد العينة بناء على شعبة الشعب الأكثر انتشارا في الدروس
 الخصوصية .

يقدم لنا الجدول رقم (06)، توزيع أفراد العينة بناء على شعبة التمدريس .

الترتيب	الذين يتابعون دروسا		عدد أفراد العينة	شعب التمدريس
	النسبة	التكرار		
06	% 05.90	332	403	الرياضيات
04	% 09.20	520	714	تقني
01	% 47.20	2656	3407	العلوم
03	% 13.70	771	1099	التسيير و
02	% 15.90	895	1971	الأداب و
05	% 08.10	457	821	اللغات
/	% 00.00	00	59	بدون
/	% 100.0	5631	8415	المجموع

الجدول رقم (06)، يوضح النسبة العامة لعينة الثالثة ثانوي الذين يتابعون دروسا
 خصوصية بناء على الشعبة

➤ تصدرت شعبة العلوم التجريبية في الشعب العلمية الصدارة تلتها شعبة الأداب و
 الفلسفة في الشعب الأدبية بنسبة 16.00 %، و آخر شعبة كانت الرياضيات بنسبة 06.00
 %، و يرجع تمثيل شعبة الرياضيات بهذه النسبة كونها قليلة الانتشار و العدد في المؤسسات
 التربوية .

9-1-3 المواد الأكثر اقبالا من قبل التلاميذ في الدروس الخصوصية .

• من وجهة نظر تلاميذ الأولى متوسط .

يقدم لنا الجدول رقم (07)، المواد المتابع فيها تلاميذ السنوات الخامسة ابتدائي الدروس
 الخصوصية العام الماضي .

{ **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF Revue académique** }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

الرقم	المواد	مستوى الخامسة ابتدائي		
		التكرار	النسبة	الرتبة
01	الرياضيات	1633	57.20	03
02	اللغة العربية	1845	64.60	02
03	اللغة الفرنسية	2128	74.50	01

الجدول رقم (07)، المواد المتابع فيها تلاميذ السنوات الخامسة الدروس الخصوصية..

➤ بالنسبة لمستوى الخامسة ابتدائي نجد أنه من بين المواد المتابع فيها دروسا خصوصية من قبل تلاميذ السنوات الخامسة ابتدائي في السنة الدراسية 2012/2013، كانت اللغة الفرنسية في الصدارة بنسبة 74.50 %، ثم تليها مادتا اللغة العربية بنسبة 64.60 %، و مادة الرياضيات بنسبة 57.20 %، و هي المواد المشكلة لامتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي.

- و هذه النتائج المتوصل لها تقريبا نفسها توصلت لها العديد من الدراسات حيث وجدت دراسة فرشان لويزة و آخرون بالجزائر (2009)، أنه في التعليم الابتدائي مادة اللغة الفرنسية احتلت الصدارة و ذلك بنسبة 63.00 %، تبعها الرياضيات 58.00 %، و مادة اللغة العربية 54.00 %.

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

• من وجهة نظر تلاميذ الرابعة متوسط .

يقدم لنا الجدول رقم (08)، المواد المتابع فيها تلاميذ السنوات الرابعة متوسط الدروس الخصوصية العام الماضي .

الرقم	المواد	مستوى الرابعة متوسط		
		التكرار	النسبة	الرتبة
01	الرياضيات	3377	81.10	01
02	العلوم الفيزيائية	1955	47.00	02
03	اللغة العربية	1094	26.30	03
04	اللغة الفرنسية	456	18.20	04
05	العلوم الطبيعية	717	17.20	05
06	اللغة الانجليزية	480	11.50	06
07	التاريخ و الجغرافيا	59	01.40	07
08	مواد أخرى	81	01.90	-

الجدول رقم (08)، المواد المتابع فيها تلاميذ السنوات الرابعة متوسط الدروس الخصوصية..

➤ بالنسبة لمستوى الرابعة متوسط نجد أنه من بين المواد المتابع فيها دروسا خصوصية من قبل تلاميذ السنوات الرابعة متوسط في السنة الدراسية 2012/2013، كانت الرياضيات في الصدارة بنسبة 81.10 %، ثم تليها مادة العلوم الفيزيائية بنسبة 47.00 %، و مادة اللغة العربية بنسبة 26.30 %، و هي المواد المشكلة لأكبر معامل في السنوات الرابعة متوسط .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
 للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

• من وجهة نظر تلاميذ الثالثة ثانوي .

الرقم	المواد	مستوى الثالثة ثانوي ن=5631	
		التكرار	النسبة
01	الرياضيات	3648	64.78
02	العلوم الفيزيائية	2429	43.13
03	العلوم الطبيعية	1263	22.24
04	اللغة العربية	845	15.00
05	اللغة الفرنسية	380	06.74
06	اللغة الانجليزية	407	07.22
07	اللغة الاسبانية	189	03.35
08	التسيير المالي و المحاسبي	385	06.83
09	التاريخ و الجغرافيا	119	02.10
10	الاقتصاد و القانون	21	00.37

الجدول رقم (09)، المواد المتابع فيها تلاميذ السنوات الثالثة ثانوي الدروس الخصوصية..

➤ بالنسبة لمستوى الثالثة ثانوي نجد أن الرياضيات في الصدارة بنسبة 64.78 %، ثم تليها مادة العلوم الفيزيائية بنسبة 43.13 %، و مادة العلوم الطبيعية بنسبة 22.24 %، و هي المواد المشكلة لأكبر معامل في السنوات الثالثة ثانوي في الشعب العلمية تليها مواد بأقل نسبة منها اللغة العربية 15.00 %، الانجليزية 07.22 %، التسيير المالي و المحاسبي 06.83 %، اللغة الفرنسية 06.74 %، و هذه النتائج تقريبا نفسها توصلت لها العديد من الدراسات، Ireson and Rushforth & Irson (2005)، أن المادة التي يتلقى فيها أغلب التلاميذ دروسا خصوصية هي مادة الرياضيات وتليها اللغة الإنجليزية..،

9- 2 أسباب لجوء التلاميذ الى الدروس الخصوصية : الفرضية الثانية .

» توجد عدة أسباب تربوية، بيداغوجية، اجتماعية، نفسية وراء لجوء تلاميذ أقسام الامتحانات للدروس الخصوصية «

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

9-2-1 من وجهة نظر المعلمين و الأساتذة :

➤ يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى هي:

• رغبة الأولياء 46.10 %.

• كثافة البرامج التعليمية 45.50 %.

• الاكتضاظ في الأقسام 44.9 % .

9-2-2 من وجهة نظر أولياء الأمور :

باستقراء للنتائج المحصل عليها، يتضح أن:

➤ البنود التي أخذت المراتب الأولى (أعلى درجة من الموافقة الايجابية) هي:

• صعوبة البرامج و كثافتها 70.70 % .

• رغبة في تفوق الأبناء 69.30 % .

• حرصي المفرط على نجاح أبنائي 64.10 %.

إن ملاحظة مجموع هذه البنود يمكننا الاستخلاص بأن الجوانب التي لها علاقة بالرغبة، و بعض الأمور البيداغوجية أخذت المراتب الأولى في تصورات أولياء الأمور التي تركتهم يدفعون أبنائهم الى أخذ دروسا خصوصية.. حيث أن رغبة الأهل في تفوق الأبناء، يقابلها عدم قدرتهم على مساعدة أبنائهم دراسيا ممكن نظرا صعوبة البرامج .

9-2-3 من وجهة نظر تلاميذ الأولى متوسط :

➤ يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب التربوية) هي على التوالي :

• الرغبة في الحصول على أعلى المعدلات في الشهادة 80.90 % .

• لأتدرب على حل مواضيع الامتحانات 69.40 % .

• **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF Revue académique** الدروس الخصوصية مكملة للدروس العادية 58.30 %

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

• ضعف نتائحي في بعض المواد 55.30% .

➤ باستقراء لنتائج تصورات تلاميذ الأولى متوسط للأسباب الاجتماعية و الشخصية التي دفعتهم لمتابعتهم للدروس الخصوصية العام الماضي 2012/2013، يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى هي:

• رغبة أهلي في النجاح 75.50% .

• رغبة الأولياء في التحصيل المرتفع للأبناء 69.20% .

• صعوبة بعض المواد الدراسية 65.10% .

• الدروس الخصوصية أصبحت ضرورة 57.40% .

باستقراء لنتائج تصورات تلاميذ الأولى متوسط للأسباب البيداغوجية يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى هي

• كثرة المواد الدراسية 58.80% .

• عدد ساعات الدراسة لبعض المواد غير كاف 54.60% .

• صعوبة بعض الدروس 53.50% .

➤ باستقراء لنتائج تصورات تلاميذ الأولى متوسط للأسباب النفسية التي دفعتهم لمتابعتهم للدروس الخصوصية العام الماضي 2012/2013، يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (أعلى نسبة من الموافقة الايجابية) هي على التوالي :

• المنافسة بين الأصدقاء 63.90% .

• الخوف من الرسوب في امتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 62.20% .

• المعاملة الحسنة لمعلم(ة) الدروس الخصوصية. 61.10% .

• الخوف من امتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 58.70% .

{ **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF Revue académique** }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

9-2-4 من وجهة نظر تلاميذ الرابعة متوسط :

- يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب التربوية) هي:
 - الرغبة في الحصول على أعلى المعدلات في شهادة التعليم المتوسط 40.40 %.
 - لأتدرب على نماذج امتحانات شهادة التعليم المتوسط 35.20 %.
 - الدروس الخصوصية مكملة للدروس العادية 33.50 %.
 - كذلك يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى في الأسباب الاجتماعية هي:
 - صعوبة بعض المواد الدراسية 29.90 %.
 - رغبة الأولياء في التحصيل المرتفع للأبناء 31.10 % .
 - كذلك يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب البيداغوجية) هي:
 - صعوبة بعض الدروس 34.40 %.
 - كثرة المواد الدراسية 33.30 %.
 - كذلك يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب النفسية) هي:
 - المنافسة بين الزملاء 30.80 %.
 - الخوف من امتحان شهادة التعليم المتوسط 30.30 %.
- 9-2-5 من وجهة نظر تلاميذ الثالثة ثانوي :

- يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب التربوية) هي:
 - الرغبة في الحصول على أعلى المعدلات في شهادة البكالوريا 64.50 %.
 - لأتدرب على نماذج امتحانات البكالوريا 47.20 %.

كثرة التطبيقات والتمارين في الدروس الخصوصية 46.30 %
معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MÂAREF Revue académique

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- السرعة في تقديم الدروس من قبل بعض الأساتذة 41.10% .
 - نقص التطبيقات في الدروس العادية 39.20% .
 - يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب الاجتماعية) هي:
 - ارتفاع معدلات القبول في التخصصات الجامعية 43.00% .
 - رغبة أهلي في النجاح 47.00% .
 - رغبة الأولياء في التحصيل المرتفع للأبناء 34.70% .
 - يتضح ، أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب البيداغوجية) هي:
 - صعوبة بعض الدروس 40.50% .
 - التوقيت الأسبوعي لبعض المواد غير ملائم 44.00% .
 - يتضح أن البنود التي أخذت المراتب الأولى (الأسباب النفسية) هي:
 - رغبتني في تحقيق مشروعني الدراسي المستقبلي 54.10% .
 - الخوف من الرسوب في امتحان البكالوريا 39.90% .
- 9-3 المرحلة الثالثة الفرضية الثالثة « توجد توجد علاقة بين متابعة التلاميذ للدروس الخصوصية و تحصيلهم الدراسي »
- 9-3-1 أثر الدروس الخصوصية على تحصيل تلاميذ الأولى متوسط.

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
 للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي
 - المعدل العام في شهادة نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 2012/2013 .

مادة الرياضيات (الأولى متوسط)			المادة توزيع المعدلات
الملاحظات	النسبة	العدد	
	01.40 %	33	أقل أو يساوي 02.99
	13.00 %	309	من 03.00 - 04.99
	58.60 %	1397	من 05.00 - 07.99
	27.10 %	645	أكبر أو يساوي 08.00
	100.0 %	2384	المجموع
	03.00 %	91	غياب المعدلات المحصلة

يتضح من خلال الجدول(10) الممثل لتوزيع المعدلات العامة في إمتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 13/12 أن:

➤ النسبة العالية المحصلة عند تلاميذ الأولى متوسط في المعدلات العامة في إمتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 13/12 كانت في الفئة الثالثة (من 05 – 07.99)، بنسبة 58.60 %، تليها نسبة 27.10 %، عند الفئة الأخيرة ($08.00 \leq$).

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- مقارنة عامة بين المواد.

معدل		مادة		اللغة		مادة		المادة
النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	
01.40 %	33	04.30	79	09.10	192	01.20	23	أقل أو يساوي 02.99
13.00 %	309	17.90	330	20.60	437	10.10	199	من 03.00 - 04.99
58.60 %	1397	43.60	805	51.60	109	54.40	107	من 05.00 - 07.99
27.10 %	645	34.20	631	18.70	396	34.30	676	أكبر أو يساوي 08.00
100.0 %	2384	100.0	184	100.0	211	100.0	197	المجموع

يتضح من خلال الجدول (11) الممثل لتوزيع مختلف المعدلات المحصلة في إمتحان ن.م التعليم الابتدائي 13/12 أن:

➤ النسبة العالية المحصلة و التي قاربت النصف من تلاميذ الأولى متوسط في مختلف مواد و معدلات إمتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي 13/12 كانت في الفئة الثالثة (من 05 - 07.99)، بنسبة تراوحت بين (43.6 - 58.6 %)، تليها نسبة (18.70 - 34.30 %)، عند الفئة الأخيرة (أكبر أو يساوي 08.00).

➤ فئة التلاميذ الذين إستفادوا أكثر هي الفئة المتوسطة مع وجود تحسن كبير خاصة في مادتي اللغة العربية و الرياضيات.

و بناء على ما تقدم نقول أن الدروس المقدمة التي إستفاد منها تلاميذ السنة الخامسة إبتدائي العام الماضي 2013/12، أثرت نوعا ما إيجابا على نتائجهم في إمتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي بنسبة تجاوزت 50.00 % ..

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صداوي

9-3-2 أثر الدروس الخصوصية على تحصيل تلاميذ الرابعة متوسط.

- مقارنة عامة بين المواد.

يقدم لنا الجدول رقم (12)، توزيع معدلات مختلف المواد المحصلة في إمتحان شهادة التعليم المتوسط دورة جوان 2013.

المواد		الرياضيات		العلوم الفيزيائية		العلوم الطبيعية		اللغة العربية		اللغة الفرنسية		اللغة الانجليزية		التاريخ و الجغرافيا		معدل ش.ت. المتوسط	
توزيع المعدلات		النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
أقل أو يساوي 07.99		122	38.20	483	17.28	331	17.43	197	09.37	941	48.40	773	40.81	439	26.41	301	08.67
من 08.00 - 09.99		598	16.65	500	19.73	458	24.11	393	18.70	490	25.20	441	23.28	425	25.57	929	26.78
من 10.00 - 12.99		717	22.36	735	29.00	635	33.43	822	39.00	326	16.77	368	19.42	524	31.52	1581	45.58
من 13.00 - 15.99		395	12.32	517	20.40	349	18.37	583	27.63	140	07.20	206	10.87	227	13.65	535	15.42
أكثر أو يساوي 16.00		271	08.45	299	11.79	126	06.63	107	05.70	47	02.42	106	05.59	47	02.82	122	03.51
المجموع		320	100.0	2534	100.0	1899	100.0	2102	100.0	1944	100.0	1894	100.0	1662	100.0	3468	100.0

الجدول رقم (12)، توزيع المعدلات المحصلة في مواد إمتحان شهادة التعليم المتوسط دورة جوان 2013 .

يتضح من خلال الجدول(12) الممثل لتوزيع مختلف المعدلات المحصلة في إمتحان شهادة التعليم المتوسط دورة جوان 2013 أن:

➤ النسبة العالية المحصلة والتي قاربت النصف من تلاميذ الرابعة متوسط في مختلف مواد و معدلات إمتحان شهادة التعليم المتوسط دورة جوان 2013 كانت في الفئة الثالثة (من 10.00 – 12.99)، بنسب تراوحت بين 16.77 % - 45.00 % .

➤ النسبة العالية المحصلة من تلاميذ الرابعة متوسط في بعض المواد (الرياضيات، اللغة الفرنسية، اللغة الانجليزية ، التاريخ و الجغرافيا)، في إمتحان شهادة التعليم المتوسط دورة

{ **معارف** العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) **MÂAREF** Revue académique }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي

للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

جوان 2013 كانت في الفئة الأولى (أقل أو يساوي 07.99)، بنسب تراوحت بين 26.41 % - 48.00 % .

➤ فئة التلاميذ الذين إستفادوا أكثر من متابعتهم للدروس الخصوصية هي الفئة المتوسطة مع وجود تحسن كبير خاصة في مادتي اللغة العربية و العلوم الطبيعية. و بناء على ما تقدم نقول أن الدروس المقدمة التي إستفاد منها تلاميذ السنة الرابعة متوسط العام الماضي 2013/12، أثرت نسبيا على نتائجهم في بعض مواد إمتحان شهادة التعليم المتوسط بنسبة تجاوزت 50.00 % ، في مواد اللغة العربية ، العلوم الطبيعية، العلوم الفيزيائية .يقابله نسب ضعيفة في التحسن خاصة في مواد الرياضيات ، و لغة الفرنسية، و اللغة الانجليزية ، التاريخ و الجغرافيا لم يتحصلوا على المعدل في هذه المواد المكونة للامتحان تراوحت بين (52.00 % - 74.00 %)

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي
للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

9-3-3 أثر الدروس الخصوصية على تحصيل تلاميذ الثالثة ثانوي.

- مقارنة عامة بين المواد.

المواد توزيع المعدلات	الرياضيات		العلوم		العلوم		اللغة العربية		اللغة الفرنسية		اللغة الانجليزية		اللغة الاسبانية		اللغة الألمانية	
	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
أقل أو من 08.00	11	33.2	799	32.3	303	17.2	295	14.1	22.9	481	26.9	691	27.9	21.6	74	08.00
من 10.00	74	21.4	639	25.8	474	26.9	910	43.4	374	20.0	32.9	424	22.1	412	22.9	07.4
من 13.00	74	21.4	639	25.8	474	26.9	910	43.4	374	20.0	32.9	424	22.1	412	22.9	33.3
أكبر أو المجموع	33	09.8	61	02.4	312	17.7	372	17.7	324	17.4	292	16.5	32	26.2	08	29.6
	34	100.	247	100.	175	100.	209	100.	186	100.	1767	100.	122	100.	27	100.

الجدول رقم (13)، توزيع المعدلات المحصلة في مواد إمتحان شهادة البكالوريا دورة جوان 2014.

المواد توزيع المعدلات	الاقتصاد		التكنولوجيا		التاريخ والجغرافيا		التسيير المالي		معدل شهادة البكالوريا دورة جوان 2014	
	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد
أقل أو يساوي 07.99	07	03.28	35	27.55	107	06.69	71	19.13	456	10.76%
من 09.99 - 08.00	13	06.10	05	03.93	446	29.14	74	19.94	1128	26.64%
من 12.99 - 10.00	49	23.00	36	28.34	528	33.02	123	33.15	2022	47.75%
من 15.99 - 13.00	41	19.24	26	20.47	386	24.14	70	18.86	579	13.67%
أكبر أو يساوي 16.00	103	48.35	25	19.68	132	08.25	33	08.89	49	01.15%
المجموع	213	100.0%	127	100.0%	1599	100.0%	371	100.0%	4234	100.0%

يتضح من خلال الجدول (13) الممثل لتوزيع مختلف المعدلات المحصلة في إمتحان شهادة البكالوريا دورة جوان 2014 أن:

{ معارف العدد 19 / ديسمبر 2015 (السنة العاشرة) MÂAREF Revue académique }

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل الدراسي

للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

➤ النسبة العالية المحصلة والتي فاقت النصف 50.00 % ، من تلاميذ الثالثة ثانوي في المواد الأساسية (الرياضيات العلوم الفيزيائية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الانجليزية) ، لم يتحصل التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية فيها على المعدل في امتحان شهادة البكالوريا 2014 .

➤ النسبة قاربت 50.00 % ، من تلاميذ الثالثة ثانوي في المواد الأساسية (العلوم الطبيعية ، التسيير المالي ، اللغة العربية) ، لم يتحصل التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية فيها على المعدل في امتحان شهادة البكالوريا 2014 .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل

الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: صدقاوي كمال

➤ نسبة أقل من 30.00 % ، من تلاميذ الثالثة في بعض المواد (اللغة الاسبانية، اللغة الألمانية، الاقتصاد، التكنولوجيا، التاريخ و الجغرافيا)، لم يتحصل التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية فيها على المعدل في امتحان شهادة البكالوريا 2014 .

➤ النسبة العالية من تلاميذ الثالثة ثانوي الذين تحصلوا على المعدل في كل المواد (عدا الاقتصاد)، في إمتحان شهادة البكالوريا دورة جوان 2014 كانت في الفئة الثالثة (من 10 – 12.99)، بنسب تراوحت بين 21.00 % - 43.0 %

➤ فئة التلاميذ الذين إستفادوا أكثر من متابعتهم للدروس الخصوصية هي الفئة المتوسطة مع وجود تحسن كبير خاصة في مادتي اللغة العربية و اللغة الاسبانية ... و بناء على ما تقدم نقول أن الدروس المقدمة التي إستفاد منها تلاميذ السنة الثالثة ثانوي العام الماضي 2014/13، أثرت نسبيا على نتائجهم في بعض مواد إمتحان شهادة البكالوريا بنسبة تجاوزت 50.00 % ، يقابله نسب ضعيفة في التحسن خاصة في مواد الرياضيات ، العلوم الفيزيائية ، و الغة الفرنسية، و اللغة الانجليزية .. لم يتحصلوا على المعدل في هذه المواد المكونة للامتحان تراوحت بين (52.00 % - 59.00 %).

جاء في التقرير المفصل حول "جودة التعليم" لعام 2013-2014، الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، أن الجزائر حلت في المرتبة 100 بين الدول في جودة النظام التعليمي،".

و موازاة مع ذلك كانت هاته الدراسة التي ناقشت ظاهرة الدروس الخصوصية في الجزائر التي أصبحت تنامي بشكل كبير و في غياب دراسات أميريقية و إستطلاعات للرأي تعطينا بعض المعطيات والمؤشرات عن درجة وجودها و تأثيرها على النظام التعليمي الرسمي، من حيث أنها لا تتيح للتلاميذ على إختلاف مستوياتهم الفرص المتكافئة من الناحية التحصيلية ومن ثم الالتحاق بالمستوى الأعلى. وقد أصبحت الدروس الخصوصية مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم حتى أصبحت قضية مجتمع، حيث ومن المعاينة الميدانية لوحظ تهافت تلاميذ مختلف المستويات عليها خارج المؤسسات التعليمية الرسمية. وفي كل المواد التعليمية الموجودة في البرنامج الدراسي، رغم حصص الدعم و المعالجة التربوية التي أقرتها الدولة في مختلف المستويات للتلاميذ الذين يعانون من صعوبات دراسية.. ومع التسليم بتأثيرها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي و حتى النفسي.. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث في أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية من وجهة نظر عينة البحث من أساتذة ، أولياء، تلاميذ السنوات الأولى متوسط، الرابعة متوسط، الثالثة ثانوي في السنة الدراسية 2013/2014، و في 17 ولاية أختيرت عشوائيا (حضرية، شبه حضرية، ريفية)... و قد خلص البحث إلى أن:

○ نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية في السنة الدراسية 2012/2013. في السنة الخامسة ابتدائي كان 40.90 % .

○ نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية في السنة الدراسية 2012/2013. في السنة الرابعة متوسط كان 48.73 % .

○ نسبة التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية في السنة الدراسية 2013/2014، في السنة الثالثة ثانوي كان 66.91 % .

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل

الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- هناك إختلاف في المواد و الشعب المتابع فيها دروسا خصوصية ، مع التذكير أن الرياضيات و العلوم الفيزيائية و العلوم الطبيعية و اللغة الفرنسية كانت دائما في الصدارة.
- هناك عدة أسباب لتفشي ظاهرة الدروس الخصوصية منها تربوية، بيداغوجية، إجتماعية ، نفسية ..
- هناك تقارب و بعض الأحيان إختلاف في تحديد أسباب الدروس الخصوصية من قبل أفراد العينة.
- تأثير الدروس الخصوصية في التعليم الابتدائي كان نوعا ما مقبول أما في التعليم المتوسط و الثانوي فالتأثير يبقى نسبي و فقط بقيت بعض المواد خاصة الرياضيات واللغة الفرنسية تشكل مشكل حتى على التلاميذ الذين تابعوا دروسا خصوصية ..

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل

الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

التوصيات و المقترحات :

ومن التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تقلل من التأثير السلبي للدروس
الخصوصية هي :

← على المستوى الإعلامي :

- التوعية المستمرة للتلاميذ وأولياء أمورهم وتعريفهم بالبدائل المتاحة ، مثل دروس
الدعم و المعالجة التربوية ..

- إشراك أولياء أمور التلاميذ ونشر التوعية بينهم، بحيث يتحتم على الوزارة و
المؤسسات التربوية العمل مع أولياء الأمور بشكل وثيق لتوعيتهم حول بعض الآثار
السلبية الناجمة عن أخذ الدروس الخصوصية..

- ضرورة التفكير و إعادة بعث الإعلام التربوي تحت إشراف وزارة التربية الوطنية
وذلك، بإعداد برامج مساعدة للمواد الأدبية و العلمية على حد سواء بالتنسيق مع
وزارة الاعلام و الاتصال (التلفزيون + الراديو) .

- توعية التلاميذ وأولياء الأمور من خطورة تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية وما لها
من آثار عكسية ، وذلك من خلال:

← على المستوى البيداغوجي :

- تسهيل و تبسيط و مراجعة المناهج الدراسية دوريا سواء من حيث الإعداد أو العرض
قدر الإمكان.

- تدريب التلاميذ على الطرق والأساليب التعليمية التي تعتمد أساساً على التفكير
والتحليل والاستنتاج والفهم ..

- توفير دروس تقوية برعاية المؤسسات التربوية على غرار ما قامت به وزارة التربية
الوطنية في السنوات الأخيرة كتجربة، وذلك بإعطاء دروس تقوية في المؤسسات التربوية
بعد ساعات الدوام الرسمية أو أمسياتي الثلاثاء و السبت و بتمويل من الدولة)

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل

الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

السلطات المحلية و الولائية)، و مساهمة أقل، من أولياء الأمور وبتكلفة أقل من تكلفة الدروس الخصوصية.

✓ إعادة تفعيل مختلف المجالس التربوية و البيداغوجية في المؤسسات التربوية بما يسمح بأداء الدور المنوط بها فعلا.

✓ التخفيف من الاكتظاظ داخل الفصول الدراسية حتى يتمكن الأستاذ من إشراك جميع التلاميذ في الأنشطة التعليمية .

✓ إعادة النظر في نظام التقويم التربوي (الامتحانات العامة)، والذي يتم التركيز فيها على جوانب المعرفة النظرية فقط دون الاهتمام بما لدى التلاميذ من كفاءات ومهارات علمية يمكن توظيفها في المجتمع أو في الحياة الجامعية بصفة عامة.

← على المستوى المهني و التكوين :

- إعادة النظر في آليات توظيف الأساتذة في مختلف المراحل التعليمية و كذا و الحوافز المقدمة لهم ..

✓ ضرورة تظافر جهود جميع الفاعلين في التربية بمعية مستشاري التوجيه و الارشاد المدرسي و الهني المعينين في المؤسسات التربوية للتعرف على التلاميذ الذين يعانون من صعوبات دراسية في أحد المواد و تقصي أسباب هذا الضعف و الإسهام معاً في حلها من خلال تخصيص أستاذ المادة وقتاً إضافياً لمساعدة هذا التلميذ .

✓ ضرورة تعاون الكل (شركاء التربية)، من أجل إعداد دورات تكوينية مستمرة للأساتذة العاملين ..

- تكوين أساتذة متخصصين و مؤهلين أكاديمياً و تربوياً و خاصة في المواد التي ظهر من خلال نتائج الدراسة أنها تحتل مراتب عالية بالنسبة لتلقي التلاميذ دروساً خصوصية فيها وهي الرياضيات و اللغة الفرنسية .

قائمة المراجع:

- آدم ، محمد وآخرون (1980)، « استطلاع للرأي العام - ظاهرة الدروس الخصوصية » المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الأول ، 1980 ، الصفحة 57-90.
- البوهي ، فاروق (1994)، « الدروس الخصوصية في التعليم الثانوي العام » ، مجلة دراسات تربوية ، الجزء 70 ،
- الشراح يعقوب (2002)، « التربية وأزمة التنمية البشرية » الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- أشرف السعيد (2005)، « إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية : رؤية اسلامية » رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية جامعة المنصورة .
- الصالحي ،محسن حمود و آخرون (2009)، « الدروس الخصوصية بالمرحلة الثانوية بدولة الكويت: الواقع و الأسباب و العلاج » في المؤتمر العلمي التاسع : تحديات التعليم في العالم العربي في الفترة بين 10- 11 نوفمبر 2009 جامعة المنيا كلية التربية.
- عزو اسماعيل عفانة و آخرون (بدون تاريخ)، « ظاهرة انتشار الدروس الخصوصية بالمرحلة الثانوية في محافظة غزة أسبابها و علاجها »
- فرشان لويزة و آخرون (2009)، « الدروس الخصوصية، مدى انتشار الظاهرة ووصفها » دفا تر المعهد الوطني للبحث في التربية جوان 2010 الصفحة 07 – 14.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج (1989)، « دراسة ظاهرة الدروس الخصوصية حجمها وأسبابها » رسالة الخليج العربي ، العدد 31 ، الرياض ، 1989 الصفحة 188-189.

الدروس الخصوصية في المنظومة التربوية بين الأسباب و التأثير على التحصيل

الدراسي للتلاميذ في الإمتحانات الرسمية | أ: كمال صدقاوي

- مسلم حسن علي حسن (2001)، « مشكلات التعليم العام مظاهر سلبية و تطلعات ايجابية » دراسة تحليلية لعينة من مدركات مديري المدارس المتدربين بكلية التربية جامعة الملك سعود المملكة السعودية.
- مارك براي (2009)، « مواجهة نظام التعليم الظلي: أي سياسات حكومية أي دروس خصوصية » منشورات اليونيسكو مطابع جامعة الدول العربية .
- مركز استطلاع الرأي العام (2010)، « إستطلاع رأي أولياء الأمور حول مشكلة الدروس الخصوصية » تقرير مقارنة جمهورية مصر العربية ديسمبر 2010.الصفحة 207-243.
- نهلة جمال (بدون تاريخ)، « الدروس الخصوصية – المشكلة - الحلول المقترحة » جمهورية مصر العربية.
- فايز بن عبد الله السويد (1996)، « ظاهرة الدروس الخصوصية » الطبعة الأولى العبيكات للنشر والتوزيع الرياض.
- نادي الحربي (2000)، « الدروس الخصوصية » الرياض السعودية .
- نسبية المرعشلي(2012)، « أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية من وجهة نظر المدرء، المعلمين، الطلاب، أولياء الأمور و سبل الحد من انتشارها » مجلة الفتح العدد الخمسون .

Abstract:

المخلص:

Employment policy in Algeria between reality and prospects

The development on its various forms is based on a fundamental pillar which is employing the active workforce which is looking for a job. On this basis, the Algerian state provide jobs more particularly for young people, by adopt effective operational policy to carry out of the phenomenon of unemployment on one hand and contribute to push forward the national development on the other hand. On this basis, the concerned ministries by employment involved the active workforce by incorporating policies in order to support and to assist the young people to get jobs or creating small enterprises. Among these mechanisms: National Agency for supporting youth employment and the National Agency for conducting the mini-loan and the National Insurance Fund loan on unemployment ... etc. Reality has proven the success of these systems to alleviate unemployment and provide jobs opportunities for young people

تقوم التنمية بشتى أشكالها على دعامة أساسية وهي تشغيل القوى العاملة النشطة الطالبة للعمل ، وعلى هذا الأساس ومن توفير مناصب الشغل لفئة الشباب بشكل أخص تعمل الدولة الجزائرية على اعتماد سياسة تشغيلية فعالة تقضي على ظاهرة البطالة من جهة وتساهم في الدفع بعجلة التنمية الوطنية من جهة أخرى . وعلى هذا الأساس عملت الوزارات المعنية بالتشغيل بالتكفل بالقوى العاملة النشطة من خلال تجسيد أجهزة تساعد في التشغيل وتدعم الشباب في الحصول على مناصب عمل أو خلق مشروعات صغيرة تدعمها الدولة سواء بالتمويل أو العتاد. ومن بين هذه الآليات أو الأجهزة الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب والوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر والصندوق الوطني للتأمين على البطالة... إلخ . وقد أثبت الواقع نجاح هذه الأجهزة في التخفيف من حدة البطالة وتوفير العمل للشباب.

مقدمة

تهدف عملية التنمية في أي بلد إلى الوصول إلى الاستخدام الأمثل لكافة طاقات المجتمع المادية والبشرية ، وهذا من أجل ترقية اقتصادية واجتماعية لمجموع السكان . ولكنه رغم اختلاف الأنظمة الاقتصادية والسياسية وكذا اختلاف النماذج المطبقة لم تتمكن الدول من الوصول إلى تحقيق استخدام كامل للموارد البشرية .

1- مفهوم سياسة التشغيل :

سياسة التشغيل تعني " الأسلوب الذي يتبناه المجتمع إزاء توفير فرص العمل للقوى العاملة المتاحة، وفي إعداد وتكوين أفرادها وفي تنظيم العلاقات بين العمال وأرباب العمل (شركات أو مؤسسات عامة وخاصة) عن طريق التعليمات والقواعد والقوانين . وتعكس سياسة التشغيل إيديولوجية النظام الإقتصادي-الإجتماعي القائم ونظريته إلى العمل وحق المواطن فيه " ¹.

إن التشغيل هو وضعية أولية بالنسبة للوضعيات الأخرى ، فالمتقاعد والطالب اللذان يعملان هما على سبيل المثال مشغولان . كذلك يعتبر كل شخص في إجازة راحة أو إجازة مرضية وكل شخص متوقف عن العمل منذ أقل من شهر وكل شخص يتابع تربيصا لتحديث المعلومات أو لتحسين المستوى في إطار عمله أيا كان مكان التربيص ومهما كانت مدته وكذا كل شخص يعمل نصف الدوام شخصا مشغولا ².

ويعرف محمد جمال برعي القوى العاملة بقوله :

" يعرف إصطلاح القوى العاملة في مجتمع ما بأنه ذلك الجزء من السكان الذي يمكن استخدامه في النشاط الاقتصادي ، وهو يتناول عدد جميع السكان باستثناء غير القادرين عن العمل أي أن القوى العاملة تمثل جميع الأفراد القادرين على العمل والراغبين فيه والمحصورين بين سن 65.18 سواء منهم الذين يعملون والمتعطلون الذين يرغبون في العمل ويقدررون عليه والذين يبحثون عنه ولا يجدونه " ³.

جاء مفهوم سياسة التشغيل في الميثاق الوطني للدولة الجزائرية سنة 1976 على

أنها:

" اشتغال مجموع السكان القادرين على العمل بإحداث مناصب العمل كهدف أساسي للتنمية ، أي العمل على إحداث مناصب الشغل على نطاق بحيث يمكن القضاء على

البطالة والعمل الجزئي ، مع الأخذ بعين الاعتبار التوسع باتجاه قطاع التكوين المهني أي البحث عن التطابق بين سياسة التشغيل والتكوين المهني " 4 .
تعتمد سياسة التشغيل من منطلقاتها النظرية على فكرة التشغيل الكامل والتي تعني التوافق بين احتياجات القوى العاملة في الاقتصاد الوطني وبين فرص العمل التي تلي هذه الاحتياجات .

- المفاهيم المرتبطة بسياسة التشغيل :

يرتبط مفهوم التشغيل بالعديد من المفاهيم القريبة منه ومن بين هذه المفاهيم المرتبطة ما يلي :

أ . السكان : يعرف السكان على أنهم وضع المجتمع بالنسبة لعدد الناس ودرجة أو كثافة السكان بالنسبة للمكان ، أو المجموع الكلي للناس الذين يقطنون منطقة معينة . وفي العلوم الاجتماعية يعرف السكان دائما في ضوء الإقامة أو المنطقة المحلية التي يشغلونها ، وينظر إليهم كجماعة من الناس لديها خصائص مشتركة بيولوجية ، قانونية ، اجتماعية واقتصادية 5 .

ب- السكان في سن العمل :

تعتبر الإحصاءات الدولية أن " حدود سن العمل بتبديء من 15 سنة لتنتهي عند سن 64 سنة لكلا الجنسين " 6 .

وفي الجزائر تبين حدا سن العمل المستخدمة بتباين الإحصاءات الصادرة سواء عن وزارة التخطيط والمحافظة الوطنية للإحصاءات أو جهات رسمية أخرى ، فوفقا للتعداد العام للسكان والسكن الثاني الذي أجري عام 1977 بالجزائر " فإن حدي سن العمل المعمول بها عند تنفيذ هذا التعداد هي (59-18 سنة) لكلا الجنسين " 7 . وفي آخر إحصاء سكاني للجزائر بلغ عدد السكان 35.1 مليون نسمة حتى الفاتح جانفي 2009 . وعن تشكيلة السكان على أساس كل 10 آلاف نسمة فقد أبرز التوزيع بحسب الأعمار أن السكان الأقل من 15 سنة يمثلون 28 % ، وفئة البالغين سن النشاط من (15- 59 سنة) تقدر بـ 64.4 % ، وفئة العمر الثالث (60 سنة وأكثر) تقدر بـ 7.6 % . وتجدر الإشارة إلى أن حصة السكان الأقل من 5 سنوات أكبر من فئة الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وتسع سنوات نتيجة استئناف الولادات التي لوحظت خلال السنوات الأخيرة . 8

ج . القوى العاملة :

وتعرف القوى العاملة بأنها " مجموع عدد السكان الذين من وظيفتهم إنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها كل الناس في المجتمع ، ونطلق على القوى العاملة اسم السكان النشطين اقتصاديا " ⁹ .
وتنقسم القوى العاملة إلى قسمين أساسيين هما المشتغلون والمتعطلون . فالفرد المشتغل هو :

" الشخص الذي كان يعمل يوم إجراء التعداد أو عمل عملا مأجورا ستة أيام متتالية على الأقل خلال الشهر الذي تم فيه إجراء التعداد " . أما الفرد المتعطل فهو " الشخص الذي يملك القدرة والاستعداد والرغبة في العمل لكنه لا يعمل ولا يجد عملا رغم البحث عنه " ¹⁰ .

د . السكان النشطون :

جاء تعريف للسكان النشطين أنه " يشمل الأفراد المشتغلون ، ومن هم بدون عمل و يبحثون عن شغل . ويفرق في هذا الصنف بين من اشتغل في السابق ومن لم يشتغل " ¹¹ .

كما أن السكان النشطين : " يضم كل الأشخاص المنتجين خلال الفترة المرجعية وهي فترة إجراء التعداد إلى فئة الأشخاص المشتغلين الذين هم في سن العمل وكذا الأفراد الذين لا يعملون وسبق لهم العمل و الباحثين عن العمل ، ولم يعملوا سابقا وهم في سن العمل " ¹² . يظهر التعريفان السابقان اختلافا في كون التعريف الأول لا ينص صراحة على ضرورة بلوغ سن العمل رغم أن العودة إلى تعريف المشتغل والمتعطل في الجزائر تفيد بضرورة بلوغ سن العمل ، في حين أن التعريف الثاني يقوم أساسا على سن العمل . وتبقى مسألة التعريف الحسابي للمجتمع النشط خاضعة للتفسيرات التي تعطى للتعريف المستخدم.

إن حدي السن بالنسبة للقوى العاملة ليس شرطا ضروريا لتحديد النشطين اقتصاديا من الناحية الواقعية ، فإنه شرط أساسي من الناحية الإدارية والقانونية.وعليه يمكن اعتبار التعليم ، التكوين ، المدة الشرعية للخدمة الوطنية وسن التقاعد عوامل مؤثرة في معدلات النشاط الاقتصادي وبالتالي طلب التوظيف ¹³ .

هـ. البطالة والعمالة :

البطال هو " الإنسان القادر على العمل الراغب فيه والباحث عنه ولكن لا يجده ، كما يعني أن يكون الفرد في سن العمل وقادر عليه جسميا وعقليا وراغبا فيه وبيحث عنه ولا يجده ، مما يترتب عليه تعطله رغم احتياجه إلى الأجر الذي يتقاضاه إذا توافرت له فرصة العمل " ¹⁴.

وتمثل البطالة الفرق بين عرض العمل والطلب عليه ، كما أن هناك قسم آخر من موارد العمل يضيع على شكل عمالة ناقصة ، وهي تنقسم إلى قسمين :

أ- العمالة الناقصة كميا: وهي عدم اشتغال العامل كل وقته بل بضع ساعات أسبوعية فقط على عكس العامل الاعتيادي .

ب- العمالة الناقصة نوعيا: وهي الاشتغال في أعمال دون الطاقة الإنتاجية وقدرة وإمكانات العامل وبأجرة أقل.

2- العوامل المؤثرة في سوق الشغل :

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على سوق الشغل نوجزها فيما يلي :

أ - العوامل الديمغرافية : فعدد السكان في سن النشاط في تزايد مستمر مما يتطلب إحداث فرص عمل إضافية في السنوات القادمة .

ب - المستجدات النوعية : تتصل بإعادة هيكلة الاقتصاديات وخصخصة المنشآت العمومية .

ومن الإشكاليات المطروحة في سوق العمل هي التحولات التكنولوجية المعاصرة وضرورة إعطاء المردودية اللازمة للجهاز الإنتاجي القائم وتنوع الصادرات وجذب اليد العاملة في القطاع الفلاحي ¹⁵.

ج- العوامل الهيكلية: وتتمثل في التوسع المستمر لنظم التربية والتعليم والتدريب وتنامي عدد المقبلين على سوق العمل من كل المستويات. وحسب علماء اجتماع التنمية وعلماء الاقتصاد فإن عمليتا التعليم والتكوين ضروريتان لأنهما ترتبطان بالتعليم، حيث أصبحتا مهمتان في إعداد العمالة التي تتماشى مع المقتضيات الاقتصادية والاجتماعية المتجددة. كما تمكنان العمالة من الاندماج بشكل جيد في العمل حتى يرتفع مستوى الأداء الإنتاجي في المجتمع ¹⁶.

د - إرتفاع معدلات البطالة: تبين من استقصاء دولي أجري حول آراء الشباب من قضايا أساسية فعالة في تغيراته الإدراكية أن مشكلة عدم العثور على فرصة عمل من الأمور الجوهرية التي يعانها شباب دول العالم الثالث من دون تقديم التأهيل المناسب ، وأن الوظائف المتوقعة في القطاع الحديث في الثمانينيات للذين أتموا دراستهم تمثل في الجزائر 28 % وفي سوريا 72 % وفي الفلبين 74.2 % وفي الشيلي 66 % . وما تبينه الإحصاءات هو أن الذين أتموا تعليمهم ومن المفروض حصولهم على فرص عمل وإدماجهم في الاقتصاد القومي لم يستوعب منهم القطاع الحديث سوى نسبة ضئيلة كانت في الجزائر 7.5 % وفي سوريا 12.2 % وفي الفلبين 8.6 % وفي الشيلي 25.7 % . وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول بأن النظم التعليمية في دول العالم الثالث ومنها الوطن العربي لم تكن قادرة على ربط برامج التعليم بخطط التنمية ، أي أنها لم تهيء الشباب لمهنة محددة لها علاقة بالواقع المحلي وسوق العمل¹⁷.

هـ- مساهمة المرأة في سوق العمل : تعود المشاركة المتزايدة للمرأة في العمالة النشيطة إلى عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية وتربوية وعوامل التشريعية .

4- أجهزة التشغيل في الجزائر:

أولت الجزائر عناية كبرى لسياسة التشغيل عن طريق وضع آليات وبرامج تشجع التشغيل في مختلف المجالات ولكل الفئات والمستويات الاجتماعية ، ومن هذه الآليات :
- الوكالة الوطنية التشغيل (ANEM) :

هي مؤسسة عمومية ذات طابع إداري أنشأت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 259/90 المؤرخ في 08/09/1990 المعدل والمكمل للأمر رقم 42/71 المؤرخ في 17/06/1971 المتضمن تنظيم الديوان الوطني لليد العاملة المنشأ بالمرسوم رقم 69/62 المؤرخ في 29/11/1962. للوكالة مهام أهمها تنظيم سوق الشغل وتسيير العرض والطلب ، وتلعب في هذا الشأن دورا أساسيا في التقريب بين طالبي العمل وهم البطالين من كل الفئات وأصحاب العمل وهم كل المؤسسات الاقتصادية التابعة للقطاعين العمومي والخاص باستثناء الإدارة العمومية . وجاء القانون رقم 90/04 المؤرخ في 25 ديسمبر 2004 المتعلق بتنصيب العمال ومراقبة الشغل ليعزز مكانة ودور الوكالة بصفتها الهيئة العمومية التي تضمن تنصيب العمال وتشغيلهم باستثناء الأماكن

التي لا توجد بها هياكل الوكالة أين رخص للبلديات استثناء أن تقوم بهذا الدور في حدود اختصاصاتها الإقليمية.¹⁸

- مديرية التشغيل بالولاية :

أسست بموجب المرسوم 50/02 المؤرخ في 22 جانفي 2002 الذي يحدد القواعد الخاصة بتنظيم مصالح التشغيل في الولاية وعملها ، تمثل وزارة التشغيل على المستوى المحلي وموجودة في كل ولاية من الولايات الثمانية والأربعون في الجزائر .

تشكل مديريات التشغيل من مصالح تتفرع عنها مكاتب ومهمتها الأساسية كما جاء في المادة 03 من مرسوم إنشائها في تطوير جميع التدابير الرامية إلى تشجيع التشغيل وترقيته وبعثه وتضعها حيز التنفيذ. وتقوم حاليا بتنفيذ ثلاثة برامج هامة من البرامج الوطنية لترقية الشغل لحساب وكالة التنمية الاجتماعية وهي:

أ- برنامج الشغل المأجور بمبادرة محلية في إطار مجهوداتها لمواجهة البطالة موجه لإدماج الشباب البطال بدون مؤهلات أو بمؤهلات بسيطة والذين تتراوح أعمارهم ما بين 19 إلى 30 سنة في ورشات تكلف بانجاز نشاطات تعود بالمنفعة العامة على المواطنين في كل بلدية ، مع الإشارة إلى برنامج آخر يشبهه إلى حد كبير هو برنامج النشاطات ذات المنفعة العامة في نظام الشبكة الاجتماعية الذي تشرف عليه مديرية النشاط الاجتماعي لحساب وكالة التنمية الاجتماعية التابعة لنفس الوزارة.

ب- برنامج أشغال المنفعة العامة ذات الاستعمال المكثف لليد العاملة : وهو برنامج تشارك فيه عدة قطاعات يرمي إلى خلق مناصب شغل مؤقتة بصورة كثيفة وفي وقت سريع ، موجه أيضا للشباب البطال بدون مؤهلات وبالأخص في المناطق النائية والمحرومة التي مستها البطالة أكثر.

ج- برنامج عقود ما قبل التشغيل : ويعتبر من أهم البرامج المطبقة حاليا وهو موجه لإدماج الشباب المتحصّلين على شهادات جامعية الذين يدخلون سوق الشغل لأول مرة . وضع البرنامج حيز التنفيذ بموجب المرسوم رقم 402/98 المؤرخ في 1998/12/02 ويهدف إلى زيادة العروض وتشجيع وتسهيل إدماج المتحصّلين على شهادات علمية في سوق الشغل من خلال الفرصة التي يمنحها إياهم عقد ما قبل التشغيل في اكتساب تجربة تساعدهم على الإدماج النهائي لدى أصحاب العمل وهم كل الهيئات والمؤسسات العمومية والخاصة.

وتتكفل الدولة بالأجور الأساسية للمدمجين مع تكاليف التغطية الاجتماعية طيلة مدة عقد ما قبل التشغيل الذي يمكن أن يصل إلى سنتين ، كما يستفيد المدمج من نظام العلاوات يدفع من طرف صاحب العمل.

ويبرز أكثر نجاح البرنامج من خلال النتائج التي حققها حيث استفاد خلال سنة 2004 لوحدها أكثر من 60 ألف شاب من عقود ما قبل التشغيل ، كما سطرت الأهداف بالنسبة للسنوات الخمس التالية أين كان من المتوقع إدماج أكثر من 300 ألف شاب جامعي. مناصب الشغل التي استفاد منها الشباب البطال في إطار هذه البرامج التي سمحت خلال الثلاثي الأول من سنة 2004 بإنشاء ما يقارب 293 ألف و368 منصب شغل عبر كامل التراب الوطني ، منها نحو 182 ألف في إطار التعويض عن النشاطات ذات المنفعة العمومية و100 ألف منصب آخر في إطار برنامج الأشغال العامة ذات الاستعمال المكثف لليد العاملة وأزيد من 40 ألف منصب في إطار عقود ما قبل التشغيل . وكالة التنمية الاجتماعية توصلت إلى توظيف 40 ألف و213 شاب جامعي وتقني سامي بطلال في مدة جد قصيرة لا تتجاوز الثلاث أشهر من بداية سنة 2004.

وتناول المدير العام المساعد لوكالة التنمية الاجتماعية مولود مزباني الموضوع ذاته حيث أكد أن برنامج عقود ما قبل التشغيل يعد محطة لبناء المستقبل المهني للشباب الحاملين للشهادات الجامعية للاندماج في سوق العمل من خلال هذا البرنامج الذي يمكنهم من اكتساب خبرة وتعزيز مؤهلاتهم للتوظيف.¹⁹

- وكالة التنمية الاجتماعية :

وهي هيئة ذات طابع خاص يتابع نشاطها وزير التشغيل والتضامن الوطني ، تأسست عام 1996 في ظل تطبيق مخطط إعادة الهيكلة بالجزائر، مهامها تمثلت في ترقية واختيار وتمويل كل العمليات الموجهة للفئات الاجتماعية المحتاجة وكذا تمويل مشاريع لها منفعة اقتصادية واجتماعية تستخدم في انجازها يد عاملة كثيفة أي تشغيل أكبر عدد ممكن من العمال في كل مشروع .

وقد تطورت مهام الوكالة بعد المنشور الوزاري رقم 29 جوان 1998 المتضمنة الإجراءات التطبيقية لبرنامج الإدماج المهني للشباب حاملي الشهادات الجامعية في إطار عقود ما قبل التشغيل ، وكذلك المرسوم التنفيذي رقم 402/98 المؤرخ في 1998/12/02 المتعلق بالإدماج المهني للشباب حاملي الشهادات الجامعية والتقنيين

السامين المتخرجين من المعاهد الوطنية . هذا المرسوم كمل بالمرسوم التنفيذي رقم 102/04 بتاريخ 2004/04/01 والذي خصص لبرنامج الإدماج المهني للشباب حاملي الشهادات الجامعية في إطار إدماج ذوي الشهادات ضمن عقود عمل مؤقتة .
لقد عمدت الدولة إلى خلق أجهزة وبرامج جديدة للتشغيل تمثلت في :

- الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ) :

وهي هيئة ذات طابع خاص يتابع نشاطها وزير التضامن والتشغيل الوطني تأسست عام 1997 . ومن مهامها تقديم الدعم والاستشارة لأصحاب المبادرات لإنشاء مؤسسات مصغرة في مختلف مراحل المشروع، وإعلام المستثمر الشاب أو صاحب العمل الحر بالقوانين المتعلقة بممارسة نشاطه. وكذا إبلاغ أصحاب المبادرات المقبولة بالدعم الممنوح لهم والامتيازات المقررة في جهاز المؤسسات المصغرة. بالإضافة إلى ضمان متابعة ومرافقة المؤسسات المصغرة والمشاريع الحرة سواء خلال فترة الانجاز أو بعد الاستغلال وحتى في حالة توسيع النشاط .

إن جهاز الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ) موجه للشباب البطال من أصحاب المبادرات للاستثمار في مؤسسة مصغرة أو أي عمل حر ومن يمتلكون مؤهلات مهنية أو مهارات فنية في النشاط الذي يقترحونه ، ويختص بهؤلاء الطلبة الخريجين الجامعيين ممن تتوافق شهادتهم مع الأنشطة التي تدعمها الوكالة ، بالإضافة إلى كل شاب حامل لشهادة مهنية من مراكز التكوين المهني أو المدارس الخاصة أو المعاهد الوطنية. كما تتوجه الوكالة لمن لهم الاستعداد للمشاركة بمساهمة شخصية في تمويل المشروع.

وباستثناء النشاطات التجارية البحتة فإن الجهاز يمول كل نشاطات الإنتاج والخدمات ، مع مراعاة عامل المردودية في المشروع بحجم استثماري قد يصل حتى 10 مليون دينار جزائري ، أما صيغة التمويل فإنها موزعة على قرض بدون فوائد من الوكالة وقرض بفوائد مخفضة من البنك ومساهمة شخصية من صاحب المبادرة تحدد وفقا للمبلغ الإجمالي للمشروع.

وتكشف إحصائيات ANSEJ أن هذه الآلية منذ نشأتها تمكنت من استحداث 437 ألف و 400 منصب شغل . وتسعى الوكالة إلى بلوغ رقم النصف مليون منصب شغل مع

نهاية 2011 خاصة في ظل التسهيلات الجديدة التي أقرتها الحكومة التي تجعل مدة تسديد الدين تمتد إلى قرابة 13 سنة.²⁰

- الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر (ANGEM) :

أنشأت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 14/04 المؤرخ في 22 جانفي 2004 كهيئة ذات طابع خاص يتابع نشاطها وزير التشغيل والتضامن الوطني وهي موجهة للأشخاص البطالين الذين تتجاوز أعمارهم 18 سنة .

ويتضمن دور الوكالة :

أ- تقديم الدعم والاستشارة والمرافقة للمبادرين وضمان المتابعة لإنجاح المشاريع المجسدة . والقرض المصغر تتراوح قيمته من 30 ألف دينار جزائري وهو قرض موجه لاقتناء المواد الأولية الخاصة بالنشاطات البسيطة والمتزلية ، وهناك القرض الذي يصل إلى 400 ألف دينار جزائري موجه لاقتناء العتاد اللازم لمزاولة النشاط المزمع إنشاؤه ولا يقدم على شكل قرض مالي بل على شكل آلات وأجهزة . وكلا النمطين من القرض يستفيد منه الشباب البطالون المتخرجون من مراكز التكوين المهني أو المدارس التكوينية العامة أو الخاصة ، ولم يستثن الخريجون من الجامعة الحاملون لشهادات متخصصة في الإعلام الآلي والميكانيك والإلكترونيك والبيطرة ... الخ وقد ارتفعت قيمة القرض لتبلغ 1 مليون دينار جزائري . أما صيغة التمويل فإنها موزعة إلى قرض من الوكالة بدون فوائد وقرض بنكي بفوائد مخفضة ومساهمة شخصية من المبادر .

- الصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC) :

أنشئ الصندوق لصالح البطالين الذين تتجاوز أعمارهم 35 سنة على أن لا يفوقوا 50 سنة من خلال قرارات وتوجهات المجلس الوزاري المشترك بتاريخ 2003/07/14 والمخصص لتقييم وتقدير أنشطة هذا الصندوق .

ويتراوح مبلغ القرض الذي يمدده الصندوق للشباب من 5 ملايين إلى 10 ملايين دينار جزائري حيث تقدر مساهمة الشخص بـ 5 % ومساهمة الدولة 25 % أما نسبة الفائدة على القرض فهي ضئيلة جدا .

لقد جاء قانون المالية لسنة 2004 لمنح مزايا جبائية وشبه جبائية لأولئك الذين يقومون بخلق المؤسسات وذلك بموجب المرسوم رقم 02/04 المؤرخ في 03 جانفي 2004 ، ومنذ نشر هذه الإجراءات القانونية التنظيمية قامت المديرية العامة للصندوق بجملة

من الأنشطة لأجل التحضير لإعطاء إشارة الانطلاق للإجراءات بدءا من نهاية مارس 2004 ، وعلى هذا الأساس تم إعداد وسائل التدخل مثل المعاهدات والاتفاقيات مع شركاء الصندوق المباشرين خاصة هيئة الوكالة الوطنية للتشغيل ANEM وكذلك البنوك باعتبارها أطرافا فاعلة لهذه الإجراءات . فهذا الجهاز له من المزايا التمويلية بحيث يسمح بالاستفادة من قرض يتراوح بين 2 إلى 5 مليون دينار جزائري ، علما أن جزءا من هذا القرض بدون فوائد والمبلغ مرتبط بغلاف المشروع الاستثماري الذي لا يتجاوز 5 مليون دينار جزائري .

وقد وسعت الدولة الإجراءات التسهيلية التي تضمنها المرسوم الرئاسي رقم 101/11 المؤرخ في 06 مارس 2011 مجال النشاطات التي بإمكان الشباب البطال- وخاصة خريجي الجامعات وفق عقود الإدماج المهني وما قبل التشغيل- الاستفادة من قروض ANSEJ و CNAC ، إذ خفض المرسوم نسبة المساهمة المالية الشخصية للشباب إلى 1 % من المبلغ الإجمالي للاستثمار عندما تقل قيمة الاستثمار عن 5 ملايين دينار أو تساويها وإلى 2 % من المبلغ الإجمالي عندما يفوق الاستثمار 5 ملايين دينار ويقل عن 10 ملايين دينار أو يساويها.²¹

خاتمة

في الأخير يمكن القول أن المجهودات التي بذلتها الجزائر والتي تركزت في معظمها على كيفية توفير مناصب شغل لأكبر شريحة ممكنة من طالبي الشغل وخاصة فئة الشباب ومنهم الجامعيون قد أدت إلى انخفاض محسوس في معدل البطالة.

- 1 خروف حميد وآخرون ، الإشكالات النظرية والواقع . مجتمع المدينة نموذجاً ، دار البعث ، قسنطينة ، 1999 ، ص 161.
- 2 خروف حميد وآخرون ، مرجع سابق ، ص 168.
- 3 خروف حميد وآخرون ، المرجع نفسه ، ص 165.
- 4 خروف حميد وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 168-169.
- 5 نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع ، المرجع في مصطلحات العلوم الإجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دون سنة نشر ، ص 338.
- 6 خروف حميد وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 173-174.
- 7 خروف حميد وآخرون ، المرجع نفسه ، ص 174.
- 8 خروف حميد وآخرون ، مرجع سابق ، ص 175 .
- 9 وكالة الأنباء الجزائرية ، " في نتائج آخر إحصاء للسكان " ، يومية النهار ، ع 471 ، 2009/05/13 ، ص 24.
- 10 خروف حميد وآخرون ، المرجع نفسه ، ص 177.
- 11 لزعر علي ، " الشباب والطاقات المعطلة " ، دراسات سوسولوجية . ظاهرة الشباب في الوطن العربي ، ع 2 ، ج 1 ، جامعة عنابة (معهد علم الاجتماع) ، أبريل 1991 ، ص 106 .
- 12 خروف حميد وآخرون ، المرجع نفسه ، ص 182.
- 13 لزعر علي ، مرجع سابق ، ص 108 .
- 14 الغريب عبد العزيز علي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، " التدابير المجتمعية لمواجهة بعض المشكلات الاجتماعية في المجتمع السعودي . دراسة تحليلية " ، ع 116 ، السنة 31 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، يناير ، فبراير ، مارس 2005 ، ص 110 .
- 15 ناجي سفير ، محاولات في التحليل الاجتماعي ، التشغيل ، الصناعة والتنمية ، ترجمة : الأزهر بوغنبوز ، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون سنة نشر ، ص 13.
- 16 بن الشيخ نور الدين ، " علاقة التعليم بالتنمية في المجتمع " ، الباحث الاجتماعي ، ع 2 ، السنة 2 ، جامعة منتوري قسنطينة ، سبتمبر 1999 ، ص 156.
- 17 بوغناقة علي ، الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 ، ص 114.
- 18 قرطب محمد ، " الندوة الإقليمية عن دور الإرشاد والتوجيه المهني في تشغيل الشباب . عرض حول التوجيه والإرشاد في برامج وأجهزة التشغيل في الجزائر " ، المركز العربي لتنمية الموارد البشرية ، وزارة التشغيل والتضامن الوطني ، الجزائر ، طرابلس ، 11 - 13 جويلية 2005 ، ص 2.

- ¹⁹ نشرة إعلامية لوكالة التنمية الاجتماعية ، " رسالة وكالة التنمية الاجتماعية الفرع الجهوي شمال وسط لوكالة التنمية الاجتماعية بالجزائر العاصمة " ، ع 2 ، الجزائر ، جويلية / سبتمبر 2004 ، ص 08.
- ²⁰ بلعمري سميرة ، " لونساج تفرج عن 21 ألف مشروع الأسبوع القادم " ، جريدة الشروق اليومي ، ع 3429 ، 2011/11/29 ، ص 3 .
- ²¹ جبارة زين العابدين ، " كل التفاصيل عن مشاريع وقروض لونساج " ، جريدة الشروق اليومي ، ع 3228 ، 2011/03/10 ، ص 3.

قائمة المراجع :

- 1 الغريب عبد العزيز بن علي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، " التدابير المجتمعية لمواجهة بعض المشكلات الاجتماعية في المجتمع السعودي . دراسة تحليلية " ، ع 116 ، السنة 31 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، يناير ، فبراير ، مارس 2005.
- 2 بلعمري سميرة ، " لونساج تفرج عن 21 ألف مشروع الأسبوع القادم " ، جريدة الشروق اليومي ، ع 3429 ، 2011/11/29 .
- 3 بن الشيخ نور الدين ، " علاقة التعليم بالتنمية في المجتمع " ، الباحث الاجتماعي ، ع 2 ، السنة 2 ، جامعة منتوري قسنطينة ، سبتمبر 1999.
- 4 بوعنافة علي ، الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 .
- 5 جبارة زين العابدين ، " كل التفاصيل عن مشاريع وقروض لونساج " ، جريدة الشروق اليومي ، ع 3228 ، 2011/03/10.
- 6 خروف حميد وآخرون ، الإشكالات النظرية والواقع . مجتمع المدينة نموذجا ، دار البعث ، قسنطينة ، 1999 .
- 7 قرقب محمد ، " الندوة الإقليمية عن دور الإرشاد والتوجيه المهني في تشغيل الشباب . عرض حول التوجيه و الإرشاد في برامج وأجهزة التشغيل في الجزائر " ، المركز العربي لتنمية الموارد البشرية ، وزارة التشغيل و التضامن الوطني ، الجزائر ، طرابلس ، 11 - 13 جويلية 2005.
- 8 لزعر علي ، " الشباب والطاقات المعطلة " ، دراسات سوسولوجية . ظاهرة الشباب في الوطن العربي ، ع 2 ، ج 1 ، جامعة عنابة (معهد علم الاجتماع) ، أبريل 1991 .
- 9 ناجي سفير ، محاولات في التحليل الاجتماعي ، التشغيل ، الصناعة والتنمية ، ترجمة : الأزهر بوغنبوز ، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون سنة نشر.

10 نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع ، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دون سنة نشر.

11 وكالة الأنباء الجزائرية ، " في نتائج آخر إحصاء للسكان " ، يومية النهار، ع 471 ، 2009/05/13.

12 وكالة التنمية الاجتماعية ، " رسالة وكالة التنمية الاجتماعية الفرع الجهوي شمال وسط لوكالة التنمية الاجتماعية بالجزائر العاصمة " ، ع 2 ، الجزائر ، جويلية / سبتمبر 2004.

مساهمة الاتصال في نشر الثقافة التنظيمية داخل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية دراسة حالة فرع التكرير بمؤسسة سونطراك

جامعة البويرة

أ. فضيلة سبع

ملخص:

في نشر ثقافة المؤسسة بين إطارات فرع التكرير بمدينة سونطراك-المصب لسونطراك. تم هيكله هذه الدراسة الميدانية، في خمسة أجزاء رئيسية، تناولت الأجزاء الأربعة الأولى العناصر (العامة، المهنية، الإدارية وفي الأخير التحفيزية). ثم خصص الجزء الرابع من هذه الدراسة لقياس مساهمة الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك بين إطارات فرع التكرير بمدينة سونطراك-المصب، مؤسسة سونطراك. وهذا من خلال منهج دراسة حالة، وأداته المنهجية الأساسية، في هذه الدراسة، المتمثلة في أداة الاستبانة .
كلمات المفاتيح: ثقافة المؤسسة، الاتصال الداخلي، مؤسسة سونطراك.

تهدف في هذه الدراسة الموسومة بـ"مساهمة الاتصال في نشر الثقافة التنظيمية داخل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية (دراسة حالة مؤسسة سونطراك)، يبحث واستكشف ظاهرة ثقافة المؤسسة في أكبر مؤسسة اقتصادية جزائرية (سونطراك)، من خلال فحص وقياس مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة المؤسسة المتمثلة في كل من (العناصر العامة، المهنية، الإدارية والتحفيزية)، التي تم بناؤها على أساس مجموعة من الشبكات التحليلية المعتمدة في تفكيك (decryper) مفهوم ثقافة المؤسسة، والمتمثلة في:

- شبكة Oliver MEIER: التي فككت ثقافة المؤسسة إلى 11 بعدا.

- شبكة OCAI لقياس ثقافة المؤسسة: التي تحدد 14 مؤشرا لقياس ثقافة المؤسسة.

- مجموعة تحليل النسيج الثقافي و Scholass Johnson التي حصرت ثقافة المؤسسة في الإدارة الرمزية والممارسات الإدارية.

وانطلاقا من العناصر الاتصالية الإستراتيجية المتمثلة في كل من الرسالة والوسيلة الاتصالية، والمعتمدة كقواعد للتحليل في قياس مساهمة الاتصال الداخلي

Résumé : Notre objectif de cette étude intitulée « La contribution de la communication interne dans la diffusion de la culture organisationnelle au sein des entreprises économiques Algérienne » (SONATRACH cas d'étude), est d'étudier et d'examiner le phénomène de la culture organisationnelle au sein des plus grandes entreprises économique Algérienne (SONATRACH), et cela d'après un audit visant les action de la communication interne dans la division de raffinage du SONATRACH, dans la transmission des éléments de la culture d'entreprise (généraux, professionnels, administratifs et enfin motivationnels) qui ont été dérivés d'un ensemble des grilles d'analyse pour décrypter le concept de la culture d'entreprise, comme :

- La grille d'Olivier MEIER: qui décompose la culture d'entreprise en 11 aspects.
- La grille d'OCAI : elle a précisée 14 indicateurs pour mesurer la culture de l'entreprise.
- Le tissu culturel de Scholas et Johnson : Qui résume la culture de l'entreprise dans la gestion symbolique et pratique de gestion.

basant sur de deux éléments stratégiques de la communication (le message et le moyen), utilisés comme des règles scientifique dans cette étude, on construit cette dernière en cinq parties principales ; les quatre premières traitent La contribution de la communication interne dans la transmission des éléments de la culture d'entreprise de SONATRACH (généraux, professionnels, administratifs et motivationnels), puis la cinquième partie réserver pour mesurer la contribution de la communication interne dans la transmission de la culture d'entreprise et d'une culture forte de l'entreprise de SONATRACH au cadres de la division de raffinage, En utilisant le questionnaire qui rentre dans la méthode d'étude de cas .

les mots clés : la culture d'entreprise, la communication interne, SONATRACH

ABSTRACT :

The contribution of internal communication in the dissemination of organizational culture in Algerian economic enterprise.

The objective of this study entitled "The contribution of internal communication in the dissemination of organizational culture in the Algerian economic enterprise" (Sonatrach case study) examined the phenomenon of organizational culture within the largest Algerian economic enterprises (Sonatrach), and this after an audit for the actions of internal communication in the division of Sonatrach refinery in the transmission of corporate culture elements (general, professional, administrative and finally motivational) that were derived from a set of analytical frameworks to decrypt the concept of corporate culture, such as:

-The grid Oliver MEIER: that breaks the corporate culture in 11 aspects.

- The grid OCAI that include 14 indicators to measure the culture of the company.

-The cultural fabric of Scholas and Johnson: that sums up the company culture in the symbolic management and management practice.

Based on two strategic elements of communication which are (the message and the medium) used as scientific rules in this study, we constructed it in five main areas: the first one deal: The contribution of internal communication in the transmission of elements of Sonatrach corporate culture (general, professionals, administrative and motivational too) Whereas, the fifth part is reserved to measure the contribution of internal communication in corporate culture transmission and a strong corporate culture of Sonatrach for executives of the refining division, by referring to the questionnaire returned in the method of the case study.

Keywords: the corporate culture, internal communication, Sonatrach.

مقدمة:

تعتبر المؤسسات باختلاف أنواعها، بما فيها المؤسسات الاقتصادية " تشكيلات اجتماعية"¹ (Un construit social)، لها نفس خصائص المجتمعات الأخرى، وبما ان لكل مجتمع خصائصه السوسيوثقافية، أو بمعنى أدق ثقافته الخاصة به، التي تميزه عن المجتمعات البشرية الأخرى، فإن للمؤسسات (أيضا) ثقافتها الخاصة بها، إذ " لا توجد مؤسسة بدون ثقافة"² (Il n'ya pas d'entreprise sans culture). ويبرز، الاتصال داخل هذه المؤسسات، مرافقا لهذه الثقافة، باعتباره النشاط الوحيد الذي من خلاله، فقط "تظهر، تنتقل وتتطور هذه الثقافة"³. (C'est à travers la communication que la culture se manifeste, se transmet et évolue). لهذا فانه إذا كانت لكل مؤسسة ثقافتها الخاصة بها، كما اشرنا اليه سابقا، فكل ثقافة مؤسسة (كرسالة اتصالية) تستلزم بالضرورة وسائل اتصالية داخل وعاء تنظيمي لنقلها إلى إطارات المؤسسة. هذه الفئة المهنية التي تمثل حلقة وصل بين هذه المؤسسة وباقي الفئات الوظيفية الأخرى، باعتبارها الناقل الأول لثقافة مؤسسة معينة إلى جميع فئاتها التنظيمية.

ولأن مؤسسة سونطراك SONATRACH، تعد من أهم المؤسسات الاقتصادية الجزائرية وأكبرها محليا وإفريقيا وحتى دوليا، جعلنا من هذه المؤسسة حالة للدراسة. وبالتحديد فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب لمؤسسة سونطراك، حيث كانت دراستنا السابقة، في إطار نيل شهادة الماجستير*، التي أجريت عن مؤسسة سونطراك الدافع الأول، لدراسة هذه الظاهر داخل هذه المؤسسة، وقياس مدى مساهمة الاتصال داخل احدى مديرياتها في نشر هذه الثقافة بين اطاراتها. هذه الفئة السوسيو مهنية التي تعتبر الحلقة الرابطة بين إدارة المؤسسة، وباقي الفئات السوسيو مهنة الأخرى، باعتبارها ناقلا مهما للاتصال، وأول وسيط لجميع العمليات

¹ François, ELDIN: *Le management de la communication : de la communication personnelle a la communication d'entreprise (dynamique d'entreprise)*, L'harmattan, Paris. 1998. P: 18

² Pierre, de SAINT-GEORGES: *Culture d'entreprise, communication interne et stratégies de changement*: <https://communicationorganisation.revues.org/1657>. P:37

³ Loc.cit

* أنظر:

فضيلة، سبع: الاتصال الداخلي في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية: "سونطراك-المجلة" نموذجاً (مذكرة نيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال)، جامعة الجزائر3، الجزائر. 2006-2007

الاتصالية التي تحدث داخل المؤسسة ، الأمر الذي يؤهلها لتصبح هذه الفئة عنصرا استراتيجيا هاما، باعتباره الجمهور المستهدف في العملية الاتصالية. إذ " جميع السياسات الاتصالية الداخلية التي لا تدمج إدارتها في مخططات عملها، سيكون مصيرها الفشل"⁴ لا محالة. ولما كان صعبا أن نجعل من مؤسسة البحث (سونطراك) كلها ميدانا للبحث، وقع اختيارنا على فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب الواقع مقرها بواد رصين، براق، الجزائر العاصمة.

ويستقي هذا البحث أهميته عموما، من الأهمية نفسها التي تمنحها ثقافة المؤسسة والاتصال للمؤسسة محل الدراسة، فثقافة المؤسسة هي مفتاح النجاح المرهون باتصال فعال داخل المؤسسة. هذا الأخير الذي يعتبر ورقة رابحة⁵ في يد من يحسن توظيفه واستغلاله لتحقيق كل ما يطمح إليه من نجاح.

مفهوم ثقافة المؤسسة: هي تلك "العناصر الثقافية الخاصة بالمؤسسة"⁶، التي تشير الى مجموع القواعد والمعايير والمواقف والقيم والاعتقادات الرسمية وغير الرسمية المشتركة بين مختلف الفاعلين داخل المؤسسة.⁷ ولسعة وشساعة* هذه التركيبة لمفهوم ثقافة المؤسسة ، اعتمدنا على مجموعة من شبكات التحليل لتشفير هذه العناصر، أو بمعنى أدق لتفكيك أبعاد ثقافة المؤسسة، ومن بين هذه الشبكات المعتمدة نذكر:

- شبكة Oliver MEIER⁸: التي فككت ثقافة المؤسسة إلى 11 بعدا.
- شبكة OCAI لقياس ثقافة المؤسسة⁹: التي تحدد 14 مؤشرا لقياس ثقافة المؤسسة.
- مجموعة تحليل النسيج الثقافي لـ Johnson و Scholas¹⁰ التي تحصر ثقافة المؤسسة في الإدارة الرمزية والممارسات الإدارية.

⁴ Claude , DUTERMÉ: La communication interne en entreprise : L'approche de Palo Alto et l'analyse des organisations. 1ère édition, Edition De Boeck Université, Belgique.2002, P :64

⁵ François, ELDIN: Op.cit, P : 274

⁶ محمد، بشير: الثقافة والتسيير في الجزائر: بحث في تفاعل الثقافة التقليدية والثقافة الصناعية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.2007. ص: 06

⁷ François, ELDIN : Op.cit :P/145

⁸ Olivier, MEIER: Op, cit. P: 15

⁹ أسامة، الفراج: م، س، ذ. ص، ص.164، 163.

¹⁰ Sabrina, Semache: Le role de la culture organisationnelle dans la gestion de la diversité, (management et avenir), 2009/8, N° 28, P : 349

لتتشكل لنا ثقافة المؤسسة (إجرائيا) من خلال العناصر الموضحة في الجدول رقم (01) كما يلي:

جدول رقم (01): يمثل شبكة تحليل عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك المعتمدة في الدراسة

العناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك	العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك	العناصر الإدارية لثقافة مؤسسة سونطراك	العناصر التحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك
<p><u>1-الاحداث التاريخية:</u> -تأسيس سونطراك -تأميم المحروقات</p> <p><u>2-الشخصيات البارزة:</u> -الرئيس المدير العام (PDG) الأول لسونطراك -الرئيس المدير العام (PDG) الحالي لسونطراك</p>	<p><u>1- ثقافة العامل بالعمل:</u> -احترام وقت العمل -الانضباط في العمل -الالتزام بالعمل</p> <p><u>2-ثقافة أداء العمل:</u> -التنسيق -التعاون -روح الفريق</p> <p><u>3-ثقافة العمال تجاه العمال:</u> -الثقة -الاحترام -التفاهم</p>	<p><u>1-ثقافة الادارة بالعمال:</u> -المساواة -العدالة</p> <p><u>2-ثقافة العمال بالادارة:</u> -الثقة -المشاركة في اتخاذ القرارات</p>	<p><u>1-التحفيز المادي:</u> -الابداع والابتكار -تقدير الجهود -التكوين -الاجر</p> <p><u>2-التحفيز السوسيوومني:</u> - لفائدة العامل -لفائدة العامل وعائلته</p>

المصدر: إعداد الباحثة

مفهوم الاتصال الداخلي: هو "مجموع الوسائل التي تنقل بها المعلومات داخل المؤسسة"¹¹ الى جمهور مستهدف¹² (La cible). وبما انه من الصعب الفصل بين الوسيلة والرسالة في العمليات الاتصالية، ف "الوسيلة هي الرسالة"¹³ (Le médium est le message)، لهذا فان الاتصال الداخلي، في هذه الدراسة، (اجرائيا)، يشير إلى مختلف الوسائل الاتصالية المستخدمة داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، التي تعمل على نقل معلومات تحمل عناصر: عامة، مهنية، إدارية وتحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك الى إطارات هذه المؤسسة*.

إشكالية البحث: بناء على جميع هذه القواعد النظرية، المشار إليها، أعلاه، تكتمل كل وحدات إشكالية الدراسة، التي نطرحها كما يلي:

كيف يساهم الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل ثقافة هذه المؤسسة إلى إطاراتها؟

وقد تم تفكيك هذه الإشكالية إلى مجموعة من المحاور الاستفهامية، التي تعكس عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك، الموضحة في الجدول رقم (01)، كما يلي:

- 1- كيف يساهم الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل الثقافة العامة لهذه المؤسسة إلى إطاراتها؟
- 2- كيف يساهم الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل الثقافة المهنية لهذه المؤسسة إلى إطاراتها؟
- 3- كيف يساهم الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل الثقافة الإدارية لهذه المؤسسة إلى إطاراتها؟
- 4- كيف يساهم الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل الثقافة التحفيزية لهذه المؤسسة إلى إطاراتها؟

¹¹ Chantal, BURSENAULT, et Martine, PRETET: *Organisation et gestion de l'entreprise: Structures, décisions, stratégies, cours*, tome 2, Vuibert, Paris, 1999. P :61

¹²IRCOM (Institut Des Relation Publique Et De Communication): *Le guide pratique de la communication*, 4^{ème} édition, Eyrolles, Paris.1991.P:151

¹³ محمد جاسم فلي الموساوي: نظريات الاتصال والاعلام الجماهيري:

http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20060523-456.htm, 09/06/2016), 14h07.

* أنظر:

فضيلة، سبع: الاتصال الداخلي في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية: "سونطراك-المجلة" نموذجًا (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال)، جامعة الجزائر3، الجزائر.2006-2007

5- هل نجح الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك في نشر ثقافة قوية لمؤسسة سونطراك ؟

منهجية البحث: إن الطبيعة الميدانية لموضوع الدراسة وتعلقها بمؤسسة بعينها، ألا وهي مؤسسة سونطراك، استوجب استخدام منهج دراسة الحالة الذي وظف من خلاله، أداة الاستبانة، كأداة بحثية أساسية لتقصي واقع مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، في نقل ثقافة هذه المؤسسة إلى إطاراتها. والتي تم توزيعها على (111) اطارا، من أصل 150 اطارا^{14*}، أي بنسبة 74 % من اجمالي اطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، الذين استجابوا لاستبانة الموزعة عليهم باللغة الفرنسية بين الفترة الزمنية الممتدة من 04 جوان الى 30 سبتمبر 2015 بالمقر الاجتماعي لهذه المؤسسة^{15*}.

القواعد التحليلية المعتمدة في البحث: تم تصميم الأجزاء التطبيقية الأربعة لقياس مساهمة الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك (العامة، المهنية، الادارية والتحفيزية) على أساس ثلاثة محاور قاعدية للتحليل، وزعت بين عنصري الرسالة والوسيلة الاتصالية، كما يلي:

1- طبيعة المعلومات التي تنقل عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك: يشكل المحتوى الاتصالي داخل المؤسسة عنصرا اتصاليا مهما، يجب استغلاله بطريقة مناسبة لتحقيق الأهداف الاتصالية المرجوة، لهذا يجب السهر على أن تتصف هذه المعلومات، بصفة منتظمة، بمجموعة من الخصائص الإستراتيجية^{3*} التي تضمن لهذه المعلومات النجاح والفعالية في تحقيق أهدافها، ولقد تم التركيز في هذه الدراسة على أربعة خصائص، باعتبارها الخصائص المشتركة بين جميع انواع المعلومات المستهدفة، في رأينا، والتي تتمثل في: سهولة الولوج، الوضوح، البساطة، اضافة الى ان تكون المعلومات التي تنقل ثقافة مؤسسة سونطراك، كاملة اي غير ناقصة.

^{1*} حسب إحصائيات 30/06/2015

^{2*} يواد زرين، براق، مفتاح، الجزائر العاصمة.

^{3*} انظر المراجع التالية:

- François, ELDIN: Op, cit, P,P: 149-150

- Marie-Hélène, WESTAPHALEN: Le communicator : Le guide de la communication, Les édition d'Organisation, Paris. 1995. P: 76

- جميل احمد، خضر: العلاقات العامة، الطبعة الأولى، دار الشروق للطباعة، الأردن. 1998. ص.ص: 142، 143.

2- نوع الوسائل التي تنقل عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك: أصبحت الوسائل الاتصالية إحدى الرهانات الاتصالية الأساسية داخل المؤسسة، ف " الوسيلة (حسب ماكلوهان) هي الرسالة"¹⁶. واختيار الوسيلة المناسبة هو اختيار استراتيجي، يتحدد على أساسه نجاح الاتصال داخل المؤسسة¹⁷، لهذا أصبحت فعالية العمليات الاتصالية داخل المؤسسة مرتبط بدرجة كبيرة بالاستعمال الصحيح لهذه الوسائل. وعلى هذا الأساس، ركزنا في هذه الدراسة وفي هذا المحور، لمعرفة نوع الوسائل الاتصالية المستخدمة داخل مؤسسة سونطراك في نشر ثقافة هذه المؤسسة بين أحد أهم فروعها العملية (فرع التكرير). معتمدين في ذلك على الوسائل الاتصالية التي تتوفر عليها هذه المؤسسة.

3- طبيعة الوسائل التي تنقل ثقافة مؤسسة سونطراك: ان لكل وسيلة اتصالية خصائص تتباين بين التنوع، التقنية والفعالية (Diversité, Technicité, Efficacité)، واستغلالها الجيد هو الذي سيضمن الفعالية¹⁸ لتلك العمليات الاتصالية التي تحدث داخل المؤسسات. لهذا حاولنا في هذا المحور، الكشف عن طبيعة الوسائل الاتصالية التي تعمل على نشر ثقافة مؤسسة سونطراك بين هؤلاء الاطارات بناء على ثلاثة مؤشرات للقياس هي: السرعة، المرونة، والفعالية.

واقع مساهمة الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك: بناء على تساؤلات الدراسة، تتمثل مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك في نشر ثقافة هذه المؤسسة بين اطاراتها كما يلي:

أولاً: مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر عامة لثقافة مؤسسة سونطراك : هدف هذا المحور هو قياس مساهمة الاتصال الداخلي في نشر الثقافة العامة لمؤسسة سونطراك بين اطارات فرع التكرير، وذلك من خلال فحص العناصر العامة التي تم توزيعها إلى ثلاثة أجزاء كما يلي:

¹⁶ Alain , SAUMIER: *Audit de la communication organisationnelle en entreprise*,

[<http://pages.infini.net/saumiera/documentation/audit.html>] 3.04 Ko. P: 10

¹⁷ Sophie Peters, VAN DENIS: Op, cit. P : 11

¹⁸ Martine, TERMOIS: *La communication de l'entreprise : 107 fiches outils*, Les édition d'organisation, Paris.1995. P: 12

ملاحظة: متوسط الأسئلة التي بقيت "دون إجابة" في هذا المحور تراوحت بين: % (6.61)، % (1.32) (7.89). أي بمعدل: % (5.27)

أ- العناصر العامة التي تصف الأحداث التاريخية لمؤسسة سونطراك: اعتمدنا على مؤشرين اثنين للقياس هما: تاريخ تأسيس مؤسسة سونطراك (1963/12/31)، وتاريخ تأميم المحروقات في الجزائر (1974/02/24).

ب- العناصر العامة التي تصف الشخصيات البارزة بمؤسسة سونطراك: اعتمدنا على مؤشرين اثنين للقياس هما: الرئيس المدير العام (PDG) الأول للمؤسسة (بلعيد عبد السلام)، والرئيس المدير العام الحالي* لمجمع سونطراك (أمين معزوزي).

وقد خضعت هذه العناصر العامة الى القواعد التحليلية المعتمدة في الدراسة كما يلي:
1- طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل عناصر عامة لثقافة مؤسسة سونطراك: من خلال المبادئ الاستراتيجية لنجاح الرسالة الاتصالية، قمنا بفحص تلك الرسائل الاتصالية التي تنشر العناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك بين إطاراتها تم الحصول على النتائج التالية:

جدول رقم (02): طبيعة المعلومات التي تنقل عناصر عامة لثقافة مؤسسة

سونطراك

النسبة	التكرار	السؤال	رقم السؤال
20,66	25	أ. سهلة الولوج	01
34,71	42	ب. واضحة	
34,71	42	ج. بسيطة	
3,31	4	د. كاملة	
6,61	8	هـ. دون اجابة	
100,00	121	المجموع	

* خلال فترة الدراسة: (04 جوان - 30 سبتمبر 2015)

تتمثل مساهمة الاتصال الداخلي بفرع التكرير بمديرية سونطراك المصّب لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر العامة (كالأحداث التاريخية والشخصيات البارزة للمؤسسة وكذا هوية مؤسسة سونطراك)، بناء على الجدول أعلاه، وحسب إطارات هذه المؤسسة، في النقاط التالية:

- تتميز المعلومات العامة المتداولة بين إطارات مؤسسة سونطراك، بداية، بالبساطة % (34.71) والوضوح % (34.71)، الأمر الذي يدل على استخدام لغة واضحة وبسيطة بنسبة % (70)، تقريبا، من إجمالي الإجابات التي قدرت بـ (121) إجابة، في إعداد الرسائل الاتصالية الخاصة بالعناصر العامة لثقافة هذه المؤسسة.

- كما ان هذا النوع من الرسائل الاتصالية الخاصة بالثقافة العامة لمؤسسة سونطراك، نجدها تتسم بصفة السهولة في الولوج إليها، من طرف اطارات فرع التكرير، وذلك بنسبة، % (21)، تقريبا داخل مؤسسة سونطراك.

2- نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر عامة لثقافة مؤسسة سونطراك: تم بناء هذا المؤشر، انطلاقا من مجموع الوسائل الاتصالية، التي تتوفر عليها مؤسسة سونطراك، والملائمة لنشر هذا النوع من المعلومات، وذلك كما يلي في الجدول التالي:
جدول رقم (03): نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر عامة لثقافة

مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
02	نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك	أ.سونطراك-المجلة	31
		ب.الموقع الالكتروني للمؤسسة	49
		ج.الانترانيت	65
		د.المسؤول	28
		هـ.الزملاء	51
		و.دون اجابة	3
	المجموع	227	100,00

تقدم هذه المعلومات إلى معظم إطارات المؤسسة % (96)، تقريبا، غير كاملة، حيث صرح ما نسبته % (3.31) فقط من هؤلاء العمال بمؤسسة سونطراك، بأن هذا النوع من المعلومات (العامة) تصل إليهم كاملة. وهذا لغياب عملية التحديث المستمرة (La mise à jour للمعلومات الالكترونية)*1.

- تصدرت الوسائل الالكترونية، أي الانترنت % (28.63)، والانترنت % (21.59) المتمثلة في الموقع الالكتروني للمؤسسة*2 إضافة إلى الوسيلة الاتصالية الشفهية غير الرسمية، المتمثلة في زملاء العمل % (22.47) قائمة مصادر المعلومات العامة داخل هذه المؤسسة. - تصدر عنصر الزملاء المراتب الأولى في قائمة المصادر الخاصة بالمعلومات العامة، وبالتحديد المرتبة الثانية، الأمر الذي يفسر انتشار المعلومات الخاطئة أو غير الكاملة (إشاعات) حول المعلومات العامة التي لها علاقة بتاريخ المؤسسة مثل: الأحداث التاريخية، الشخصيات الأولى في حياة المؤسسة (كأول رئيس مدير عام للمؤسسة، وحتى تلك المتعلقة بهوية المؤسسة التاريخية.

- تلي الوسائل المشار إليها أعلاه، الصحافة الداخلية للمؤسسة، كوسيلة اتصالية مكتوبة، والمتمثلة في جريدة المؤسسة الموسومة بسونطراك-المجلة، هذه الوسيلة التي تؤهلها خصائصها¹⁹ لأن تكون من "أهم وسائل الاتصال الداخلي"²⁰ وبالتالي "الوسيلة الاستراتيجية الحقيقية بالمؤسسة"²¹، إلا أنها ظهرت في هذه الدراسة، كوسيلة ثانوية في نقل المعلومات العامة الخاصة بمؤسسة سونطراك، إلى أطاراتها، حيث قدر مهامها في تحقيق ذلك بنسبة % (13.66)، فقط.

- يأتي في آخر قائمة المصادر الناقلة للعناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك، مثل تلك المعلومات الخاصة بالأحداث التاريخية لمؤسسة سونطراك، الشخصيات البارزة التاريخية والحالية لهذه المؤسسة، إضافة إلى عنصر الهوية والمتمثل هنا في لوقو (Le logo)، الوسيلة الشفهية الرسمية (كاتصالات نازلة)، وذلك بنسبة % (12.33).

*1 مقابلة مع اطار بفرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، بمؤسسة سونطراك، 10.55 ، 2015/12/27.

*2 www.sonatrach.com

¹⁹ انظر مذكرة سبع فضيلة، الاتصال الداخلي في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية: "سونطراك-المجلة" نموذجا (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال)، جامعة الجزائر، 3، الجزائر 2006-2007.

²⁰ Sophie Peters, VAN DENIS: *Les supports d'information dans l'entreprise*, CFPI, Paris. 1992. P : 23

²¹ Nicole, D'HALMEIDA, et Thierry, LIBEART: *La communication interne de l'entreprise*, Dunod, Paris. 1998. P : 32

- اعتماد المؤسسة على نقل العناصر العامة الخاصة بثقافة مؤسسة سونطراك، على الوسائل الالكترونية، الوسائل الشفهية غير الرسمية (الزملاء)، مقابل غياب نسبي في أداء هذه الوظيفة من طرف الوسائل الرسمية الشفهية (المسؤول الاداري) والمكتوبة (سونطراك-المجلة).

3- طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر عامة لثقافة مؤسسة سونطراك: من خلال المبادئ الاستراتيجية لنجاح الوسيلة الاتصالية قمنا بفحص تلك الرسائل الاتصالية التي تنشر العناصر الثقافية العامة لثقافة مؤسسة سونطراك بين إطارات مديرية سونطراك-المصب، كما يلي:

جدول رقم (04): طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر عامة لثقافة مؤسسة

سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
03	طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك	أ. سريعة	28,07
		ب. مرنة	36,84
		ج. فعالة	27,19
		د. دون اجابة	7,89
المجموع		114	100.00

- تتميز كل وسيلة اتصالية بخصائص (Caractéristiques) تتباين بين التنوع، التقنية والفعالية (Diversité, Technicité, Efficacité)، وحسب النتائج المتحصل عليها، أعلاه، بأن الوسائل الاتصالية المكلفة بنقل العناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك التي تم قياسها في الفصل السابق (الثالث)، والمتمثلة في كل من : الأحداث التاريخية، والشخصيات البارزة وكذا الهوية الخاصة بهذه المؤسسة (سونطراك)، تتباين بين المرونة % (36.84)، والسرعة % (28.07)، ثم في الأخير الفعالية % (27.19)، وهذا ما يعكس خصائص الوسائل المشار إليها أعلاه، أي تلك المكلفة بنقل الثقافة العامة لهذه المؤسسة والمتمثلة في الوسائل الالكترونية (الانترنيت والانترنيت) وكذا عنصر الزملاء.

ثانيا- مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر مهنية لثقافة مؤسسة

سونطراك : تم بناء هذا المحور الخاص بقياس العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، من خلال تسليط الضوء على بعض العناصر المهنية التي تم توزيعها الى ثلاثة اجزاء كما يلي:

أ- العناصر المهنية التي تصف علاقة العامل بالعمل داخل مؤسسة سونطراك: اعتمدنا على ثلاثة مؤشرات للقياس هي: احترام وقت العمل، الالتزام في أداء العمل، الانضباط عند أداء العمل.

ب- العناصر المهنية التي تصف أداء العمل داخل مؤسسة سونطراك: اعتمدنا على ثلاثة مؤشرات للقياس هي: التنسيق، التعاون، روح الفريق.

ج- العناصر المهنية التي تصف علاقة العامل بزملائه في العمل داخل مؤسسة سونطراك: اعتمدنا على ثلاثة مؤشرات للقياس هي: الاحترام، التفاهم، الثقة.

وقد خضعت هذه العاصر العامة إلى القواعد التحليلية المعتمدة في الدراسة كما يلي:

1- طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل عناصر مهنية ثقافة مؤسسة سونطراك: وهذا ما سيوضحه لنا الجدول التالي:

جدول رقم (05): طبيعة المعلومات التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة

سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
04	طبيعة المعلومات التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك	أ. سهلة الولوج	24
		ب. واضحة	26
		ج. بسيطة	47
		هـ. كاملة	7
		و. دون اجابة	10
	المجموع	114	100.00

ملاحظة: متوسط الأسئلة التي بقيت "دون إجابة" في هذا المحور تراوحت بين: % (8.77)، % (2.4) ، % (4.67). أي بمعدل: % (5.28)

تتميز مساهمة الاتصال الداخلي بفرع التكرير بمديرية سونطراك المصعب لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر المهنية التي تصف (أداء العمل، علاقة العامل بالعمل، علاقة العامل بالعمل) حسب اطارات هذه المؤسسة، وبناء على الجدول رقم (05) أعلاه، في النقاط التالية:

- تتميز المعلومات المهنية، أي تلك التي تحمل عناصر مهنية عن ثقافة مؤسسة سونطراك، مثل احترام وقت العمل، المتداولة بين إطارات مؤسسة سونطراك، أولاً، بالبساطة % (41.22) والوضوح % (22.8)، ، ثم أنها سهلة الولوج بنسبة % (21.05) من إجمالي الإجابات التي قدرت بـ (114) إجابة.

- وصفت هذه المعلومات بأنها غير كاملة، كتلك المعلومات العامة، المشار إليها أعلاه، حيث قدر وصول هذا النوع من المعلومات الى إطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، كاملة، بنسبة % (6.14) فقط.

2- نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك: يوضح لنا الجدول التالي نتائج هذا المحور كما يلي:

جدول رقم (06): نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
05	نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك	أ. الموقع الالكتروني للمؤسسة	22
		ب. الانترانيت	34
		ج. الاعلانات	37
		د. المسؤول الاداري	63
		هـ. الزملاء	48
		و. الاجتماعات	39
		و.دون اجابة	6
	المجموع	249	100.00

- يمثل المسؤول الإداري ، كوسيط اتصالي في العملية الاتصالية الرسمية النازلة (بين

المؤسسة والعمال) والأفقية (بين العمال فيما بينهم)، التي تحدث داخل مؤسسة سونطراك، الوسيلة الأولى في نقل العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك (كاحترام وقت العمل، التنسيق في أداء العمل، الاحترام... وغيرها)، وذلك بنسبة (25.33%)، ثم الزملاء كوسيلة غير رسمية، شفوية، % (19.27)، وبنسب متقاربة تأتي كل من الوسائل الرسمية التالية: الاجتماعات % (15.66)، ثم الإعلانات % (14.85)، ثم الوسيلة الالكترونية المتمثلة في الموقع الالكتروني للمؤسسة، الذي يشير إلى مدونة السلوك لمؤسسة سونطراك^{3*}، بنسبة % (13.65). وفي الأخير تأتي الوسيلة الالكترونية الداخلية، أي الأتريانيت، وذلك بنسبة % (8.83)، وذلك لدى جميع إطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك. وهذا ما يدل على أن إطارات المؤسسة تصلهم العناصر المهنية لثقافة مؤسسة عن المسؤول الإداري، بالدرجة الأولى ثم الزملاء الذين يمثلون مصدرا اتصاليا هاما لنقل هذا النوع من المعلومات، كما أن المؤسسة تسعى من خلال الوسائل الاتصالية الرسمية (الاجتماعات ثم الإعلانات، ثم الموقع الالكتروني للمؤسسة وذلك من خلال نشرها لمدونة السلوك لمؤسسة سونطراك) لنشر ثقافة مهنية بين إدارتها.

3- طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك: بتطبيق نفس المؤشرات لقياس طبيعة الوسائل الاتصالية المستخدمة لنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، تم الحصول على النتائج التالية:

جدول رقم (07): طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
06	أ. سريعة	90	60
	ب. مرنة	32	21,33
	ج. فعالة	21	14
	د. دون اجابة	7	4,67
المجموع		150	100.00

^{3*} حيث أكدت نتائج البحث الأول الخاص بمساهمة الاتصال الداخلي في نشر المعلومات العامة، على أن هذه المعلومات العامة داخل هذه المؤسسة تصل الى عمالها كاملة بنسبة % (3.31)، أي انها غير كاملة بنسبة % (96).

- تتميز هذه الوسائل الاتصالية الناقلة للعناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، بمجموعة من الخصائص التالية: السرعة % (60)، ثم % (21.33) المرونة، ثم الفعالية % (14).

- تبقى الوسائل المستخدمة داخل مؤسسة سونطراك، لنشر العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، وسائل سريعة بالدرجة الأولى، الأمر الذي يدل على حرص المؤسسة على إيصال هذا النوع من المعلومات إلى جميع إداراتها % (60) في الوقت المناسب، ثم انها مرنة تصل عن طريق وسائل سهلة الاستخدام، إلا أنها دائما غير فعالة، مثلها مثل الوسائل الناقلة للمعلومات العامة. وذلك بدرجة % (86)، أي % (14) فقط من وافق على هذه الوسائل فعالة.

ثالثا: مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر إدارية لثقافة مؤسسة

سونطراك : لقد تم بناء هذا المحور الخاص بقياس مساهمة الاتصال الداخلي في نشر ما أسميناه بالثقافة الإدارية لمؤسسة سونطراك من خلال قياس العناصر الإدارية التي تم توزيعها إلى جزئين اثنين هما:

أ- العناصر الإدارية التي تصف ثقافة الإدارة العامل داخل مؤسسة سونطراك: من خلال مؤشرين اثنين للقياس هما: العدل، المساواة.

ب- العناصر الإدارية التي تصف ثقافة العامل بالإدارة داخل مؤسسة سونطراك: اعتمدنا على مؤشرين اثنين للقياس هما: اشراك العمال في اتخاذ القرارات، ثقة العمال في إدارة المؤسسة.

وانطلاقا من نفس المحاور المعتمدة في المبحثين السابقين، كما يلي:

1- طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل عناصر إدارية لثقافة مؤسسة سونطراك:

قد تم الحصول على النتائج الواضحة في الجدول رقم (07) كما يلي:

جدول رقم (08): طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل العناصر الادارية لثقافة مؤسسة سونطراك

النسبة	التكرار	السؤال	رقم السؤال
13,91	16	أ. سهولة الولوج	07
23,48	27	ب. واضحة	
61,74	71	ج. بسيطة	
0,87	1	د. دون اجابة	
100.00	115	المجموع	

تتمثل مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمديرية سونطراك المصنفة لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر الإدارية التي تصف (ثقافة العمال بالادارة، ثقافة الإدارة بالعمال) حسب اطارات هذه المؤسسة، بناء على الجدول رقم (08) أعلاه، في النقاط التالية:

-تتسم الرسائل الاتصالية التي تحمل عناصر إدارية حول ثقافة مؤسسة سونطراك، كسابقاتها العامة والمهنية، المتداولة بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصنفة بسونطراك، بالبساطة أولاً، وذلك بنسبة % (61.74)، ولكنها غير واضحة، بنسبة % (75)، في نظر هؤلاء الإطارات، حيث وصف هذا النوع من المعلومات، من طرف المبحوثين، بأنها واضحة بنسبة % (23.45)، خاصة منها، تلك المتعلقة بثقافة العمال بالإدارة (كالمشاركة في اتخاذ القرارات)، هذا العنصر الذي يبقى غير واضح ، حسب مجموعة من الإطارات، إذ تدعو الإدارة بالمشاركة في اتخاذ القرارات، إلا انه في حقيقة الأمر القرارات تكون قد اتخذت مسبقاً³، أما عن سمة سهولة الولوج إلى المعلومات الخاصة بالثقافة الادارية لمؤسسة سونطراك، فقد قدرت بنسبة % (13.91).

^{1*} من خلال إضافات قدمت من طرف معظم المبحوثين في إجاباتهم عن هذا المحور الخاص بالثقافة الإدارية بمؤسسة سونطراك.

2- نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر ادارية لثقافة مؤسسة سونطراك: تم بناء هذا المؤشر بناء على مجموعة الوسائل الاتصالية التي تتوفر عليها مؤسسة سونطراك، والتي تتلائم مع نوع الرسائل الاتصالية التي تعمل على نقل عناصر ادارية لثقافة مؤسسة سونطراك، وهذا كما يلي:

جدول رقم (09): نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر ادارية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
08	أهم الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر الثقافية الادارية لثقافة مؤسسة سونطراك	أ. الاجتماعات	10,57
		ب. الاعلانات	39,64
		ج. المسؤول	21,14
		د. وجها لوجه	27,31
		هـ. دون اجابة	1,32
المجموع		227	100.00

- تنتشر المعلومات التي تصف الثقافة الادارية لمؤسسة سونطراك، عن طريق الاعلانات، بنسبة % (39.64)، ثم وجها لوجه بنسبة % (27.31)، وفي المرتبة الثالثة، وبنسبة قريبة من السابقة، يأتي المسؤول الإداري % (21.14) كمصدرا لهذا النوع من المعلومات، وفي الأخير الاجتماعات، بنسبة % (10.57) وهذا بين جميع إطارات المؤسسة .

- تركز مؤسسة سونطراك على وسيلة الاعلانات، والمسؤول الإداري، وكذا وجها لوجه، في نشر الثقافة الإدارية الخاصة بهذه المؤسسة.

- طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر ادارية لثقافة مؤسسة سونطراك: يوضح لنا طبيعة هذه الوسائل الجدول التالي:

جدول رقم (10): طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر ادارية لثقافة مؤسسة سونطراك

النسبة	التكرار	السؤال	رقم السؤال
61,61	69	أ. سريعة	09
17,86	20	ب. مرنة	
8,04	9	ج. فعالة	
12,5	14	د. دون اجابة	
100.00	112	المجموع	

- تتميز هذه الوسائل الاتصالية الناقلة للثقافة الإدارية بمؤسسة سونطراك الى إطارات فرع التكرير التابع لمديرية سونطراك-المصب بالخصائص التالية:

1- السرعة، وذلك بنسبة % (61.61)،

2- المرونة بنسبة % (17.86) فقط،

3- الفعالية بنسبة ضئيلة جدا (8.04).

- تتأكد، مرة أخرى، عدم فعالية الوسائل الاتصالية المستخدمة داخل مؤسسة سونطراك، لتركيزها دائما على التقنية (La technicité) كالسرعة، والتنوع (La diversité). وهذا ما عبر عنه مختلف اطارات مؤسسة سونطراك.

رابعا: مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك : قام هذا المحور الخاص بقياس ثقافة مؤسسة سونطراك على أساس ما أسمته شبكة (OCAI) لقياس ثقافة المؤسسة²² بدوافع العمل، واطلقنا عليه نحن اسم التحفيز، لنتوصل إلى بناء هذا المبحث انطلاقا من عنصرين اثنين، هما:

أ- العناصر التحفيزية المهنية داخل مؤسسة سونطراك: حاولنا من خلال هذا الجزء قياس أربعة مؤشرات هي: تقدير الجهود المبذولة، الابداع والابتكار، الأجر والتكوين.

ب- العناصر التحفيزية السوسيومهنية داخل مؤسسة سونطراك: اعتمدنا على مؤشرين اثنين للقياس هما: عناصر تحفيزية سوسيومهنية لفائدة العامل (كالنقل، المطعم،

ملاحظة: متوسط الأسئلة التي بقيت "دون اجابة" في هذا المحور تراوحت بين: % (6.14)، % (1.26)، % (19.83). أي بمعدل: % (9.76)

²² أسامة، الفراج: نفس المكان

النشاطات الرياضية، والترفيهية...)، ومؤشر العناصر التحفيزية السوسيومهنية لفائدة العامل وعائلته (كالسكن، الرعاية الصحية، مخيمات صيفية...الخ).

وانطلاقا من نفس المحاور المعتمدة في المبحثين السابقين، تحصلنا على النتائج التالية:

1- طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك:

بناء على نفس المؤشرات المعتمدة، في الاجزاء الخاصة بطبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل ثقافة مؤسسة سونطراك (العامة والمهنية) في المبحثين السابقين، توصلنا الى النتائج الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (11): طبيعة الرسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
10	طبيعة المعلومات التي تنقل الثقافة تحفيزية لسونطراك	أ. سهولة الولوج	13
		ب. واضحة	19
		ج. بسيطة	72
		د. كاملة	3
		هـ. دون إجابة	7
المجموع		114	100,00

تتمثل مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمديرية سونطراك المصوب لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر التحفيزية (المهنية والسوسيومهنية) حسب اطارات هذه المؤسسة، وبناء على الجدول أعلاه، في النقاط التالية:

- تتسم الرسائل التحفيزية الموجهة الى اطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، والتي بدورها تصف الثقافة التحفيزية لهذه المؤسسة، بالبساطة بنسبة % (63.16)، وبالوضوح بنسبة % (16.67)، وسهولة الولوج بنسبة % (11.40)، وكاملة، في الأخير، وبنسبة، تكاد تكون منعدمة % (2.63). وذلك حسب إجابات هؤلاء الاطارات.

2- نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك: تم الحصول على النتائج الواضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (12): نوع الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
11	أهم الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر الثقافية التحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك	أ.الانترانيت	10
		ج. المسؤول الاداري	40
		د. الاعلانات	31
		هـ. الزملاء	76
		و. دون اجابة	2
المجموع		159	100.00

- تنتقل الرسائل التحفيزية المترجمة للثقافة التحفيزية لمؤسسة سونطراك، داخل فرع التكرير عن طريق الزملاء، أولاً، بنسبة % (47.8)، ثم المسؤول الإداري بنسبة % (25.16)، ثم الإعلانات بنسبة % (19.5)، وفي الأخير، عن طريق الانترانيت ، بنسبة ضئيلة جدا % (6.28). وهذا حسب إجابات جميع اطارت المؤسسة.

- تعتمد هذه المؤسسة، بالدرجة الأولى، وبنسبة % (72.96) على الاتصالات الشفهية (الزملاء+ المسؤول الإداري) في نشر الرسائل التحفيزية بين اطارت المؤسسة، الأمر الذي يشير إلى نوع من الاحتكار لهذا النوع من المعلومات.

3- طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك:

ومن خلال نفس المؤشرات الخاصة بهذا المحور، المتبعة في المباحث السابقة، يقدم الجدول رقم () النتائج المتحصل عليها:

جدول رقم (13): طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
12	طبيعة الوسائل الاتصالية التي تنقل العناصر الثقافية التحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك	أ. مرنة	58,68
		ب. سريعة	12,4
		ج. فعالة	9,09
		د. دون إجابة	19,83
المجموع			100,00

- تتسم هذه الوسائل، بالسرعة، بنسبة % (58.68) ، ثم بالمرونة، وبنسبة ضئيلة جدا % (12.4)، وبنسبة % (9.09) ، فقط، فعالة. هذا ما صرح به إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب.

خامسا: قياس نجاح الاتصال الداخلي في خلق ثقافة قوية لمؤسسة سونطراك : لاستكمال جميع أجزاء الاشكالية المطروحة بالدراسة، قمنا بقياس نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة، معتمدين في تحقيق ذلك على محورين اثنين هما:

أ- قياس نجاح الاتصال في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك

ب- قياس نجاح الاتصال في خلق ثقافة قوية لمؤسسة سونطراك

1- قياس نجاح الاتصال في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك: لتحقيق ذلك، قمنا ببناء مؤشر، عبارة عن سؤال مباشرة، عن مدى مساهمة الاتصال الداخلي في نشر العناصر الثلاثة، التي تطرقنا إليها في الفصل الثالث، وجه لاطارات مديرية سونطراك-المصب. فكانت النتائج المتحصل عليها كما يلي:

ملاحظة: متوسط الأسئلة التي بقيت "دون إجابة" في هذا المحور تراوحت بين: % (6.75)، % (2.92) أي بمعدل: % (4.83)

جدول رقم (14): مدى نجاح الاتصال في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك

النسبة	التكرار	السؤال		رقم السؤال
33.33	37	نعم	نجاح الاتصال في نشر عناصر	13
64.86	72	لا	عامة لثقافة مؤسسة	
1.80	2	دون اجابة	سونطراك	
100.00	111	المجموع		
38.74	43	نعم	نجاح الاتصال في نشر عناصر	14
50.45	56	لا	مهنية لثقافة مؤسسة-	
10.81	12	دون اجابة	سونطراك	
100.00	111	المجموع		
32.43	36	نعم	نجاح الاتصال في نشر عناصر	15
63.96	71	لا	ادارية لثقافة مؤسسة-	
3.60	4	دون اجابة	سونطراك	
100.00	111	المجموع		
41.44	46	نعم	نجاح الاتصال في نشر عناصر	16
47.75	53	لا	تحفيزية لثقافة مؤسسة-	
10.81	12	دون اجابة	سونطراك	
100.00	111	المجموع		

- بلغ متوسط الامتناع عن الإجابة % (6.75)
- يصف إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، لمؤسسة سونطراك، نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك بين هؤلاء الإطارات كما يلي:
- بلغت إجابات إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب لمؤسسة سونطراك حول مدى نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة هذه المؤسسة بين إطاراتها % (93.23)، حيث تباينت الإجابات بين نجاح الاتصال الداخلي % (36.48)، وعدم نجاحه % (56.75).

- فشل الاتصال الداخلي، في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين أطارتها، بالترتيب كما يلي:

جدول رقم (114): يمثل ترتيب نجاح الاتصال الداخلي

الرقم الترتيبي	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	التكرارات	النسبة المئوية	معدل عدم النجاح*1
1	العناصر العامة	72	64.86	56.75
2	العناصر الإدارية	71	63.96	
3	العناصر المهنية	56	50.45	
4	العناصر التحفيزية	53	47.75	

- نجح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير، بالترتيب، كما يلي:

جدول رقم (14ب): يمثل ترتيب نجاح الاتصال الداخلي

الرقم الترتيبي	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	التكرارات	النسبة المئوية	معدل النجاح*2
1	العناصر التحفيزية	46	41.44	36.48
2	العناصر المهنية	43	38.74	
3	العناصر العامة	37	33.33	
4	العناصر الادارية	36	32.43	

* 56.75 = 4/(47.75 + 50.45 + 63.96 + 46.86) ¹

* 36.48 = 4/(32.43 + 33.33 + 38.74 + 41.44) ²

2- قياس نجاح الاتصال في خلق ثقافة مؤسسة قوية لمؤسسة سونطراك: أسس هذا المحور، للإجابة على السؤال التالي : هل نجح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة قوية لمؤسسة سونطراك ؟ وكانت النتائج كما يلي:

جدول رقم (15): قياس نجاح الاتصال في خلق ثقافة مؤسسة قوية لمؤسسة سونطراك

رقم السؤال	السؤال	التكرار	النسبة
17	نجاح الاتصال في خلق ثقافة عامة قوية	نعم	12.61
		لا	85.95
		دون إجابة	1.80
المجموع		111	100.00
18	نجاح الاتصال في خلق ثقافة مهنية قوية	نعم	9.01
		لا	86.49
		دون اجابة	4.50
المجموع		111	100.00
19	نجاح الاتصال في في خلق ثقافة إدارية قوية	نعم	9.01
		لا	89.19
		دون اجابة	1.80
المجموع		111	100.00
20	نجاح الاتصال في خلق ثقافة تحفيزية قوية	نعم	9.91
		لا	86.49
		بدون اجابة	3.60
المجموع		111	100.00

يصف إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، لمؤسسة سونطراك، نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة قوية بين هؤلاء الإطارات كما يلي:
- بلغ متوسط الامتناع عن الاجابة % (3.15)

- صرح معظم (87.03%) إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصنب لمؤسسة سونطراك بعدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية خاصة بمؤسسة سونطراك بين إطاراتها. وهذا بالترتيب كما لي:

جدول رقم (115): يمثل ترتيب نجاح الاتصال الداخلي

الرقم الترتيبي	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	التكرارات	النسبة المئوية	معدل النجاح ^{*1}
1	عناصر إدارية قوية	99	89.19	87.03
2	عناصر مهنية قوية	96	86.49	
3	العناصر تحفيزية قوية	96	86.49	
3	عناصر عامة قوية	95	85.95	

- نجح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية لمؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير، بالترتيب، كما يلي:

جدول رقم (15ب): يمثل ترتيب نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة قوية

الرقم الترتيبي	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	التكرارات	النسبة المئوية	معدل النجاح ^{*2}
1	عناصر عامة قوية	14	12.61	10.13
2	عناصر تحفيزية قوية	11	9.91	
3	عناصر مهنية قوية	10	9.01	
3	عناصر إدارية قوية	10	9.01	

* 87.03 = 4/(86.49 + 86.49 + 85.95 + 89.19) ¹

* 10.13 = 4/(9.01 + 9.01 + 9.91 + 12.61) ²

نتائج البحث:

ترتكز نتائج هذه الدراسة على مجموعة من الأساسيات الميدانية المتمثلة فيما يلي:
 - تستند هذه النتائج الى ما نسبته 78%. اي مايعادل (111) من اجمالي اطارات فرع التكرير لمؤسسة سونطراك، البالغ عددهم (150) اطارا، موزعة حسب متغيري الجنس والاقدمية كما يلي:

جدول رقم (16) يمثل خصائص إطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك

المجموع	الأقدمية			الجنس		مجتمع البحث
	أكثر من 15 سنة	من 05 إلى 15	اقل من 05	ذكور	اناث	
111	26	63	22	46	65	التكرار
100	23.42	56.75	19.81	41.44	58.55	%النسبة

- بلغ متوسط الامتناع عن الإجابة في هذا البحث: % (5.85)*¹.
 أولا: واقع مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر عامة لثقافة مؤسسة سونطراك: تتمثل مساهمة الاتصال الداخلي بفرع التكرير بمديرية سونطراك المصوب لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر العامة (كالأحداث التاريخية والشخصيات البارزة للمؤسسة وكذا هوية مؤسسة سونطراك) بما يلي:
 - تتسم الرسائل الاتصالية الناقلة للعناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك، بالبساطة % (34.71) والوضوح بنسبة % (70)،
 - تتميز هذه المعلومات بسمه سهولة الولوج ، بنسبة، % (21).
 - تتصف هذه المعلومات بأنها، غير كاملة، حيث صرح ما نسبته % (3.31) فقط من هؤلاء العمال بمؤسسة سونطراك، بأن هذا النوع من المعلومات (العامة) تصل إليهم كاملة.
 - غياب عملية التحديث المستمرة (La mise à jour) للمعلومات الالكترونية.
 - احتلت الانترنت، قائمة المصادر الخاصة بالمعلومات العامة داخل مؤسسة سونطراك. بنسبة % (28.63).

* 5.85 = 6 / (3.15+6.75 +9.76 + 4.89 + 5.27 + 5.28) ¹

- احتلت الوسيلة الاتصالية الشفهية غير الرسمية، المتمثلة في زملاء العمل ، المرتبة الثانية، بنسبة % (22.47) في قائمة مصادر المعلومات العامة داخل هذه المؤسسة.
- تصدرت الوسائل الالكترونية، الانترنت، والانترنت، المتمثلة في الموقع الالكتروني للمؤسسة*2 % (21.59)، قائمة المصادر الخاصة بنشر المعلومات عامة.
- انتشار المعلومات الخاطئة أو غير الكاملة (كإشاعات) حول المعلومات العامة المتعلقة التي لها علاقة بتاريخ المؤسسة مثل: الأحداث التاريخية، الشخصيات التاريخية (كأول رئيس مدير عام للمؤسسة، وحتى تلك المتعلقة بهوية المؤسسة التاريخية.
- تأتي الوسيلة الاتصالية المكتوبة (الرسمية)، المتمثلة في صحافة المؤسسة (سونطراك- المجلة) في المرتبة الثالثة، بنسبة % (13.66) في نقل العناصر العامة لمؤسسة سونطراك.
- يأتي في أخر قائمة المصادر الناقلة للعناصر العامة لثقافة مؤسسة سونطراك، الوسيلة الشفهية الرسمية (كاتصالات نازلة)، المسؤول الاداري، بنسبة % (12.33)، وبنسب متقاربة.
- اعتماد المؤسسة على نقل العناصر العامة الخاصة بثقافة مؤسسة سونطراك، على الوسائل الالكترونية، الوسائل الشفهية غير الرسمية (الزملاء).
- غياب نسبي في أداء هذه الوظيفة من طرف الوسائل الرسمية الشفهية (المسؤول الإداري) والمكتوبة (سونطراك-المجلة).
- تتباين الوسائل الاتصالية المستخدمة في نقل المعلومات العامة داخل فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، بين المرونة % (36.84)، والسرعة % (28.07)، ثم في الأخير الفعالية % (27.19)
- تركز مؤسسة سونطراك مثلها مثل باقي المؤسسات الأخرى على الوسيلة بحد ذاتها، (التقنية) وليست بفعاليتها في تحقيق الأهداف المرجوة من العمليات الاتصالية.
- ثانيا: واقع مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر مهنية لثقافة مؤسسة سونطراك: تتميز مساهمة الاتصال الداخلي بفرع التكرير بمديرية سونطراك المصعب لمؤسسة سونطراك، في نشرها للعناصر المهنية التي تصف (أداء العمل، علاقة العامل بالعمل، علاقة العامل بالعمل) بما يلي:

*2 www.sonatrach.com

- تتميز المعلومات المهنية، التي تحمل عناصر مهنية عن ثقافة مؤسسة سونطراك، مثل احترام وقت العمل، الانضباط، التنسيق... أولاً، بالبساطة (%41.22) والوضوح (%22.8)، ثم أنها سهلة الولوج بنسبة (%21.05). ثم بأنها مرنة، بنسبة (%26.32).

- وصفت هذه المعلومات بأنها غير كاملة، مثلها مثل المعلومات العامة، المشار إليها أعلاه، حيث قدر وصول هذا النوع من المعلومات الى إطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، كاملة، بنسبة (%6.14) فقط.

- يمثل المسؤول الإداري، كوسيط اتصالي في العملية الاتصالية الرسمية النازلة (بين المؤسسة والعمال) والأفقية (بين العمال فيما بينهم)، التي تحدث داخل مؤسسة سونطراك، الوسيلة الأولى في نقل العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك بنسبة (%25.33).

- يأتي الزملاء كوسيلة غير رسمية، شفوية، (%19.27)، في المرتبة الثانية.

- يليهما بالترتيب، بنسب متقاربة كل من الوسائل الرسمية التالية: الاجتماعات (%15.66)، ثم الإعلانات (%14.85)، ثم الوسيلة الالكترونية المتمثلة في الموقع الالكتروني للمؤسسة، بنسبة (%13.65).

- تعتبر مدونة السلوك لمؤسسة سونطراك*، مصدراً غير رئيسياً لاستقاء المعلومات المهنية الخاصة بثقافة مؤسسة سونطراك (العناصر المهنية)، وهذا لعدم تناول هذه المدونة، بشكل تفصيلي للثقافة المهنية لمؤسسة سونطراك.

- احتلت الوسيلة الالكترونية الداخلية، أي الأنترانيت، المرتبة الأخيرة، في ترتيب مصادر الثقافة المهنية لمؤسسة سونطراك، وذلك بنسبة (%8.83).

- تعتمد مؤسسة سونطراك، على المسؤول الإداري، بالدرجة الأولى ثم الزملاء، بالدرجة الثانية، باعتبارهم مصادر اتصالية شفوية، لنقل الثقافة المهنية إلى إطارات المؤسسة.

- تتميز هذه الوسائل الاتصالية الناقلة للعناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، بمجموعة من الخصائص التالية: السرعة (%60)، ثم (%21.33)، ثم الفعالية (%14).

- تتسم هذه الوسائل الاتصالية المستخدمة في نشر الثقافة المهنية بين إطارات مؤسسة سونطراك. بالسرعة (%60)، ثم بالمرونة بنسبة (%21.33). ثم فعالة بنسبة (%14).

* حيث أكدت نتائج المبحث الأول الخاص بمساهمة الاتصال الداخلي في نشر المعلومات العامة، على أن هذه المعلومات العامة داخل هذه المؤسسة تصل الى عمالها كاملة بنسبة (%3.31)، أي أنها غير كاملة بنسبة (%96).

- تبقى الوسائل المستخدمة داخل مؤسسة سونطراك، لنشر العناصر المهنية لثقافة مؤسسة سونطراك، وسائل سريعة بالدرجة الأولى، الأمر الذي يدل على حرص المؤسسة على إيصال هذا النوع من المعلومات إلى جميع إدارتها %60 في الوقت المناسب، ثم انها مرنة تصل عن طريق وسائل سهلة الاستخدام، إلا أنها دائما غير فعالة، مثلها مثل الوسائل الناقلة للمعلومات العامة، وذلك بدرجة %86، أي %14 فقط من وافق على هذه الوسائل فعالة.

ثالثا: واقع مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر إدارية لثقافة مؤسسة سونطراك: تتمثل مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب لمؤسسة سونطراك، في نشر الثقافة الإدارية لمؤسسة سونطراك التي تصف (ثقافة العمال بالإدارة، ثقافة الإدارة بالعمال) في النقاط التالية:
-تتسم الرسائل الاتصالية التي تحمل عناصر إدارية حول ثقافة مؤسسة سونطراك، بالبساطة أولا، بنسبة %61.74.

- وصف كذلك هذا النوع من المعلومات، بأنها غير واضحة، بنسبة %75، في نظر إدارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك، أي أنها واضحة بنسبة %23.45.

- قدرت نسبة سهولة الولوج الى هذا النوع من المعلومات بـ %13.91.

- تنتشر هذه المعلومات عن طريق قائمة من الوسائل المتمثلة فيما يلي:

1- الإعلانات، بنسبة %39.64،

2- ثم وجها لوجه بنسبة %27.31،

3- المسؤول الإداري، بنسبة %21.14

4- الاجتماعات، بنسبة %10.57

- تركز مؤسسة سونطراك على وسيلة الإعلانات، والمسؤول الاداري، وكذا وجها لوجه، في نشر الثقافة الإدارية الخاصة بهذه المؤسسة.

- تتميز هذه الوسائل الاتصالية الناقلة للثقافة الإدارية بمؤسسة سونطراك الى إدارات فرع التكرير التابع لمديرية سونطراك-المصب بالخصائص التالية:

1- السرعة، وذلك بنسبة %61.61،

2- المرونة بنسبة %17.86 فقط،

3- الفعالية بنسبة ضئيلة جدا %8.04.

- تتسم هذه الوسائل، بعدم الفعالية مقابل التقنية (La technicité) كالسرعة، والتنوع (La diversité).

رابعا: واقع مساهمة الاتصال الداخلي في نشر عناصر تحفيزية لثقافة مؤسسة سونطراك: تتمثل مساهمة الاتصال داخل فرع التكرير بمديرية سونطراك المصبة لمؤسسة سونطراك، في نشر الثقافة التحفيزية (المهنية والسوسيومهنية) كما يلي:
- تتسم الرسائل التحفيزية التي تصف الثقافة التحفيزية لمؤسسة سونطراك، بالبساطة بنسبة % (63.21)، وبالوضوح بنسبة % (16.67)، وسهولة الولوج بنسبة % (11.40)، وكاملة، في الأخير، وبنسبة، تكاد تكون منعدمة % (2.63).

- تنتقل الرسائل التحفيزية المترجمة للثقافة التحفيزية لمؤسسة سونطراك، داخل فرع التكرير عن طريق الزملاء، أولا، بنسبة % (47.8)، ثم المسؤول الإداري بنسبة % (25.16)، ثم الإعلانات بنسبة % (19.5)، وفي الأخير، عن طريق الانترنت ، بنسبة ضئيلة جدا % (6.28).

- تعتمد هذه المؤسسة، بالدرجة الأولى، وبنسبة % (72.96) على الاتصالات الشفهية (الزملاء+ المسؤول الإداري)، في نشر الرسائل التحفيزية بين اطارات المؤسسة، الأمر الذي يشير إلى نوع من الاحتكار لهذا النوع من المعلومات.

- تتسم هذه الوسائل، بالسرعة، بنسبة % (58.68)، ثم بالمرونة، وبنسبة ضئيلة جدا % (12.4)، وبالفعالية بنسبة % (9.09).

خامسا: قياس نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك : حدد نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصبة فيما يلي:

- بلغ معدل عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصبة، نسبة % (56.75) .

- تراوحت النسب المسجلة حول عدم نجاح الاتصال الداخلي، في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين اطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصبة، بالترتيب كما يلي:

جدول رقم (17): يمثل ترتيب نسب عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة

مؤسسة سونطراك

النسبة المئوية	التكرارات	عناصر ثقافة سونطراك مؤسسة	الرقم الترتيبي
64.86	72	العناصر العامة	1
63.96	71	العناصر الإدارية	2
50.45	56	العناصر المهنية	3
47.75	53	العناصر التحفيزية	4

- سجلت عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك (الإدارية والعامة) أعلى نسب عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك، وذلك بالترتيب كما يلي: % (64.86)، و% (63.96) أي بمعدل % (64.41).

- أغلب النتائج المرتفعة المسجلة حول عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك (العامة، المهنية، الإدارية والتحفيزية)، كانت من طرف فئة الإناث، لمتغير الجنس، وفئة (من 05 إلى 15 سنة) لمتغير الأقدمية.

- نجح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير، بمعدل % (36.48)، وذلك بالترتيب كما يلي:

جدول رقم (18): يمثل ترتيب نسب نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة

مؤسسة سونطراك

النسبة المئوية	التكرارات	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	الرقم الترتيبي
41.44	46	العناصر التحفيزية	1
38.74	43	العناصر المهنية	2
33.33	37	العناصر العامة	3
32.43	36	العناصر الإدارية	4

- سجلت العناصر التحفيزية ثم المهنية، مقابل العناصر الإدارية والعامية، أعلى النسب في نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة مؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير، بمديرية سونطراك-المصب، حيث سجلت، هذه العناصر بدورها، بالترتيب نسب النجاح التالية: % (41.44) و% (38.74)، أي بمعدل % (40.09).

سادسا: قياس نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية لثقافة مؤسسة سونطراك : وصف إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، لمؤسسة سونطراك، نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية لثقافة مؤسسة سونطراك بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، بما يلي:

- بلغ معدل عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر ثقافة قوية بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب لمؤسسة سونطراك، ما يقارب % (87.03).

- تراوحت نسب عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية لثقافة مؤسسة سونطراك، بين إطارات فرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، كما يلي:

جدول رقم (19): يمثل ترتيب نسب عدم نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية

لثقافة مؤسسة سونطراك

الرقم الترتيبي	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	التكرارات	النسبة المئوية
1	عناصر إدارية قوية	99	89.19
2	عناصر مهنية قوية	96	86.49
3	عناصر تحفيزية قوية	96	86.49
3	عناصر عامة قوية	95	85.95

- تترتب نسب نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك في الجدول ، كما يلي:

جدول رقم (20): يمثل ترتيب نسب نجاح الاتصال الداخلي في نشر عناصر قوية لثقافة

مؤسسة سونطراك

النسبة المئوية	التكرارات	عناصر ثقافة مؤسسة سونطراك	الرقم الترتيبي
12.61	14	عناصر عامة قوية	1
9.91	11	عناصر تحفيزية قوية	2
9.01	10	عناصر مهنية قوية	3
9.01	10	عناصر إدارية قوية	3

الخاتمة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى إسهام الاتصال داخل إحدى أكبر المؤسسات الاقتصادية الجزائرية على المستوى الوطني، الإفريقي، وحتى الدولي، (SONATRACH)، في نشر وخلق ثقافة مؤسسة قوية لدى إطاراتها، خاصة وأن جل الدراسات المتناولة لمفهومي، ثقافة المؤسسة والاتصال الداخلي، أقرت بدورهما الفعال في خلق مؤسسات قوية. اذ يقول P. DRUKER ان "الفرق بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، هو وجود ادارة متطورة في الأولى وادارة سيئة في الثانية، يعكس مكانة وأهمية الثقافة التنظيمية"²³، ولأنه لا يمكن تصور ثقافة بدون اتصال، ولا اتصال بدون ثقافة حسب Edward T Hall في عبارته الشهيرة "الثقافة هي اتصال والاتصال هو ثقافة"²⁴،

(La culture c'est la communication et la communication c'est la culture)، فالاتصال يعتبر المرافق اللازم لثقافة المؤسسة، اذ " من خلاله، (فقط) تظهر، تنتقل وتتطور هذه الثقافة"²⁵

(C'est à travers la communication que la culture se manifeste, se transmet et évolue).

ولقد كشف هذا البحث، عن الإسهام الضعيف للعمليات الاتصالية التي تحدث مع وبين إطارات فرع التكرير بمؤسسة سونطراك في نشر وخلق ثقافة مؤسسة قوية لدى اطارات هذه المؤسسة وذلك كما يلي:

- فشل الاتصال الداخلي في خلق عناصر عامة قوية لثقافة مؤسسة سونطراك.
- فشل الاتصال الداخلي في خلق عناصر مهنية قوية لثقافة مؤسسة سونطراك.
- فشل الاتصال الداخلي في خلق عناصر ادارية قوية لثقافة مؤسسة سونطراك.
- فشل الاتصال الداخلي في خلق عناصر تحفيزية قوية لثقافة مؤسسة سونطراك

²³ علي عبد الله: التحولات وثقافة المؤسسة، دراسة مقدمة للملتقى الدولي : تحت عنوان: الاقتصاد الجزائري في الالفية الثالثة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، 21.22 ماي 2002، ص:01

²⁴ Alexander. FRAME: Repenser l'interculturel en communication : Performance culturelle et construction des identités au sein d'une association europeenne, (These pour obtenir grade de docteur de l'université de Bourgogne, Discipline: science de l'information et de communication), université de Bourgogne, Paris, 2008. P : 27

²⁵Loc.cit

قائمة المراجع

ا. قائمة المراجع باللغة العربية:

1- الفراج، أسامة: نموذج مقترح لخصائص الثقافة التنظيمية الملائمة في مؤسسات القطاع العام في سورية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد الأول، 2011.

2-الموساوي، محمد جاسم فليحي: نظريات الاتصال والاعلام الجماهيري:

[http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20060523-456.htm]

3- بشير، محمد: الثقافة والتسيير في الجزائر: بحث في تفاعل الثقافة التقليدية والثقافة الصناعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2007.

4- خضر، جميل احمد: العلاقات العامة، الطبعة الأولى، دار الشروق للطباعة، الأردن. 1998.

5- سبع، فضيلة: الاتصال الداخلي في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية: "سونطراك-المجلة" نموذجا (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال)، جامعة الجزائر3، الجزائر. 2006-2007.

6- عبد الله، علي: التحولات وثقافة المؤسسة، دراسة مقدمة للملتقى الدولي : تحت عنوان: الاقتصاد الجزائري في الالفية الثالثة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، 21.22 ماي 2002

7- مقابلة مع السيد: —، —، اطار بفرع التكرير بمديرية سونطراك-المصب، بمؤسسة سونطراك. بمقر الفرع.

8- مقابلة مع: الحاج، معزوز، اطار بمديرية الاتصال والعلاقات العامة بمؤسسة سونطراك، بمقر المديرية.

ا. : قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

1- BURSENAULT, Chantal, et PRETET, Martine: Organisation et gestion de l'entreprise : Structures, décisions, stratégies, cours, tome 2, Vuibert, Paris, 1999.

2- D'HALMEIDA, Nicole et LIBEART, Thierry: La communication interne de l'entreprise, Dunod, Paris.1998

3- De SAINT-GEORGES, Pierre: Culture d'entreprise, communication interne et stratégies de changement,

[<https://communicationorganisation.revues.org/1657>].

- 4- DUTERME, Claude : La communication interne en entreprise : L'approche de Palo Alto et l'analyse des organisations, 1^{ère} édition, Edition De Boeck Université, Belgique.2002.
- 5-ELDIN, François: Le management de la communication : de la communication personnelle a la communication d'entreprise (dynamique d'entreprise), L'harmattan, Paris. 1998.
- 6- FRAME, Alexander: Repenser l'interculturel en communication :performance culturelle et costruction des identities au sein d'une association europeenne, (These pour obtenir grade de docteur de l'université de Bourgogne, Discipline: science de l'information et de communication), université de Bourgogne, Paris, 2008.
- 7- IRCOM (Institut Des Relation Publique Et De Communication) : Le guide pratique de la communication, 4^{ème} édition, Eyrolles, Paris.1991.
- 8-MEIER, Olivier: Management interculturel: Strategie, Organisation, Performance, 5^e édition, DUNOD, Paris,2013.
- 9- SAUMIER, Alain .: Audit de la communication organisationnelle en entreprise, [<http://pages.infini.net/saumiera/documentation/audit.html>].
- 10- TERMOIS, Martine: La communication de l'entreprise : 107 fiches outils, Les édition d'organisation, Paris.1995.
- 11- VAN DENIS, Sophie Peters: Les supports d'information dans l'entreprise, CFPJ, Paris.1992.
- 12- WESTAPHALEN, Marie-Hélène: Le communicator : Le guide de la communication, Les édition d'Organisation, Paris.1995.
- 13- www.sonatrach.com

الإدارة الفرنسية ومواقفها من قضايا الدين والمجتمع بعد احتلال الجزائر.
دراسة من خلال وثائق أرشيفية.
د عائشة حسيني
جامعة البويرة .

Abstract:

French administration and its position on the issues of religion and society after the occupation of Algeria-Study through archival documents. Since the occupation of Algeria in 1830. The French colonial administration started to search for the fastest ways to implement colonial project on Algerian society, and to establish the pillars of the new French society in the land of Algeria, rather than its population, it is obvious that the project about the Algerian contemporary society as a linked the mechanism of the behavior of the colonial administration in religion and the judiciary, and represents religion for Algerians as a spiritual authority which organized community relationships for several centuries. Since the Muslim conquest, as it was this spiritual power which represents fortified immune factor unit that is characterized by the Algerian society and the Algerian state since becoming a Muslim in the face of nature circulate European campaigns raises the question what is the role of power Algerian religious community and the French in Algeria in both French colonial project? Or was this project colonial project politically, economically without holding religious characteristics?

المخلص:

منذ احتلال الجزائر في 1830 شرعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في البحث عن الطرق الأسرع لتنفيذ المشروع الاستعماري على المجتمع الجزائري، وتثبيت أركان المجتمع الفرنسي الجديد بأرض الجزائر عوضا عن سكانها، ومن البديهي أن يرتبط مشروع المجتمع الجزائري المعاصر بصفة إلية بسلوكيات الإدارة الاستعمارية في الدين والقضاء، ويمثل الدين بالنسبة للجزائريين السلطة الروحية التي نظمت علاقات المجتمع لعدة قرون منذ الفتح الإسلامي ، وقد كانت هذه السلطة الروحية تمثل المناعة الحصينة وعامل الوحدة التي يتميز بها المجتمع الجزائري والدولة الجزائرية منذ أن أصبحت مسلمة في وجه الحملات الأوروبية ذات الطابع الصليبي والسؤال المطروح هنا ما هو دور السلطة الدينية للمجتمع الجزائري والفرنسي بالجزائر على حد سواء في المشروع الاستعماري الفرنسي ؟، أم كان هذا المشروع مشروعا استعماريا اقتصاديا سياسيا فقط لا يحمل الصفات الدينية ؟.

مقدمة.

شرعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ أن وضعت أقدامها بالجزائر في 1830، في البحث عن السبل والطرق الأسرع لتنفيذ المشروع الاستعماري على المجتمع الجزائري، وتثبيت أركان المجتمع الفرنسي الجديد بأرض الجزائر عوضا عن سكانها، ولأنه لا يمكن أن تقام سلطتان متوازيتان ومتناقضتان في بلد واحد وفي أن واحد، وعلى أساس معادلة الغلبة، يجب أن تكون سلطة الحكم في يد الفئة الغالبة مرحليا، والتي بحكم القوة مثلتها فرنسا المسيحية بعد سقوط السلطة السياسية الجزائرية ذات الصلة المباشرة بالدولة العثمانية، التي كانت آنذاك تمثل السلطة الروحية في العالم الإسلامي السني من جهة، في ظل الظروف والأحوال التي كانت فيها القوي الدولية المسيحية الكبرى تتنافس على التوسع والاستعمار من جهة أخرى، فما موقع مسألة السلطة الدينية للمجتمع الجزائري والفرنسي بالجزائر على حد السواء في المشروع الاستعماري الفرنسي؟، أم كان هذا المشروع مشروعاً استعمارياً اقتصادياً سياسياً خالياً من النزعة الصليبية؟ .

الاحتلال ومشروع الدولة المسيحية بالجزائر.

تشير الكتابات التاريخية بان الحملة الفرنسية على الجزائر كانت على علاقة وطيدة بالكنيسة والتبشير في إفريقيا عموماً، من أجل محاولة حصر الإسلام وإعادة بعث المسيحية في كل الربوع التي ستصل إليها يد النزعة الاستعمارية الجديدة في إفريقيا والعالم الإسلامي، وان كانت الجزائر تمثل فيها حيز الزاوية في شمال إفريقيا، أو المفتاح للسيطرة على عموم إفريقيا كما كان تتمناه الدوائر الاستعمارية آنذاك، فالجانب الديني في الحملة كان حاضراً وبقوة كما تشير إلى ذلك وثائقها وتصريحات قادتها.

وقد لعب رجال الدين دوراً محورياً في الحملة الفرنسية حيث أن قرار الملك شارل العاشر كان مدفوعاً من وزير الشؤون الدينية والأسقف فريسوس الذي كانت من ورائه روما، وقد عبر وزير الحربية قبل الحملة أي أثناء الحصار في 1827 عن سعادته في احتلال الجزائر من أجل إعادتها إلى حوزة المسيحية، كما طلب شارل العاشر بالمناسبة من رجال الدين إقامة الصلوات في الكنائس والدعاء لفرنسا للنجاح في مشروعها بعد احتلال الجزائر، وبالرغم من معاهدة الخامس جويلية من سنة 1830 والتي تعهد فيها دييورمون باحترام الأملاك والأوقاف والنساء عشية انتصاره، إلا أننا نجده في نفس الوقت يتراجع في جميع تعهداته هو وخلفائه من بعده من ممثلي الإدارة الفرنسية، ولم

يلتزموا بأي بند من بنود المعاهدة ، حيث سارع من بعد سقوط مدينة الجزائر إلى إقامة صلاة بالقصبة شارك فيها الجيش ورجال الدين ، وخطب فهم قائلا "...لقد أعدتم معنا فتح باب المسيحية لإفريقيا ، وندمنا في القريب أن نعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن طويل..." ، وفي نفس هذا الوقت كان شارل العاشر يحضر قداسا في كنيسة نوتردام ، يحمد الله على نصره في الجزائر⁽¹⁾.

وقد وجدت الإدارة الفرنسية نفسها بعد احتلالها للجزائر مجبرة على تنظيم الإدارة المدنية والعسكرية ، وإعطاء الطابع المسيحي للدولة في السلوكيات والعمران ، بسبب تلك الإعدادات الغفيرة من المستوطنين ، ومن مختلف الجنسيات والمذاهب ، وكما سبق وأشرنا وجدت نفسها مجبرة لخلق جميع أنواع الكنائس المعروفة في أوروبا ، ولمختلف المذاهب من بروتستانت كاثوليك وغيرهم ، بسبب تعدد وتنوع الجاليات الموجودة في الجزائر ، فقد ظهرت الكنيسة في جميع مخططات المدن الجديدة ، وقد أنشأتها الإدارة الاستعمارية لمصلحة المستوطنون في الجزائر بالدرجة الأولى ، ولكن الهدف لا يحتاج إلى توضيح على المدى البعيد ، لهذا نجد أن الكنيسة تحتل موقعا هاما في مخطط المدينة الاستعمارية عموما ، حيث اختير لها موقع وسط أو مدخل المدينة تقريبا في كل المخططات⁽²⁾.

ما يستنتج من هذا أن الإدارة قد سخرت إمكانيات هامة لمشروع التنصير ، فنجد أن الجزائر ببجو فتح باب المستوطنة ومنح الإمكانيات لمختلف المذاهب لخدمة الجاليات المسيحية المتواجدة بها⁽³⁾ ، والتي تهدف على المدى البعيد إلى تنصير الجزائريين ، حيث رأى أحد الضباط أن تنصير المسلمين يعتبر وسيلة لتثبيت القوة الفرنسية في الجزائر ، كما يعطي قوة للنفوذ الفرنسي بها⁽⁴⁾ ، وفي هذا الشأن نجد أن جهود المنظرين والحكام قد تضاعفت واتفقت حول نفس الفكرة ، والهدف منها يبدو أكثر وضوحا في نصائح دي توكفيل _ الخبير والمستشار السياسي _ حول مسألة ضرورة القضاء على الدين الإسلامي بالجزائر ،

- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830_1870 ، (منشورات دحلب ، الجزائر ، 2007) ، ص 15_17

² - ظهرت الكنيسة في جميع مخططات المدن الجديدة التي أمكننا الاطلاع عليها بالأرشيف الفرنسي فيما وراء البحار باكس اون بروفانس لمختلف مدن سهل متيجة ، فقد ظهرت في موقع ممتاز وسط المدينة ، مما يبرز أهمية التمسح في المستقبل للمشروع العمراني والحضاري للبلاد عموما.

³ F 80_1625, N 6094, 12Juillet 1845. C AOM, GGA, FR,-

⁴ - وحول هذا الموضوع ذكر للأب بريمولت ما يلي : "...حاول يا أبت أن تجعل منهم مسيحيين فإذا فعلت ذلك فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار..." خديجة بقطاش ، ص 58 .59.

فها هو يدعو إلى المساهمة في تجهيل الجزائريين فيقول: "...الأهواء الدينية التي يثيرها القرآن مناوئة لنا كما يقال، وأنه ليحسن تركها تنطفئ في الخرافات والجهل، ما دام ينقص علماء الشريعة والوعاظ، ستكون زلة كبيرة أننا نحاول إحيائها...دعوا تراجمة الدين، الطبيعيين والمنتظمين ينقرضون، لا تلغوا الأهواء الدينية اعهدوا بها فقط إلى ساخط أو محتال، نعلم اليوم إنهم شحاذون ومتعصبون ينتمون إلى منظمات سرية، نوع من رجال الدين غير النظاميين والجهلة، هم أولئك الذين أثاروا ضدنا السكان في التمرد الأخير واتوا بالحرب..."⁽⁵⁾.

- _ ولهذا يمكن إجمال الأسباب التي تحكمت في اهتمام الإدارة الاستعمارية بالجانب الديني وتنظيمه في الجزائر في النقاط التالية منها:
- _ سعي المعمرون تجاه الملك والملكة وطلبهم منهم ضرورة التدخل في موضوع الحياة الدينية بالجزائر من أجل التحكم في المستعمرة.
- _ مساعي الباباوات لدى الإدارة الفرنسية من أجل إحياء الكنيسة الإفريقية التي اندثرت بعد الفتوحات الإسلامية بإفريقيا.
- _ دور ملكة فرنسا في دعم المبشرون في الجزائر.
- _ الأصول الأوروبية المختلفة للمعمرين مما جعل السلطة الاستعمارية تسعي إلى توحيدهم عن طريق الدين واللغة⁽⁶⁾.

⁵ - ألكسي دي توكفيل (de Tocqueville)، أحد كبار المفكرين الفرنسيين المحدثين مؤرخ وعالم اجتماع ومنظر سياسي ورجل سياسة وقضاء معروف ولد سنة 1805 وتوفي سنة 1859، اشتهر بكتابه عن الديمقراطية في أمريكا، والنظام القديم والثورة في دراسة أسباب الثورة الفرنسية، لقي الكتاب الأول نجاحا كبيرا استحق لأجله عضوية أكاديمية علوم الأخلاق والسياسة وعضوية الأكاديمية الفرنسية. ذهب إلى أمريكا لدراسة نظام السجون ولكنه عاد بكتاب عن الديمقراطية بها. كما كتب نصوصا عدة عن الجزائر كون الجزائر كانت في الثلاثين سنة الأخيرة من حياته شأنًا فرنسيًا، خاصة ما تعلق منها بمسألة الاحتلال والاستيطان. كما كان رجل سياسة لأنه انتخب عضو في الجمعية الوطنية الفرنسية من 1839 إلى 1849، ووزيرا لخارجية فرنسا فيما بعد وفي أواخر 1851، انسحب من الحياة السياسية وكان موافقا على احتلال الجزائر منذ 1828، وفيما بعد أصبح من أنصار الاحتلال والاستعمار خاصة خلال العقد الأول من الاحتلال، دافع عن الاحتلال من مبادئ وطنية في إطار التنافس الاستعماري ما بين فرنسا وانكلترا، قام بزيارته الأولى إلى الجزائر سنة 1841، عين بعدها في لجنة مكلفة بدراسة الاستعمار بالجزائر، إلا أنه كان قد بدأ كتاباته عن الجزائر منذ 1837، لهذا كانت نصوصه محل اهتمام ونشرت عدة مرات.

_ ينظر دي توكفيل ألكسي، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة إبراهيم صحراوي، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008)، ص 129.

⁶ - محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، (منشورات دحلب، الجزائر)، ص 32_33.

- السلطة الاستعمارية ومشروع المجتمع الجزائري .

من البديهي أن يرتبط مشروع المجتمع الجزائري المعاصر بصفة إلية بسلوكيات الإدارة الاستعمارية في الجانب الديني والقضائي، والذي يمثل بالنسبة للجزائريين السلطة الروحية التي نظمت علاقات المجتمع لقرون طويلة منذ الفتح الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى كانت هذه السلطة الروحية تمثل المناعة الحصينة وعامل الوحدة التي يتميز بها المجتمع الجزائري والدولة الجزائرية منذ أن أصبحت مسلمة في وجه التحديات الصليبية، هذه التحديات التي لم تنقطع أبدا في تهديدها للكيان الجزائري منذ أن أصبح مسلما، وخاصة بعد أن تقوي أكثر في وجه الحملات الصليبية بالدولة العثمانية المسلمة، وهو ما لم تغفره القوي المسيحية شمال البحر الأبيض المتوسط لسكان جنوبه بشمال إفريقيا عموما.

ولهذا لم تضيع هذه القوي الفرصة الأولى التي منحت لها بعد ضعف الدولة العثمانية، لان تسعى لإعادة هذا المجتمع إلى حوزة المسيحية، أو على الأقل تهين معتقداته وتقضي عليها، وفي هذا الصدد يذكر حمدان بن عثمان خوجة صدور أمر من الحكومة الفرنسية باعتراف المسلمون الديانة المسيحية، ويبدو كما يقول أن بريد 20 جوان قد كشف السر، ومع ذلك لم تكذبه الجرائد الوزارية الفرنسية مما يؤكد صحته⁽⁷⁾، ودائما نحاول الاستعانة بالوثائق في هذا الشأن لأنها تمثل الدليل القاطع على ما نقول، فهناك رسائل كثيرة في الموضوع وما شابه، نحاول من خلال بعضها التعريف ببعض الوثائق⁽⁸⁾ الخطية التي كتبها وأرسلها بعض الجزائريين، والتي تترجم الوضعية الحقيقية التي ألت إليها الجزائر بصفة عامة، والجزائريون بصفة خاصة بعد الاحتلال، تتنوع مضامين هذه الوثائق، وأحيانا تبدو للقارئ بسيطة، ولكن في الحقيقة هي عبارة عن مادة خام وحية للباحثين لأنها وثائق أرشيفية نادرة، يستعين بها الباحث في التاريخ الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي الجزائري بعد الاحتلال.

ما يلاحظ علي هذه الوثائق منذ الوهلة الأولى أنها تصب في اتجاه الفرار من الوضعية الجديدة الناتجة عن تغير نظم الحكم بالنسبة للجزائريين، كما تترجم أيضا الوضعية

⁷ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري، (منشورات الجزائر، 2005).

⁸ - أرشيف ما وراء البحار بمدينة أيكس بروفانس Aix en Provence في فرنسا.

العامة لهم بعد الاحتلال، والتي مهما تحدثنا فيها لا نجد فيها أفضل من هذه الوثائق التي نحن بصدد عرضها في هذا المقال، وتمثل أيضا نموذجا إضافيا لما ذكره ونشره الدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور جمال قنان، والدكتور عبد الحميد زوزو من وثائق سابقا حول الوضعية العامة للجزائريين في بداية الاحتلال.

إذن تعتبر هذه الوثائق كما ذكرنا شاهدا حيا أخر عن الوضعية العامة للجزائريين، واهم ما يظهر ويتجلى فيها تلك الآلام التي تجرعها الجزائريون من وراء مسألة الاحتلال وسلطته، والتي أوجدت وضعا لا يمكن تصوره أحسن مما يبدو في مراسلات الضعفاء والأقوياء في المجتمع الجزائري على حد السواء، وممثلي السلطة السياسية والدينية وعامة المجتمع أيضا.

وتوضح هذه الوثائق أيضا السعي الحثيث للسلطة الاستعمارية من اجل التمهيد لإرساء ركائز الدولة الجديدة، وبالتالي التخلص من بقايا رموز النظام القديم في حياة المجتمع الجزائري في مختلف الميادين، واجتثاث معالم الهوية الوطنية للجزائريين، تمهيدا لإرساء نمط جديد في الحياة لا يبدو فيه اثر للحضارات السابقة للجزائر، كما يتم فيه طمس معالم هذه الهوية، وخاصة في ما تعلق منها بالدين، حيث ثبت أكثر مع الوقت بأنه رمز استهزاء الجزائريين ضد السلطة القائمة آنذاك، وفي هذا المجال سعي علماء الجزائر في بداية الاحتلال وبالضبط في عهد الجنرال دي روفيقو أن يحافظوا نوعا ما على الخصوصيات العقائدية للمجتمع الجزائري في إطار الدولة الفرنسية أن أمكن، وتحديدًا بعد الانتهاكات الصارخة والمقصودة للسلطة الاستعمارية في هذه الجوانب المهمة من حياة الجزائريين.

وخاصة فيما يتعلق بمسائل القضاء الإسلامي الذي تعرض إلى مجموعة من الخروقات، والتي تدخل أساسا في تسهيل كيفية التعدي على حرمان المسلمين والاستيلاء على معتقداتهم، إلى جانب الحصول على الأملاك المرتبطة بالدين الإسلامي التي ظهر منذ الوهلة الأولى أنها كثيرة جدا بالمنطقة؛ وذلك إن تم فعلا الاستيلاء عليها جميعا، لهذا بدأ التفكير داخل الدوائر الاستعمارية في التحضير للكيفية الممكن تطبيقها للاستيلاء على هذا النوع من الأملاك من جهة، ومن جهة أخرى إعطاء ضربة قاضية للهياكل الإدارية

والقضائية الإسلامية، وخاصة ما تعلق منها بقضايا الأحوال الشخصية الإسلامية⁽⁹⁾. وتحديدا في الجوانب الدينية والاجتماعية التي ستطبق بالجزائر في المستقبل، فهل يتم الحفاظ على القوانين العرفية المحلية وأيضا القوانين الإسلامية التي اعتاد عليها الجزائريون منذ الفتح الإسلامي بالجزائر، أو سيتم اعتماد قوانين الدولة الاستعمارية المسيحية⁽¹⁰⁾.

لهذا اهتمت السلطات الاستعمارية إلى طريقة اقرب للحصول علي نتائج عاجلة للسياسة الاستعمارية، لا تمت بصلة مباشرة لا للمجتمع ولا للحضارة الفرنسية آنذاك، ولا إلى أسلوب الاستعمار البريطاني الذي أبى في ذلك الحين التدخل في أسلوب الحياة الاجتماعية للكثير من المجتمعات التي وقعت تحت يده في إطار الاستعمار، طبعاً باستثناء أمريكا التي تشبه إلى حد بعيد ما طبقه الفرنسيون في الجزائر، وقد وردت هذه الأفكار واضحة في نصائح دي توكفيل⁽¹¹⁾، بناء على تجربته في أمريكا الشمالية، ونصائح الكثير من منظري الاستعمار، عن طريق التغلغل داخل الأسر الجزائرية المسلمة وتفكيكها بواسطة العنصر الضعيف فيها، أو بتعبير آخر السهلة الانقياد، ومنها على وجه الخصوص النساء و الأطفال، تمهيدا لضرب الاستقرار العقائدي للمجتمع الجزائري ، والقضاء على دور الإسلام في تنظيم العلاقات الاجتماعية .

وبالفعل فقد فتحت الكثير من القضايا القانونية المرتبطة بالحياة الاجتماعية باب النقاش حول هذا الموضوع ، وخاصة فيما يتعلق بالقوانين بصفة عامة ، فمثلا أثارت

⁹ - حول الأحوال الشخصية ينظر: العربية المضادة من طرف سكان مدينة الجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسي . من أجل الدفاع عن حقوق القضاء الإسلامي ، بخصوص الاختلاف بين الحاكم العام وقاضي الملكية في شأن امرأة طلقها القاضي بالأحكام الإسلامية، ولكن أثناء العدة ارتدت المرأة وتنصرت، بعد أن تواطأ اليهود مع الإدارة وأخفوا المرأة عندهم ، إلى جانب الاعتداء على حرمت مقابر المسلمين ، وقد وقع على هذه الرسالة 29 شخصا من الجزائر وردت أسماؤهم في آخر الرسالة ، ويظهر أن هذا هو سبب نكبة القضاة المسلمين بالجزائر بعد الاحتلال كما نشير إليه لاحقا ، لا ندري إن كانت المرأة نفسها التي تتحدث عنها المؤرخة خديجة بقطاش ، أم أخرى ولكن الأرجح أن تكون أخرى لان القضية الأولى حدثت في العاصمة ، والثانية في البلدة ، ولكون الإدارة الاستعمارية ركزت علي العناصر الهشة في المجتمع آنذاك _ الأطفال والمرأة _ فان الأرجح أن تكون القضايا كثيرة في هذا الموضوع ، فمثلا إميلي دي فيلار التي اعتمدت على دعم أخيها في مجال التنصير بالجزائر ، كانت تحضي بدعم من العائلة المالكة نفسها خدمة للمشروع الاستعماري ، كونها من الطبقة الارستقراطية ، وعملت في الجزائر في بداية الاحتلال لمصلحة التنصير ، ينظر: جمال قنان، المرجع السابق ، ص 75-76.

¹⁰ - حمدان بن عثمان خوجة ، ص 239

¹¹ - ألكسي دي توكفيل ، ص ص 08-09.

قضية المرأة عائشة بنت محمد التي جاءت إلى الجنرال دي فوارول تطلب منه اعتناق المسيحية فرارا من معاملة زوجها، مشكلة بين الجنرال فوارول والمفتي ابن الكبابي والقاضي عبد العزيز، لهذا أرسلها دي فوارول إلى محافظة شرطة البلدية، وطلب منهم أن يقدموا لها الحماية من أذى أهلها من بعد التنصير، فحصلت علي الحماية اللازمة وأخذت تتعلم المبادئ الدينية الأولى للمسيحية ريثما تحصل على التعميد.

وقد اشتكى أهلها إلى القاضي الذي استنكر هذا العمل وذهب ليحتج لدى الجنرال، ولكن انطلاقا من مبدأ حرية المعتقد المعتمدة في القانون الفرنسي أجابه انه لا يمكنه إجبارها على اختيار ديانة معينة، ولما حاول إقناعها وإعادتها إلى بيتها أرسل فوارول بعض حرسه لحمايتها، فخرج القاضي وقال إن الديانة المحمدية لم تعد حرة في هذه البلاد ، وقد نتج عنه أن اتفق مع المفتي مصطفى بن الكبابي على إيقاف العمل احتجاجا على تنصير الجزائريين، ولهذا طردهما دي فوارول من مناصبهما، وعين أشخاصا آخرين بدلا عنهما، وهربت المرأة إلى فرنسا سنة 1836 رغم معارضة أهلها⁽¹²⁾.

موقف السلطة الاستعمارية من رجال العلم والدين.

لقد ارتبطت الهجرة الأوروبية إلى الجزائر بمشروع المجتمع الجزائري المعاصر من المنظور الفرنسي الضيق، والهادف إلى القضاء علي المجتمع الجزائري وإحلال مجتمع آخر محله ، كما ارتبطت أيضا بموقف السلطة الاستعمارية من رموز السلطة الدينية ، فعلي سبيل المثال قامت بنفي المفتي بابن العنابي في بداية الاحتلال، والذي يذكر عنه حمدان خوجة ما يلي: "...كان المفتي سيدي محمد العنابي رجلا نزيها وفاضلا، ذنبه الوحيد انه كان يكتب دائما إلى الجنرال كلوزيل يلومه على تصرفاته التي كانت تبدو له مخالفة لوثيقة الاستسلام وللقوانين الفرنسية ولحقوق الإنسان، ولكن الوالي كان عنيدا ،...وقد قبض رجال الدرك على المفتي وقادوه إلى السجن ،وتعرضت أسرته إلى جميع الاهانات بحجة أنها كانت تدبر مؤامرة..."

ثم يقول حمدان بن عثمان خوجة عن المهمة التي لفتت لابن العنابي ، أن الحاكم العام لفق له أمر تدبير مؤامرة مع القبائل ضد الفرنسيين، وقد استنتج بنفسه أن الإدارة الفرنسية أبعدت المفتي حتى لا يزعجها ويذكرها بالمعاهدة، وهكذا تم نفيه إلى الإسكندرية ، وعن هذا التصرف يقول حمدان خوجة أن هذا العمل الجائر جعل الناس كلهم

¹² - خديجة بقطاش ، صص 30_31.

يرتابون، خاصة السلطة التشريعية، والقاضي، والمفتي، فلم يعد أي واحد منهم يجرؤ على الكلام عن وثيقة الاستسلام أو الاحتجاج بها علي السلطات الفرنسية لتذكيرها بوعودها خشية من أن ينال مصير المفتي ابن العنابي⁽¹³⁾.

ولهذا فإننا نجد في احدي المراسلات الأخرى أن العلماء الأربعة بالعاصمة قد طلبوا مقابلة الحاكم العام من اجل الاتفاق حول بعض الأمور، ويبدو من خلال مجريات الأحداث أن الأمر يتعلق بالمسائل الدينية للمجتمع الجزائري، ودور الإدارة الفرنسية فيها، وقد ورد في هذه المراسلة التي كتبها القاضي بخط يده ما يلي: "...إلى معظم الأكرم... أما بعد فبموجب ما كتبه إلى حضرتكم أن العلماء الأربع من علماء الجزائر يريدون القدوم إليك والاجتماع بكم في الساعة العاشرة، من يومنا هذا فان أذنتم لهم في ذلك وذلك المزينة وان لم يظهر لك ولم يوافق غرضك في المجيء فلا بد أن نخبرنا بذلك ودام سرورك ..."⁽¹⁴⁾، يبدو من خلال هذه المراسلة أن الأمور ازدادت تعقيداً واتخذت منحنى آخر، وان العلماء والقاضي اتفقوا على ضرورة الاجتماع مع الحاكم العام فوجهوا له هذه الرسالة التي يظهر منها الغضب في جفاف الخطاب، بسبب ازدياد التدخلات الصارخة للإدارة الاستعمارية في مسائل الدين والمجتمع الجزائري أكثر.

فما هي النتيجة، نجد أن الأمور كانت واضحة منذ البداية وكما سبقت الإشارة إليه اتجهت السلطة الاستعمارية إلى القضاء على الأطر الدينية، فقامت بنفي مفتي المالكية، بعد أن أصبح لا يوجد مجال للاتفاق بينها وبينه في الكثير من المسائل وخاصة سنة 1843، وهي السنة نفسها التي عزل فيها المفتي من منصبه ثم تم نفيه إلى خارج الجزائر، وتعود أسباب الخلاف إلى طلب مدير الداخلية من المفتي إضافة حصص في الفرنسية لأبناء الجزائريين، ويفهم من كلام ابن الكبابي أن الإدارة كانت تبحث عن الأعداء للتخلص منه فيقول له في رسالته إليه: "...لقد طلبت مني أن أمر التلاميذ المسلمين يتعلم اللغة الفرنسية في مدارسهم خلال ساعة، وقد قبلت بذلك وطلبت الوقت لتفاهم مع المعلمين والإباء، لم يكذب يحن الوقت الذي أوفي فيه بوعدي حتى سارعتم بسجن قريب لي، وهو

¹³ - حمدان بن عثمان خوجة، ص. 227_229.

¹⁴ - FR .C AO M, GGA, 1H2

_ تحمل هذه المراسلة تاريخ 1832.

معلم أولاده الذي يقوم إلى جانبي في الجامع الأعظم، بل إنكم أوصيتم الحارس بوضعه في السجن المضيق، وأنا أشكركم على ذلك، لقد اجتمعنا عدة مرات وطلبت منك العفو عنه، فأجبت أنني سأطلق سراحه هذه الليلة، ومع ذلك فانك لم تطلق سراحه..."⁽¹⁵⁾.

في موضوع تعليم أبناء المسلمين أن المعلمين قد رفضوا ذلك بعد استشارتهم طبعاً كما قال إذا اخذ رأيهم في الموضوع وان كان بالقوة فلا رأي لهم في ذلك، فيقول أن الآباء يرغبون في تعليم أبنائهم القرآن، وتعليمه لا يتماشى مع تعليم آخر، ويقول عن الفرنسية بأنها مضرّة لأبنائنا، لأن اغلب الذين يعرفون الفرنسية في اغلب الأحيان يكونون مخمورين، ولا يودون الصلاة أو الصيام، ثم يقول أن من يريد تعليم أبناء المسلمين يجب أن يبقى في مكانه والذين يحبونه هم من يذهبون إليه والعكس، ثم يقول عن موقفه "...أما أنا فليس لي الحق ولا القدرة على إجبار أي احد، فانا مفتي وليس لي قوة إلا في الأحكام المستمدة من الشريعة والمسائل الدينية والتعليم العالي، ومن جهة أخرى فان نفوذي قد انهار الآن وليس لكلمتي وزن بعد سجن قريبي، وأخيراً فاني أول من يعارض أي إجراء يشغل الأطفال عن تعليم القرآن، واعترض على أي تعليم إلا التعليم العربي، وأما الآخرون فلا امنعهم ولا أمرهم بالتعلم، لقد هددموني بإبلاغ كلامي إلى السيد الوزير، فانا أقدمه مكتوباً بخط يدي فأرسلوه إليه كما هو بدون زيادة ولا نقصان."⁽¹⁶⁾.

وقد راسل مدير الداخلية وزير الحربية في الموضوع، وابلغه بسوء تصرف المفتي وعدم هضمه للموضوع، وقد جاء في رسالته الاقتراح بنفي المفتي من الجزائر، ذلك انه عارض قرار الوزير الصادر بتاريخ 24_12_1842 الخاص بتعليم أبناء الأهالي اللغة الفرنسية في مدينة الجزائر والهادف إلى تحضير هؤلاء لكي تستفيد منهم فرنسا لاحقاً، وإلى غاية افريل من السنة الموالية 1843_ لم يستجيب المفتي لأمر الإدارة، ثم يقول صاحب التقرير أن هذه المعارضة تفرض أمامنا حلين، إما التخلي عن القرار، وإما تأجيله إلى أي وقت لاحق، لكن هذه المعارضة لا يجب أن تبقي بدون عقوبة لصاحبها والمحرك الأساسي فيها وهو المفتي، الذي عارض إلى جانب التعليم، إدارة الأوقاف الإسلامية، ثم يقول أن الظروف التي أحاطت بعصيان المفتي وأتباعه تجعل من الضرورة اتخاذ ردع

¹⁵ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث، الجزء الثاني، (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

(1986)، ص 44.

¹⁶ - نفسه، ص 45.

فوري بسبب سوء تصرف معلم اللغة العربية مع المفتش الذي ذهب لتعيين معلم اللغة الفرنسية وإهانتها للسلطة، وحتى أثناء مقابلة المفتي لمدير الداخلية كان رافضا للموضوع، وأخيرا كتب الرفض بيده ووضح نواياه المعادية لمساعي الإدارة في الموضوع، ولهذا اقترح إلى الوزير السماح للحاكم العام في الجزائر بإصدار العزل، ولتفادي الشغب وسط المسلمين طلب افتعال مشكل لإخراج المفتي من الجزائر، أو إصدار أمر صريح بنفيه مع معلم اللغة العربية إلى جزيرة سان مارغريت، ولم يبدي الوزير معارضة في مسألة النفي بل ما كان عليه إلا أن صادق عليها⁽¹⁷⁾.

وقد جاء في نص الوثيقة الصادرة عن الحكومة العامة والموجهة إلى الجزائريين لإعلامهم بنفي المفتي ما يلي : " اعلم إن الشيخ مفتي المالكية بمدينة الجزائر قد انعزل من وظيفته، ومنتهي بأمر الحاكم بجزيرة يقال لها سانت مارغريت وهي من بلد فرنسا وبغرب مدينة طولون⁽¹⁸⁾، سبب ذلك القضية هو أن الشيخ المفتي المذكور قد عصا عن الأمر الذي كان أعطاه له سعادة وزير الحرب، وهذا الأمر ما كان إلا في منفعة سائر المسلمين".

وفي نفس الوثيقة تم الحديث عن نفي مدرس الجامع الكبير، وقد ورد فيها عن هذا الشيخ انه: "...وكذلك انعزل وانتفا الشيخ المسيد أمتاع الجامع الكبير بحيث أن كمثل الشيخ المفتي المذكور عصا عن أمر سعادة وزير الحرب، وأما البايلك لا يريد إلا الحسنه ومنفعة دين الإسلام، فأجل ذلك الحكام ينظرون بالحين في واحد الراجل طالب علم ليتسعي في منصب مفتي سادات المالكية، ويعينوا له شهرية تكون مناسبة مع الفضل وتكريم الوظيفة..."⁽¹⁹⁾.

وبعد إبعاده إلى مرسيليا وقبل أخذه إلى جزيرة سان مارغريت، راسل المفتي الحاكم العام يستعطفه في أن يسرحه إلي بلد من بلدان الإسلام من غير الجزائر، ليجتمع مع

¹⁷ - أبو القاسم سعد الله، ص 47_48.

¹⁸ - تقع جنوب فرنسا قبالة ساحل مدينة كان، لا تبعد كثيرا عن مدينة نيس، وتبعد أيضا بحوالي 250 كلم عن مرسيليا، كانت في ذلك الوقت ومازالت لحد الآن جزيرة غير مأهولة، ولكنها سياحية الآن، بها مقابر للمسلمين بالبحري آنذاك الجزائريين الذين شاركوا إلى جانب فرنسا في حرب القرم.

¹⁹ - FR، C.AO M، GGA، 1H1.

- لم تنصرف في الوثيقة بل أوردناها كما هي، تجنأ لأي إخلال بالمعنى.

أهله في تونس للقاء ثم الرحيل إلى المشرق فيقول : "...إلى سعادة الوزير الأعظم...فهذا الكتاب من الفقير مصطفى بن محمد الذي أمرت بإخراجه من الجزائر، فتراه وصل إلى مرسيلية وهو يطلب فضلك وجودك وإحسانك أن تمن عليه وتأذن له أن يذهب إلى بلاد من بلاد المسلمين مثل إسكندرية أو طرابلس أو تونس، ليسهل عليه اللقاء بأولاده وعياله ليذهب بهم معه إلى أرض الحجاز مكة والمدينة ، لأنني كبير في السن ولم أحج، وان زاد فضلك على وإنعامك تكتب لي ورقة إلي (فناطر) البلد التي أذنت لي فيها ليكونوا في عوني والله سيعينك ويزيد في عمرك ..." (20).

وفي مراسلة ثانية إلى نفس الوزير جدد المفتي طلبه واستعطافه له فقال: "...إلى سعادة الوزير الأعظم...من العبد الحقير الضعيف مصطفى بن محمد كان مفتي المالكية بالجزائر، واليوم تحت قهرك بمرسيلية يستعطفك ، ويطلب حنانتك وشفقتك وعفوك وسماحتك ، فان شاء الملوك إذا غضبوا سمحوا ، وإذا استعطفوا فرحوا وسمحوا ، وأنا من يطلب جودك وإحسانك وسطوتك وأمانك أن تجود على بالتسريح إلى بلد من بلاد الإسلام غير الجزائر ، لنبعث إلى أهلي وأولادي يأتوني ونجتمع معهم ، ونذهب إلى ناحية المشرق، ويزول حزنهم فاني كثير الأولاد وأنا شيخ كبير قريب إلى الموت...وهذه مزية عظيمة لا يفعلها إلا من هو مثلك..." (21)

ويبدو فيما بعد أن الحاكم العام قد استجاب لطلب المفتي في فترة وجيزة قبل نهاية شهر جويلية من نفس السنة، وسمح له بالذهاب إلى الإسكندرية في نفس الشهر الذي راسله فيه المفتي للمرة الثانية، أي في شهر جويلية 1843، ولهذا نجده جد مسرور بذلك، أي بإبعاده عن بلده، والسماح له بمجرد الذهاب إلى الإسكندرية فيقول : "...حضرة سعادة صدر الدولة الفرنسية الأعظم...السلام التام عليه وعلى أهل حضرته، وهذا الكتاب منا إليكم نشكر مزيتك بعفوك وإحسانك حيث سرحتنا وأذنت بذهابنا إلى بلد الإسكندرية ، لنجتمع مع أولادنا هناك فالله يجمع شملك ويعلي شانك وينفذ أمرك...وهذا ما يمكن من العبد الحقير مصطفى بن محمد مفتي مجاز بالجزائر..." (22).

20- نفس العلية .

21 _ FR . C AO M, GGA, 1H1

22 - نفس العلية .

والنتيجة هي أن الإدارة الاستعمارية قد اتخذت قرار نهائي في مسائل الدين الإسلامي والمجتمع، لهذا نجدها لم تتوان في التصدي ولو استدعي ذلك استخدام القوة لكل من تسول له نفسه معارضة أحكامها في قضايا المسلمين وشؤونهم الخاصة، والتي ظن الكثير من الجزائريين آنذاك أنها ستبقي بعيدة نوعا ما عن تصرفات الإدارة، لهذا نجدهم قد صدموا، فعلي سبيل المثال المفتي المالكي الذي تحدثنا عنها آنفا، ولم يهضموا الوقف إلا بعد أن وجدوا أنفسهم في المنفى.

- نماذج عن وضعية عامة المجتمع الجزائري عشية الاحتلال.

ولئن كان مآل مفتي المالكية والحنفية والقضاة _ الذين يمثلون نخبة المجتمع الجزائري _، النفي، والتشريد والإبعاد بالرغم من الرمزية التي تمثلها هذه الشخصيات لدي الجزائريين، فإنه يمكن ببساطة تصور ما حدث لعامة الناس، والتي تبدو طبقة هشّة في ظل وإهانته وإبعاد شخصياتها الرمزية، رغم أن هذه المرحلة قد شهدت اتساع دائرة المقاومة باسم الدين والوطن، وبالتالي فتحت الأبواب أمام باقي أفراد المجتمع للانخراط فيها، ولأن كانت نقمة على الكثيرين، الذين اغتنمت الإدارة الاستعمارية غيابهم للاستيلاء على أملاكهم وأراضيهم لخدمة المشروع الاستعماري الاستيطاني. ففي بعض المراسلات التي عثرنا عليها تدل في ظاهرها دون الغوص كثيرا في معانيها أن حالة الجزائريين العامة أصبحت مزرية، ففي احدي الرسائل إلى الحاكم العام ورد ما يلي: "...إلى الحضرة العلية الزكية الحليلة الوفية، التي إذا تعلق بها قلب فقير مسكين أخبرته وسرحته بالمساء أو الصباح رضية، أما بعد أخبرك سيدي وسلطاننا الأعظم وجنرالنا الأكرم أدامك سطوة وعزا، أخبرك أنني فقير طالب درويش أطلب منك أن تسرحني إلى تونس لتلقى ولد عم يتكرم على بنصيب، لان عنده نصيب من الدنيا، والفضل والجود منك تطلقني إني فقير محتاج أميرنا... " (23)، نماذج هذه الرسائل لا تعد ولا تحصي، وان دل هذا على شيء إنما يدل على الوضع المزري الذي آل إليه الوضع العام للجزائريين جراء سقوط إدارتهم المركزية، وانهياب الوضع الاقتصادي للبلاد، مما ساهم أكثر في نشر الفقر والتسول والتشرد.

- السلطة الكافرة والدين الإسلامي، وعلاقتهما بهجرة الجزائريين.

-نفس العلية. 23

من خلال نظرة تحليلية وبسيطة بخصوص المشروع الاستعماري في بداية الاحتلال، نجد أن السلطة الاستعمارية كانت تستهدف مرحلتان أساسيتان في احتلالها للجزائر، المرحلة الأولى تتمثل في القضاء على كل من ابدي المقاومة من الجزائريين، أما المرحلة الثانية فقد سطرته للقضاء على مقومات هذا المجتمع وإذابته تدريجيا داخل الحضارة الفرنسية، ولكن دون إذابة الحواجز بين الأوروبيين والجزائريين، فهؤلاء يشكلون طبقة النبلاء في المجتمع الجزائري الجديد، والآخرين ونقصد بهم الجزائريون يشكلون طبقة الاقنان لدي السادة الإقطاعيين أي الطبقة الثالثة أن صح هذا التصنيف.

ولهذا فقد فرض الوضع الجديد الذي عرفته الجزائر بعد الاحتلال نتيجة السياسة الاستعمارية الاستيطانية⁽²⁴⁾، وما حملته من تغيرات جذرية مست جميع مناحي الحياة في الجوانب السياسية؛ الاقتصادية؛ الاجتماعية؛ الثقافية؛ والدينية، على الجزائريين فرادى وجماعات الاختيار بين حلين، إما أن يقيموا تحت سلطة الاحتلال، ويمثلون لقوانينها وتنظيماتها الغربية عن ثقافتهم وأنظمتهم وديانتهم، أو الخروج من تحت سلطتهم للإقامة في ظل أنظمة مشابهة للتنظيم السياسي، والثقافة الدينية التي ألفوها بالجزائر.

وفي هذه الحالة وجدوا أنفسهم أمام حلين إجباريين أيضا في بداية الاحتلال، فإما الهجرة الداخلية للابتعاد عن سيطرة الاحتلال والالتحاق بالمناطق التي مازالت لم تقع تحت السيطرة الاستعمارية بعد؛ وهذا يعني الالتحاق بقوات المقاومة تحت قيادة الأمير عبد القادر آنذاك، وحول هذا الموضوع يجيب الأمير عبد القادر عن سؤال احدهم في وجوب الهجرة من أراض السلطة الكافرة إلي أراض السلطة الإسلامية بما يلي: "...فاني رايتك متعطشا إلى سماع ما لائمتنا من الكلام في هؤلاء الذين ركنوا للعدو...فاعلم أن الراكن إلى الكفار الداخل تحت ذمة أهل البوار احد رجلين، أما رجل كذب الله في ضمانه لرزقه...وأما رجل متكالب على الدنيا أصمه وأعماه حبا يريد الظفر بها سواء ذلك بالإسلام

²⁴- ينظر بعض شكاوي الأعيان بعد إبعادهم من الجزائر، منها رسائل مصطفى ابن الكباطي للحاكم العام، وينظر أيضا بعض الأحكام المطبقة في حق بعض الأعيان من العاصمة، ورسائل بوضربة حول نفس الموضوع إلى السلطات الفرنسية؛ وحول مسائل أخرى خلال العشر سنوات الأولى من الاحتلال، منها انتزاع أملاكه بالعاصمة ووضعها تحت تصرف الجيش.... في العلية :

. FR , C A O M , GGA , Carton 1H1.

أو بالكفر، وكلا هذين الرجلين لا يرجي صلاحهما ولا يؤمل نجاحهما... أما وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فهو باق إلى طلوع الشمس من مغربها...".

وفي نفس الموضوع يذكر عن بقاء البعض تحت سلطة الاحتلال فيقول: "...ومن شنيع حرق هؤلاء وضعف عقولهم أنهم يسمون طاعتهم للكافر مهادنة... كيف وأحكام الكافر وشرائعه وتصرفاته جارية على شريفهم ووضعهم، ويؤدون إليه المغارم، ويحملون أثقاله إذا أراد الغزو على المسلمين، ويقاتلونهم معه في جماعة عساكره وجيوشه، هذا والله الهذيان الذي لا يعقل...".

نلاحظ أن الأمير عبد القادر في هذا النص إضافة إلى ما وضعنا فيما يتعلق برأيه في موضوع الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام قد استعان بما ورد في بعض الأحاديث والآيات الكريمة، ودعمه بما ذكره عبد الكريم المغيلي، وابن الحاج التجيني الأندلسي وغيرهم في هذه الفتوى⁽²⁵⁾، ولا تعني هذه النصوص الهجرة الداخلية فقط وإنما تشمل أيضا الهجرة الخارجية في حال سقوط الدولة الإسلامية أو انعدامها، وفي هذه الحالة يكون باب الهجرة مفتوحا لالتحاق بالدول الإسلامية، وخاصة البلدان التي كانت مازالت واقعة تحت سلطة الدولة العثمانية.

وللتذكير فقط فإن موضوع هجرة الجزائريين طرح للنقاش بين العلماء الجزائريين منذ بداية الاحتلال، وخاصة بعد المساس بالرموز الإسلامية في الدولة، والبدء في تنفيذ مشروع التنصير، وفي نظر البعض فإن الهجرة في هذه الحالة أصبحت واجب ديني نتيجة الوقوع تحت حكم سلطة كافرة، لم تعد تحترم المقدسات الدينية للمسلمين، وأكثر من هذا أصبحت تتناقض مع تعهداتها التي قطعتها للمسلمين باحترام مساجدهم، وأماكن عبادتهم وأولياهم.

إلا أن البعض برر إقامته تحت هذه السلطة ومنهم ابن الشهيد⁽²⁶⁾، بعدة أسباب مثلما يبدو في هذا النص، والذي رد فيه ابن الشهيد على مراسلة أحدهم يستنكر بقاءه ابن الشهيد وبقاء الكثير من المسلمين تحت السلطة الكافرة بما يلي: "...فقد وصلتنا رسالتكم التي أطنبتم فيها وأوجزتم وأظهرتم علينا وأضمرتم، ومن سبنا صريحا والتزاما

²⁵ - جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007)، 142_144.

²⁶ - يذكر الدكتور جمال قنان، أن هذا النص مخطوط، يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1305، أورده محمد

بن عبد الكريم الجزائري، في خضم حديثه عن حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الجزائر، 1981.

أكثرتم ، ثم تحومون فيها حول تكفيرنا بسبب مكثنا في هذه البلدة ، وعدم انتقالنا فرشقتموننا بسهام واهية أنشأتها تخيلات وأوهام هي عن إتباع الحق ساهية...عمدتم إلى تكفيرنا من غير إسناد لدليل تقوم به الحجة...إنما هي في حق من كان قادرا على الهجرة وتركها، أما من كان عاجزا كأمثالنا فلا تنهض عليه بالحجة والعجب منكم، وانتم من ذوي التحصيل حيث ارتكبتم الإجمال في محل التفصيل..."⁽²⁷⁾.

وحول موضوع التمكّن من إقامة الدين في الجزائر بعد الاحتلال فإنه يذكر ما يلي: "...وكيف ندعي إننا متمكنون من إقامة ديننا مع هدم المساجد، وتعطيل البعض الأخر، وحفر المقابر إلى غير ذلك...وكان من حقكم أن تسالوا عن سبب مكثنا في هذا البلد، هل هورضي بالكفر ومحبة في معاشرة أهله ؟ ، أو هو لغير ذلك؟، كيف يتصور في أذهانكم إننا نرضي بالكفر ومحبة في معاشرة أهله ،وقد غلت أسعارنا وتقطعت صنائعنا ، وأنهدمت حوانيتنا ، وتعسرت مكاسبنا ، وحفرت مقابرنا ، ونبشت ضرائح أوليائنا وما حصلت هذه الأشياء إلا بسبب دخوله...فحينئذ فان عدم ارتحالنا هو لعجزنا..." .

وعلى حسب ما ذكره ابن الشاهد فان الكثير ممن استطاع الهجرة من ذوي الأموال في بداية الاحتلال ترك البلاد وهاجر، وذكر أيضا أن الناس في البلاد قاطبة على نية الارتحال والخروج، نتيجة السياسة الاستعمارية التي طبقها ممثلو إدارة الاحتلال في البداية.

وحول وجوب الهجرة والظروف التي تجب فيها، وعن أسباب عدم هجرة الطلبة وبعض العلماء، ووضعية بعض الجزائريين في بداية الاحتلال ذكر أن: "...الطلبة لا حرفة لهم، وإنما يكتسبون من الأعباس...فكيف يتيسر له مع هذه الحالة الهجرة... لأن الكثير من ذوي الأموال سافر من هذه البلدة برا وبحرا شرقا وغربا...وهذه البقية اختلفت أسباب تأخرهم فمنهم من له عقار يريد بيعه...ومنهم من له عائلات كثيرة...فالناس قاطبة على نية الارتحال والخروج وكل يتريص..." .

ويتضح أن الهجرة في بداية الاحتلال كانت هجرة نوعية، من خلال ما ذكره ابن الشاهد متجهة أكثر نحو الخارج ، وخاصة نحو الدول الإسلامية⁽²⁸⁾، كما سيتضح لاحقا

²⁷ - ينظر: جدال حول الهجرة، رسالة ابن الشاهد، جمال قنان، ص 136-141.

²⁸ - ينظر الطلبات المقدمة من مفتي المالكية وابنة مدرس الجامع الكبير العلية.

من مطالب الكثير من الجزائريين الراغبين في الخروج من البلاد ، ولكن بشرط الذهاب نحو بلاد إسلامية ، وخاصة تلك الواقعة تحت حكم الإدارة العثمانية في ذلك الوقت ، كون الدولة العثمانية تمثل لهم رمز السلطة الإسلامية آنذاك ، والنموذج الذي كان معروفا في الجزائر، ولهذا نجد أن الهجرة شملت في البداية أصحاب الأموال وإطارات الدولة العثمانية السابقة بالجزائر ، وقد ظل هذا النوع من الهجرة قائما مع ازدياد واستمرار وطأة الاحتلال بالجزائر، وشمل أيضا المنفيين نحو فرنسا من المتهمين والإطارات السياسية والدينية، والذين قدموا طلبات للإدارة الاستعمارية للاستفادة من الالتحاق بدول إسلامية من غير الجزائر .

خاتمة.

نستنتج مما سبق أن مشروع الدولة الفرنسية بالجزائر قد أنبني أساسا على جانب واحد ، وهو مصالح الاستعمار بالدرجة الأولى ، ثم مصالح المعمرين بالدرجة الثانية، دون الأخذ بعين الاعتبار مصالح المسلمين التي هي أساسا تتعارض مع مصالح الدولة الاستعمارية، ليس في الجانب الديني فقط ، وإنما في مختلف جوانب الحياة العامة للجزائريين، كما أن الإدارة لم تراعى مشاعر الجزائريين لا في الجانب الديني ، ولا في شخصياتها الرمزية الممثلة في رجال العلم والدين ، بل كانوا أول من تعرضت لهم بالنفي والأبعاد ، قصد قص أجنحة المجتمع عامة وجعله يخضع للإدارة في كل ما تمليه عليه دون ادني قيد ولا شرط ، والسؤال المطروح هو هل تحقق لها ذلك بسهولة ؟، الإجابة هي انه من الأكيد لا ، أو على الأقل ليس بالسهولة المتوقعة، وهذا يحتاج لدراسة أخرى لمعرفة كيفية تعامل المجتمع الجزائري مع الإدارة الفرنسية في هذه الجوانب.

قائمة المصادر والمراجع.

1 - المصادر. أرشيف أكس أون بروفانس فرنسا .

- 1 _ مخططات المدن المنشأة حديثا بسهل متيجة ، ينظر 4 M بالأرشيف الفرنسي فيما وراء البحار باكس أون بروفانس . Aix en Provence .
- 2_ FR , C AOM, GGA, F 80 _1625, N 6094, 12Juillet 1845.
- 3_ FR , C AO M, GGA, 1H1.
- 4_ FR , C AO M, GGA, 1H2 .

1 - المراجع.

- بقطاش خديجة ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830_1870.(منشورات 1_دحلب، الجزائر، 2007)، ص15_17
- 2 _ ألكسي دي توكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة إبراهيم صحراوي،(ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008)، ص 129.
- 3 _ واعلي محمد الطاهر ، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904.(منشورات دحلب، الجزائر) ، ص 32_33.
- 4 _ خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري،(منشورات، 2005، الجزائر) ص 220
- 5 _ سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث ، الجزء الثاني،(المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986)، ص 44.
- 6_ جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007)، ص ص142_144.

محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها

د/ حسين محمد الشريف جامعة المسيلة

الملخص:

محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها 1926م-

1948م:

كان محب الدين الخطيب من كبار المفكرين والكتاب الذين اهتموا بقضايا العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية 1924م. ومن أهم المتبعين للإصلاحات التي شهدتها دوله المستقلة آنذاك "1926-1948م" ومنها أفغانستان التي لم يكن بعيدا عن أحداثها وعمّا يسمى بالإصلاحات التي حاول ساسته تطبيقها قدوة بتركيا العلمانية. وهذا ما حاولنا توضيحه في هذا المقال التاريخي مبينين أنّ الخطيب الكاتب والمؤلف والناشر المسلم الهادئ، لم يكن وقتها ليقف موقف المتفرج على ما يجري في تركيا التي أدارت ظهرها للإسلام والمسلمين وأفغانستان وغيرهما من البلاد الإسلامية الأخرى.

Résumé :

Mohib Eddine El Khatib et sa position envers les réformes en Afghanistan de 1926 à 1948:

Mohib Eddine El Khatib était l'un des plus grands écrivains intellectuels qui se sont intéressés aux différents événements qui se sont passés dans le monde musulman après la chute du califat ottoman en 1924. De plus, il était l'un des plus importants personnages suivant de près les réformes que les états indépendants ont connu durant cette période et parmi ces pays on peut citer l'Afghanistan et les soi-disant réformes que les hommes politiques de ce pays essayaient de lui trouver et le référent était le modèle turc basé sur la laïcité. Dans cet article on a voulu éclaircir que l'auteur El Khatib, le musulman calme et rebelle n'avait pas pris une position de spectateur sur ce qui s'est passé durant l'époque en Turquie et cette dernière a tourné le dos à l'islam, aux musulmans et à d'autres pays musulmans.

Summary of the article written by Mohib Edine El Khatib and his position towards the reforms that occurred in Afghanistan between 1926 and 1948:

Mohib Edine El Khatib was one of the most famous writers and intellectuals who were interested in events happening in the muslim world. After the fall of the ottoman caliphate in 1924. In addition , he was one of the most important individuals who were closest to the reforms evolutions that the independent states witnessed during that period of time, and among those countries we can find Afghanistan. The so called reforms that politicians were trying to find a referent and the Turkish model based on " Laicity ". In this article, we wanted to show that the author El Khatib the quiet rebel muslim did not take a position of an outsider eye on all what was happening during that period of time in Turkey . This latter ignored Islam and muslims in Afghanistan and also the other muslim countries.

مقدمة:

لم يكن محّب الدين الخطيب* بعيداً عن أحداث أفغانستان وأحوال المسلمين هناك، فلقد كان يحاول التقاط أخبارها من وكالات الأنباء والصحف المختلفة، إضافة إلى المراسلات الواردة إليه من أفغانستان⁽²⁾ ممن يجمعهم به الساسة حبّ المعرفة والتعارف وحتى السياسة والعلماء الذين كانوا يزورون مصر بين الفينة والأخرى وإذا كان ما كتبه قد يوصف بالقليل فذلك ناتج عن طبيعة تلك البلاد الجبلية والقاسية والتي تتناثر مدنها هنا وهناك مع صعوبة المواصلات وعدم وجود الطرق التي تسهّل الانتقال ووصول الأخبار.

وبلاد أفغانستان هي بلاد منحوتة في الصخور من الجبال مساحتها 652400 ألف كلم⁽³⁾ يحدّها شمالاً طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان وطول حدودها 1937 كلم، منها 1200 كلم مع الاتحاد السوفياتي قديماً ونهر جيحون ومن الشرق والجنوب باكستان وغرباً إيران ومن الشمال الشرقي الصين⁽⁴⁾. «تركستان الشرقية المستعمرة من طرف الصين».

* محّب الدين الخطيب: سوري النشأة ولد في دمشق عام 1886م وتوفي بالقاهرة عام 1969م، التحق بكلية الآداب والحقوق في اسطنبول عام 1905م، أسس بها رفقة الأمير الشهابي جمعية النهضة العربية عام 1907م، لاحقته السلطات العثمانية لنشاطه القومي فهرب إلى اليمن ثم عادة إلى سورية بعد الإنقلاب العثماني عام 1908م بعدها هاجر إلى مصر عام 1909م، شارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م وحرر جريدة القبلة الناطقة باسمها ثم تولى رئاسة تحرير جريدة العاصمة في العهد الفيصلي بسورية التي غادرها إلى مصر، أنشأ في مصر مجلة الزهراء ثم صحيفة الفتح 1926-1948م، كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين عام 1928م بالقاهرة، سخر قلمه وفكره لخدمة القضايا العربية والاسلامية عقب سقوط الخلافة العثمانية عام 1924م. (أنظر مذكرات محّب الدين الخطيب التي نشرها الدكتور صالح الخرفي لأول مرة في حلقات عديدة في مجلة الثقافة التي كان يشرف عليها ابتداء من العدد: 6 الصادر في ذي القعدة 1391هـ - يناير 1972م وما يليه).

(2): راجع في ذلك الفتح العدد 130، ص 12، الدايلي تلغراف في الله آباد بالهند، الفتح، العدد 143، ص 5، وجريدة إصلاح الأفغانية، العدد 143 والعدد 177 ومجلة الجامعة العربية عن جريدة النور للأهوية الهندية، الفتح، العدد 120، ص 7، العام 1928م، وصحف المقطم وغيرها.....

(3): MIKE BARRY, AFGHANISTAN, Petite Planète, Tardy Quercy, Auvergne A Bourges-Paris 6°, France, 1974, P. 186.

(4): نفسه، ص 11.

سميت في العصور القديمة «أريانا» وفي القرن الخامس الميلادي «خراسان» أي بلاد المشرق وفي القرن التاسع عشر عرفت باسم «أفغانستان» أي أرض الأفغان⁽⁵⁾، وصفها الجغرافيون باسم سقف العالم نظرا لارتفاع جبالها الذي يصل إلى 6059 مترا⁽⁶⁾.

تتكوّن بشريا من عدة قوميات، الباشتون، والطاجيك والأوزبك والبلوش^(*) «العرب» والهزارة « ذوي الأصل المغولي» والفورستان والباشير الأفغاني والتركماني. وفيها عشرون لغة غير أن المعتمد منها الباشتو وهي خليط من الأوردية والعربية، واللغة الدرّية وهي مزيج من العربية والفارسية وتكتب بالحروف العربية⁽⁷⁾.

وأما فاتح أفغانستان فهو المهلب بن أبي صفرة كما يقول البلاذري في كتاب "فتوح البلدان" عام 44هـ/ 664م وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث انتصر على الأفغانيين بعد قتال مرير فظفر وغنم، ثم ولي هشام بن عمر الثغلي مهمة فتح "قندهار" فأخصبت البلاد في ولايته فتركوا به ودوخ الشعر واحكم أموره. وهذا وصف البلاذري لما حصل.

وفي تاريخها القديم جاءها الإسكندر المقدوني عام 330ق.م واستقر خلفاؤه فيها لمدة 200 عام⁽⁸⁾. وفي أواخر العهد اليوناني انحدر الساكيون من جبالها الشمالية وشكلوا دولة "البارتيين" وفي عام 165ق.م قامت دولة "الكوشانيين" ودامت 125 عاما⁽⁹⁾.

(5): محمد العيد مطر، أيام في بلاد الأفغان، دار الشؤون الثقافية العامة "أفاق عربية" ط 1، بغداد، العراق، 1986م، ص 11.

(6): نفسه، ص. 12.

(*) البلوش: يتكونون من أربع وأربعين قبيلة وتتميز بتقاليدها وتواريخها وأنسائها وأسمائها عن الأقوام الأخرى القاطنة معها في إقليم بلوچستان. وهي تنحدر عن أبناء القُفس والقفص اليمانيين والشاميين وبعضها الأخر من نسل العرب البابليين والعرب الفاتحين الذين فتحوا، كرمان، ومكران وسيستان والسند ونشروا دعوة الإسلام. "راجع معن شناع العجلي الحگامي، بلوچستان، ديارالعرب، ط 1، ذي قار، العراق، 1399هـ/ 1979م، ص 1.

(7): نفسه.

(8): محمد العيد مطر، المرجع السابق، ص 17.

(9): نفسه.

وفي القرن 5 م قامت دولة "الهياطلة" وهم آريون كما يرى علماء التاريخ وامتدت دولتهم من كشمير الهندية شرقا إلى هراة، على أن البلاد عرفت حروبا بين الملك اليفتالي "أخشو نوار" والملك الساساني "فيروز" فانهمز الملك الساساني وعقد مع خصمه معاهدة سرعان ما نقضها وذلك في نحو عام 430ق.م. وتأرجح الحكم فيما بين المملكتين حتى جاء الإسلام إليها⁽¹⁰⁾ وكانت البداية أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأكمل معاوية المهمة على يد المهلب بن أبي صفرة فانتشر فيها الإسلام الذي لاقى قبولا وإقبالا، وعرفت البلاد قيام دول إسلامية منها "الطاهرية" ومؤسسها طاهر بن الحسين بن مصعب عام 205هـ / 820م. قائد جيش المأمون العباسي في حروب خراسان⁽¹¹⁾. والصفارية لمؤسسها يعقوب بن ليث الصفار عام 247هـ - 861م وخلفه أخوه عمر بن ليث الذي اصطدم مع الدولة السمانية لمؤسسها "أسد بن سمان" 261هـ- 874م والذي أسلم أيام المأمون بن الرشيد⁽¹²⁾.

والدولة الغزنوية في قلب أفغانستان والتي دامت من 912هـ / إلى 1187م وتلاها دولة السلاجقة والغوريين والخوارزمشاهيين إلى أن استولى المغول على خراسان وأثناء ركود دولتهم ظهرت الدولة الصفوية واستولت على هراة وقندهار وتعاقت دول أخرى على البلاد كدولة الهوتكين والإبدالين التي حكمت ما بين (1160- 1257هـ) (-1747م). وجاءت هجمة الإنجليز على كابل وقندهار وكان الفشل حليفها أيام حكم الملك محمد زائي ومن أشهر ملوك هذه السلالة نادر شاه ومحمد ظاهر شاه⁽¹³⁾.

وبعد الحرب العالمية الأولى وانتصار الشيوعية في روسيا وقضائها على النظام القيصري ، كان لأفغانستان الدور النشط في وقاية العالم الإسلامي من السقوط تحت سيطرة الروس أو الخضوع لسلطان بريطانيا الذي انتهى عام 1919م إلى انتصار ديبلوماسي أحرزته أفغانستان رغم هزيمتها العسكرية، إذ تخلت بريطانيا عن فكرة

(10): المرجع السابق نفسه، ص 18.

(11): نفسه، ص 19.

(12): نفسه.

(13): نفسه، ص 20.

الاستيلاء على تلك البلاد وكان على الاتحاد السوفياتي بدوره التخلي عن مشروع إدماجها ضمن الجمهوريات التركية السوفياتية التي أسسها⁽¹⁴⁾.

وقد حكمت السلالة المالكة تلك البلاد فبعد مقتل الشاه حبيب الله في ثورة 20 فبراير 1919م بقيادة أخيه نصر الله. خلفه ابنه أمان الله الذي وقّف إلى إخضاع ثورتي الألزاي في عام 1923م والمنتكل عام 1924م ومن ثم إخضاع الباتان الذين عاش كثيرهم في الهند تحت الحكم البريطاني⁽¹⁵⁾.

وقد ارتأى هذا الملك الشاب أن يتوجّه بالإصلاح داخل بلاده أسوة بما فعله مصطفى أتاتورك في تركيا ورضا بهلوي في إيران، والانتقال دفعة واحدة إلى دولة متمدّنة، مما أدّى إلى قيام ثورة 1928م أين كان في أوروبا يعدّ عدّة الإصلاحات الجديدة⁽¹⁶⁾ لتطبيقها في بلاده.

أ- الخطيب وموقفه من إصلاحات الملك أمان الله خان:

بلاد الأفغان التي تبعد عن مصر آلاف الكيلومترات وليس بينها وبين مصر وسائل للاتصال آنذاك ومع ذلك نرى الخطيب في مقالته: "الحرية في بلاد الأفغان"⁽¹⁷⁾ قد امتدّت أنظاره إلى تلك البلاد الإسلامية مهما بما يجري على أرضها وقد رأى الكماليين يتسلّطون على ذوي التوجه الإسلامي في تركيا ويكتمون أنفاس المؤذنين بـ "الله أكبر" وعقب ذلك ظهر في أفغانستان "أمان الله" حاكما لها فسار على نحو مصطفى كمال أتاتورك فيها هي زوجته تقبل الشبان المسلمين في باريس ثم في كابل⁽¹⁸⁾ ومع ذلك فهو يرى بأنّ بلاد المسلمين المستقلة ثلاثة: إيران وجزيرة العرب وأفغانستان، أما إيران فشيوعية وأما السعودية فوهابية وأما بلاده أفغانستان فهي سنّية. ويتساءل الخطيب أية سنّية

(14): كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (أفغانستان في العصر الحديث) "نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 800.

(15): نفسه.

(16): نفسه، ص 810، وأنظر كذلك شكيب أرسلان، ثورة الأفغان، الفتح، العدد 132، 24 يناير 1929م، السنة 3، ص 8 - 9 - 10 - 11.

(17): محب الدين الخطيب، الحرية في بلاد الأفغان، الفتح، العدد 119، جمادى الأولى 1347هـ، 25 أكتوبر 1928م، السنة 3، ص 2 - 3 - 4.

(18): نفسه، ص 2.

هذه؟ وهل هي سنّة النصارى في طقوسهم و تقاليدهم البيئية والاجتماعية التي يريد أن يجبر أمته على إتباعها أم سنّة مصطفى كمال فيما يدعو إليه من إباحية وتهتك ومجاهرة الله بالعصيان؟⁽¹⁹⁾.

ويزيد تساؤله فيقول: «أين هما من الإيرانيين وتمسّكهم بالدين الإسلامي الذي منع شاه إيران من سبق نظيره إلى المنكرات»⁽²⁰⁾.

وقد استهل الخطيب مقالته بالترحم على الشهيد الشيخ "بير صاحب" أي المرشد الأعظم باللّغة العربية الذي سفك دماءه لأنه استنكر ظهور "ثريا هانم" حرم الملك أمان الله بين الرجال وتقبلها الشبان الأجانب عنها على مرأى من الناس وهو الرجل الذي له حرمة ومكانته وتعاف نفسه الشريفة أن يرى شعار الذين أذلّوا الإسلام موضوعا على هامات المسلمين⁽²¹⁾ وكذبوا حين أشاعوا عنه أنّه ضد تأسيس مصنع للأسلحة في بلاد الأفغان لأنه ممن يدعو إلى ما فيه قوة الحكومات الإسلامية متمسّكا بدعوة الله تعالى إلى الإعداد بكل أنواع القوة التي تقوّي شوكة المسلمين⁽²²⁾، ولقد كانت مؤامرة قدرة نفذها أعداء الإسلام⁽²³⁾.

وينتهي الخطيب إلى القول: «إنّ هذا كلام رجل يهذي وهذيانه دليل فشله، بل إقدامه على سفك الدم الطاهر دليل على أنّ أمامه عقبات صعبة لا يستطيع أن يجتازها بغير الأساليب التي يتبعها قطاع الطرق وسيعلم أمان الله خان، أنّ دم "بير صاحب" سينتصب أمامه في كل خطوة من خطواته وسيورده موارد التهلكة ومن يعيش ير...!»⁽²⁴⁾.

(19): المصدر السابق نفسه.

(20): نفسه.

(21): نفسه، ص 1.

(22): نفسه.

(23): نفسه، ص 2.

(24): نفسه، ص 3.

ب- وتحت عنوان: وقفة أمام كابل:

أشار الخطيب في مستهلّه إلى ما قاله الأمير شكيب أرسلان في حقّ فاتح "دهلي" وكشمير ولاهور "محمود بن سبكتكين" وتسميته له باسم "اسكندر الإسلام" وهو الفتح الذي تضاءلت أمامه الفتوح وأنتت عليه الملائكة والروح لأنّه حطّم الصنم الأعظم "سومناث"⁽²⁵⁾.

كما أشار الخطيب إلى أن المسلمين كانوا يرمقون "كابل" بعين الحرمة والإجلال ويعتبرونها القلعة المجيدة التي تمسّك جنودها بعهد الوفاء للإسلام وهذه العاصمة احتلّها رسل أنقرة دعاة الانتفاض والانتكاس وكادوا يخلعون عنها رداءها الإسلامي⁽²⁶⁾ غير أن الأمة الأفغانية ضاق صدرها بهم فتنحنحت وزمجرت وزحفت من كلّ حذب وصوب قاصدة "جلال آباد" فأرغمت أنف الشيطان فيها ثمّ تقدمت إلى "كابل" فقالت فيها كلمتها⁽²⁷⁾ ويرى الخطيب بأن دعاة الإلحاد مخذولون سواء علموا أو جهلوا والهداية الإسلامية لا خوف عليها لأن الله تكفل بحفظها⁽²⁸⁾. وما كان الله عليه حفيظا لا تقوى قوّة الشّر! على إبادته.

ويعقب الخطيب على ذلك فيضيف: "...نحن كنا أوفى لملك الأفغان يوم كنّا ننتقد برامج رسل أنقرة في كابل وكنّا أحرص منهم على رفعتهم وتثبيت أركان دولته يوم كنّا نقول: "إنّ الإصلاح يكون بنشر المعارف وتأييدها بالدين، وأن القوة بترقية الصناعة والاستعانة عليها برجال الدين، وأن السؤدد بحسن الإدارة وباستمالة قلوب الأمة إليها"⁽²⁹⁾.

مذكّرًا بأن الله تعالى أمر بالإعداد والاستعداد وهذا لا يكون إلّا بالمعارف الكونية والصناعات بأنواعها وما يلزمها من علوم وأن الإصلاح الحقيقي هو الذي يتناول هذا

(25): محب الدين الخطيب، وقفة أمام كابل، الفتح، العدد 127، 8 رجب 1347هـ، 20 ديسمبر 1928م، السنة

3، ص 1.

(26): نفسه.

(27): نفسه.

(28): نفسه، ص 2.

(29): نفسه.

اللِّباب لا القشور وأن الجمود والجحود هما مصدر الخطر ولا بد من التمسك بفضائلنا والاعتصام بميزتنا وخصائصنا⁽³⁰⁾ داعيا إلى وحدة الصف الإسلامي محدّرا من التفرقة ومنها إلى ضرورة مقاطعة ما يكتبه دعاة الانحراف والانجراف وراء التوجهات الأتاتوركية معربا عن فرحته العظمى وهو يرى "كابل" تفتح صدرها لدخول جنود الإسلام ثائرين غاضبين لهداية الإسلام التي أهينت بين جدرانها وناقمين على الخطط التي وضعت مناقضة لما تواصى به أقبالها⁽³¹⁾ "الذين يقرّرون ويبتون في الأمور الصعبة والمواقف الحرجة" الأوّلون كبرا عن كابر منذ عهد الفتح الأوّل على يد "محمد بن القاسم" إلى أن قام على عرشها الأمير عبد الرحمن راجيا أن لا يري المسلمين أيام النذلّ التي يقتصرون فيها على انكاره بالقلوب خاتما بهذا البيت الشعري.

إنّما الإسلام في الصحراء .: امتهد ليحيء كلّ مسلم أسد⁽³²⁾.

هكذا هو الخطيب عين ساهرة وتطلّعات منتظرة وتحذيرات معتبرة حدّر الملك الأفغاني من عواقب ما قام به من سفك دماء الرجل المؤمن الشريف "بير صاحب" وما سمح به لزوجته من تحدّي الأصول الإسلامية بما فعلته من تقبيل الأجانب عنها على مرأى ومسمع من الناس، وسيره في الطريق الأتاتوري المجاهر بعدائه للإسلام وهدايته مدعيا الإصلاح، مما جعل الرابطة الشرقية تنفي على خطواته معتبرة إياها تجديدا وتقدّما نحو الأفضل⁽³³⁾ وقد تصدى الخطيب لذلك. وألم يقل لأمان الله... وسيعلم أمان الله خان أن دم "بير صاحب" سينتصب أمامه في كلّ خطوة من خطواته وسيورده موارد التهلكة ومن يعيش ير⁽³⁴⁾.

لم يكن الخطيب وقتها يقف موقف المتفرّج على ما يجري في تركيا وأفغانستان بل نجده يقارن الوضعين ويبين الفرق الموجود بينهما فيقول: « والفرق بين مصطفى كمال الأصلي وبين القائم بتقليده هو أن الأصلي وضع خطة ورمى بها إلى نتائج معلومة

(30): نفسه.

(31): المصدر السابق نفسه، ص 3.

(32): نفسه.

(33): محب الدين الخطيب، دفاع الرابطة الشرقية عن شرور ملك الأفغان، الفتح، العدد 121، 8 نوفمبر 1928م، السنة 3، ص 8.

(34): محب الدين الخطيب، الحرّية في بلاد الأفغان، مصدر سابق، ص 3.

وهي الانتقال ببلاد تركيا من الإسلام إلى النصرانية، وأما مصطفى كمال المزيّف فشاب طائش أصبح العوبة بأيدي الكماليين وصنائعهم من الأفغانيين مثل غلام جيلاني ومحمود طرزي فهو أداة مسيرة يلعبون بها كيفما يشاؤون...»⁽³⁵⁾.

ويعلق الخطيب على ما أراده ملك الأفغان من تحقيق نقلة بشعبه بإزالة الفوارق بين مجتمعهم و مجتمع الأوربيين المسيحيين الذين لا تعدّد للزوجات عندهم ولا ارتداء الحجاب أو اتخاذ العمائم كغطاء للرأس فقال: «...ويأخذ شعار النصارى ويجبر سكان بلاده المسكينة على ترك زيّهم القومي والمليّ والتزيّي بشعار الأمم التي أذلت المسلمين وسلبتهم استقلالهم وابتزت أموالهم وجعلتهم تحت تصرّفها في الكبيرة والصغيرة...»⁽³⁶⁾.

حتى أنهم اتخذوا يوم 16 أغسطس 1928م يوم عيد للاستقلال مما جعل الخطيب في حيرة من أمر أولئك متسائلا: "...ولا ندري أي دولة كانت حاكمة لبلاد جدّه عبد الرحمن خان فجاء هو فأناها استقلالها!..."⁽³⁷⁾.

ولم يكتف الخطيب بما وصله من أخبار وأنباء عن الملك أمان الله خان وما قام به من خطوات غريبة منكر الإمامة والجهاد والزكاة والمحاكم الشرعية بل فتح الخطيب المجال ونقل مقالا للكاتب محمود نديم المصري الذي عمل معلما بمدرسة دار المعلمين بكابل ومعاشرا للأفغان مدة 16 عاما⁽³⁸⁾. الذي بين فيه بأنّ أكثر الثائرين على الملك هم من الشنواريين والإفريديين والمعويديين والمهمنديين المشهورين بالقوة والشجاعة والذين دوّخوا الهنود في أعوام قد مضت مبيّنا شدة تمسك الأفغانيين باللّحي واعتبار حلقها

(35): محب الدين الخطيب، مصطفى كمال في بلاد الأفغان، الفتح، العدد 111، 30 أغسطس 1928م، السنة الثالثة، ص- 8.

(36): نفسه.

(37): عن تقليد أمان الله خان للأوربيين في احتفال رسمي، أنظر رسالة نشرها المقطم بقلم مكاتبها في الهند، العدد الصادر يوم 22 أغسطس 1928م. "و أنظر كذلك، أفغانستان، شعر، الفتح، العدد 173، 14 نوفمبر 1929م، السنة 4، ص 3.

(38): محمد نديم المصري، حقيقة الحالة في أفغانستان، الفتح، العدد 130، 29 رجب 1347هـ، 10 يناير 1929م، السنة الثالثة، ص 12.

كفرا، وموضحا بأن في كابل ثلاث جمعيات سرية: الأولى ديمقراطية والثانية بلشفية والثالثة انجليزية وغالبية المنتمين لها من الجيش الذي ثار لعدم دفع رواتبه⁽³⁹⁾.

وأمام تشبث الملك الأفغاني بالتقليد الأعمرى للغرب بما يسميه إصلاحا وتصريحاته الاستفزازية لأبناء شعبه المحافظين من ذلك نبذة من خطبة ألقاها في حفلة تكريمية أقيمت له حيث قال: «...إني أجد من الشعب الأفغاني نفورا من هذا الإصلاح! ولذا فإنني مضطر بأن أسوقه بالسياط لقبوله. نريد أن نجاري الغربيين في عاداتهم وطرق معيشتهم وأن نضرب بهذه التقاليد الفارغة عرض الحائط. وليعلم كل متدين وعالم أنني سوف أكون عدوه اللدود وسأطرده حتى يهلك أو يصلح من أمره ويسير مع المدنية...»⁽⁴⁰⁾.

ثم يتباهى ويفتخر بنفسه أنه أول من جرأ على محاولة تغريب الشعب الأفغاني حيث يقول: «...أنا أعد نفسي سعيدا لأنني أنا أول من سيقضي على هذه الشجرة الخبيثة، شجرة الجمود وحفظ التقاليد في هذا البلد الأمين وأمل أن يساعدني الشعب في اقتلاع جذورها حتى يزول أثرها وتصبح أثرا بعد عين...»⁽⁴¹⁾.

إن الخطيب رأى في تلك التصريحات تصريحات ملك آخر الزمان "مصطفى كمال بلاد الأفغان على حد قوله" الذي سعى بكل ما أوتي من قوة تقليد أوروبا في عاداتها وطرق معيشتها فقط وهو بذلك يتمسك بالفرع دون الأصل وينزل بساحة بلاده الخراب العاجل⁽⁴²⁾. وإن ملك الأفغان بعمله هذا قد جنى جناية كبرى على شعبه هيئات أن يصلحها الدهر على رأي الخطيب⁽⁴³⁾ وانتهى إلى القول بعد وصول أخبار الثورة الأفغانية على الملك قائلا: «...سنرى ما يكون لحرب بين الكفر والإيمان...»⁽⁴⁴⁾.

(39): نفسه.

(40): محب الدين الخطيب، جناية ملك الأفغان على شعبه "رأي الهنود في تلك الأعمال الجنونية"، الفتح، العدد 120-18 جمادى الأولى 1347هـ/ 1 نوفمبر 1928، السنة الثالثة، ص 7.

(41): نفسه.

(42): نفسه.

(43): نفسه.

(44): نفسه.

وأمام هذا الوضع الاستفزازي المعادي لمقومات الشعب الأفغاني العريق ثارت ثائرتة على الأوضاع ولم يخضع إلى دولة تسعى إلى تغريبه وقد أشار الخطيب إلى ذلك قائلا: «...بأنه ثار على حكومة تصادفه في حريته الدينية وبلغ تفاقم الثورة إلى حد إرسال الجيوش لمقاومتها، وسنرى ما يكون من حرب بين الكفر والإيمان...»⁽⁴⁵⁾.

وأمام اشتداد الثورة ضد الملك الأفغاني أمان الله خان عاد هو وحرمة إلى الوطن من الزيارة التي قام بها إلى أوروبا لإعداد العدة للإصلاحات الجديدة أسوة بأتاتورك ورضا بهلوي في إيران⁽⁴⁶⁾.

والقضاء على الثورة التي اشتد عودها عام 1928م بقيادة "باجا ساقا" واختار لنفسه لقب "حبيب الله الثاني" بعد أن استخلص البيعة لنفسه. وقد نشر الخطيب له منشوره الشهير الذي جاء في الفتح تحت عنوان: منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي- والذي دعا فيه المسلمين في كل مكان إلى العلم بأنه قد تم اختياره ومبايعته من طرف العلماء والأشراف ورعايا العاصمة والولايات وجميع جيوش الملك الذين التحقوا به وبثورته⁽⁴⁷⁾.

وفي يناير 1929م اضطر إلى التخلي عن العرش ومغادرة البلاد إلى إيطاليا أين مات هناك عام 1960م⁽⁴⁸⁾. وتولى السلطة بعده ابن عمه الملك "نادرخان" الذي قبض على زعيم الثوار في "كابل" وأعدمه في أكتوبر 1929م.

ورغم أن الملك الجديد نادرخان حاول التخلي عما قام به ابن عمه من خطوات تغريبية وأعلن أن الحكومة الأفغانية الجديدة تسير على منهاج الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها بكل دقة وشدة كما تنشئ مجلسا قوميا لتمثيل الشعب ومجلسين لمراقبة الآداب العامة والمطبوعات والحركة التجارية والاقتصادية. كما أعلن مساواة

(45): المصدر السابق نفسه.

(46): كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية "مرجع سابق، ص 801.

(47): أنظر منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي، الفتح، العدد 143، غرزة ذي القعدة 1347هـ، 11-04-

1929م، السنة الثالثة، ص 5.

(48) : Mike Barry- AFGHANISTAN- édition Seuil. Paris- France- 1976. P. 158.

أبناء الشعب أمام القانون وضمان حقوقهم. وقد نشر الخطيب على صحيفة الفتح منشور الملك نادرخان نقلا عن جريدة "إصلاح" الأفغانية.⁽⁴⁹⁾

هذا وقد نشر الخطيب في صحيفته "الفتح" مقالة تعريفية بوزير أفغانستان المفوض في مصر من طرف حكومة أفغانستان بزعامة "نادرخان" وهو سعادة "محمد صادق مجددي" الذي اضطهده الملك أمان الله خان واعتقله و جاء تعيينه اعترافا بما له من مكانة بين رجال الأفغان، وما اتصف به من صلابة دينية إسلامية⁽⁵⁰⁾.

ويشير الخطيب إلى أن محمد صادق مجددي ألقى كلمة في رواق الأفغانيين بالأزهر الشريف معذرا عن عدم قدرته على الخطابة بالعربية الفصحى والإعراب عن صميم المحبة للحكومة المصرية وعلما الأزهريين داعيا إلى حسم البدع الشيطانية والتمسك بأداب السنة الشريفة خاتما كلمته بالدعاء لهداية سلاطين المسلمين وجعلهم في خدمة الإسلام⁽⁵¹⁾.

إن نشر الخطيب لكلام الوزير الأفغاني المفوض في مصر ناتج عن تقديره لإخوانه من علماء الأمة الإسلامية في أفغانستان وبيان لقرائه أن في العالم الإسلامي رجالا مؤمنين ومصلحين ينصرون قضية الإسلام ويعملون بتعاليمه⁽⁵²⁾.

هذا وقد حاول الملك نادرخان أوشاه (1929-1933م) رأب الصدع وتهدئه الأوضاع في البلاد إلا أنه أزيح عن السلطة هو الآخر وهيمن عليها الملك ظاهر شاه «1933-1973م» الذي عين هاشم خان كحاكم من 1933 إلى 1946م الذي التزم الحياد في الحرب العالمية الثانية، ونظرا لأسباب مرضية تخلى عن الحكم لشاه محمود عام 1946م، الذي عين الأمير داوود عام 1953م وزيرا أولا من أجل كسر عزلة

(49): منشور الملك نادرخان، الفتح، العدد 177، 10 رجب 1348هـ، 12 ديسمبر 1929م، السنة 4، ص5.

(50): محب الدين الخطيب، وزير أفغانستان المفوض في مصر، الفتح، العدد 196، 24 أبريل 1930م، 25 ذو القعدة 1348هـ، السنة 4، ص- 5.

(51): نفسه.

(52): راجع في ذلك مستقبل أفغانستان، الفتح، العدد 175، 28 نوفمبر 1929، السنة 4، ص6 وأنظر كذلك محب الدين الخطيب، كل عام وأنتم بخير واللغة الجديدة التركية وانتهاء الفتنة في بلاد الأفغان، الفتح، العدد ، 149، 30 مايو 1929م، السنة 3، ص 1 - 2 - 3.

أفغانستان⁽⁵³⁾. وقد قام هذا الأخير بتقوية روابط الصداقة مع الإتحاد السوفياتي خاصة بعد زيارة رئيسه خروتشوف لكابل⁽⁵⁴⁾.

وفي الفترة ما بين 1963م و1973م اشترط الملك ظاهر شاه استقالة داوود من السلطة ومنع أفراد العائلة المالكة من المشاركة في الحياة السياسية والهيمنة على السلطة لوحده⁽⁵⁵⁾، بعد أن سن دستوراً للبلاد عام 1964⁽⁵⁶⁾. وقد أقام علاقات دبلوماسية مع باكستان ورجح كفة علاقاته الخارجية من الولايات المتحدة الأمريكية مع الاحتفاظ بسياسة عدم الانحياز⁽⁵⁷⁾.

وقد عرفت البلاد في عهده مجاعات كبيرة وتخلف وابتزاز الأجانب لخيراتنا ناهيك عن الهيمنة الأمريكية⁽⁵⁸⁾ الأمر الذي أدى بالأمير محمد داوود إلى القيام بانقلاب عسكري ليلة 16 و 17 يوليو 1973م ألغى من خلاله الملكية وأعلن الجمهورية⁽⁵⁹⁾. وقد حاول هو الآخر القيام ببعض الإصلاحات إلا أن الشيوعيين قويت شوكتهم في عهده الأمر الذي أدى بهم إلى الانقلاب عليه بثورة دموية في أبريل 1978م بزعامة نور محمد طراقي ثورة رأى فيها الشيوعيون بأنها فتحت لـ 18 مليون أفغاني طريق التطور والمساواة والعدالة الاجتماعية⁽⁶⁰⁾.

إلا أن الرئيس نور محمد طراقي لم يهنأ بالسلطة وثورته حيث قام حفيظ الله أمين بالانقلاب عليه واغتياله⁽⁶¹⁾. وهو الآخر قام ضده ببارك كارمل بانقلاب عسكري

(53) : Mike Barry. O.P.C.I.T.- P :162.

(54) : I.D.E.M- P : 163

(55) : I.D.E.M

(56) : I.B.I.D- P: 185.

(57) : I.B.I.D- P: 166.

(58) : I.D.E.M- P: 164, 165.

(59) : I.D.E.M- P: 166.

(60) : Timour Gaïdar, [Correspondant de la Pravda] les amis et les ennemis de révolution AFGHANE. (60) : ((tire du livre-sous le ciel Afghan-Spoutnik- Avril 1983-* Agence de presse NOVOSTI- MOSCOU. U.R.S.S, 17e Année. P.104.

(61) : أ- بتروف، حول الأحداث في أفغانستان "عن البرافدا"، المدار، عدد 2، فبراير 1980م، وكالة الأنباء نوفوستي، موسكو، الإتحاد السوفياتي، ص 4. وأنظر كذلك أحمد منصور، رسالة بيشاور، أفغانستان، انقلاب

وطلب من الاتحاد السوفياتي بالتدخل عسكريا لحماية نظامه وقد تم ذلك فعليا في ديسمبر 1979م⁽⁶²⁾، حيث غزى السوفيات البلاد ودخلوا في حرب ضروس مع مجاهديها دامت عشر سنوات أرغمته على الخروج بخفي حنين كما تقول العرب في عام 1989م⁽⁶³⁾.

وهكذا تهاوى الحكم الشيوعي وتم القضاء على الرجال الذين ربطوا بلادهم بالاتحاد السوفياتي من طرف المقاومة الإسلامية الأفغانية التي دحرت السوفيات وجيشهم الأحمر كما دحر الإنجليز قبلهم حتى عرفت البلاد باسم "مقبرة الغزاة" ولم تفلح كل محاولات السيطرة قديما وحديثا، واليوم تعرف البلاد حربا لا هوادة فيها تقودها الولايات المتحدة وجيوش الاتحاد الأوربي والحلف الأطلسي التي تدفع الثمن باهظا من قتلاها، فالشعب الأفغاني عنيد وعزيمته وشكيمته قويتان وتمسكه بإسلامه لا يعرف التهاون والانصياع والرضوخ للأجنبي أيا كان، لأنه شعب متطّلع إلى الحرّية والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية متمسك بإسلامه، متفان في سبيل قضيتّه وتلك هي أفغانستان التي لم يهنأ في حكمها إلا المسلمون فلا الإسكندر المقدوني ولا جنكيز خان ولا تيمورلنك ولا قياصرة روسيا ولا الإنجليز ولا دولة السوفيات و حتى نابليون صدّته جبالها الوعرة وعاد من حيث بدأ.

كابل وأبعاد الصراع بين خلق وبرشم، المجتمع، العدد 958، 16 شعبان 1410 هـ، 13 مارس 1990 م، السنة 21، ص 17، 18.

(62): "أحيل القارئ الكريم إلى مطالعة كتيب ماذا ينتظر الاتحاد السوفيتي والعالم من نتائج... بعد التدخل في أفغانستان؟، افتتاحية في جريدة الثورة بحلقتين في يومي 3 و 4 يناير 1980م حول التدخل السوفيتي في أفغانستان، دار الثورة، بغداد العراق، 1980م، ص 3 وما بعدها".

(63): راجع في ذلك رفيق روؤف، بعد أن أزف موعدا الرحيل السوفياتي "شتاء كابول... الساخن، مجلة كل العرب، العدد 338، 13 فبراير 1989م، 7 رجب 1409هـ، ص 16 - 17 - 18 - 19.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- باللغة العربية:

1. أ. بتروف، حول الأحداث في أفغانستان "عن البرافدا"، المدار، عدد 2، فبراير 1980م، وكالة الأنباء نوفوستي، موسكو، الاتحاد السوفياتي.
2. أحمد منصور، رسالة بيشاور، أفغانستان، انقلاب كابل وأبعاد الصراع بين خلق وبرشم، المجتمع، العدد 958، 16 شعبان 1410 هـ، 13 مارس 1990 م، السنة 21.
3. جريدة إصلاح الأفغانية، العدد 143 والعدد 177
4. جريدة الثورة، "حلقتين" يومي 3 و4 يناير 1980م حول التدخل السوفيتي في أفغانستان، دار الثورة، بغداد العراق، 1980م.
5. رسالة نشرها المقطم بقلم مكاتبيها في الهند، العدد الصادر يوم 22 أغسطس 1928م.
6. رفيق روؤف، بعد أن أزف موعدا الرحيل السوفياتي "شتاء كابول... الساخن، مجلة كل العرب، العدد 338، 13 فبراير 1989م، 7 رجب 1409هـ.
7. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (أفغانستان في العصر الحديث) "نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.
8. مجلة الجامعة العربية عن جريدة النور للأهورية الهندية، الفتح، العدد 120، ص 7، العام 1928م، وصحف المقطم وغيرها.....
9. محب الدين الخطيب، الفتح العدد 130.
10. محب الدين الخطيب، الفتح (الدايلي تلغراف في الله آباد بالهند)، العدد 143.
11. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 111 (كمال في بلاد الأفغان)، 30 أغسطس 1928م، السنة 3.
12. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 119 (الحرية في بلاد الأفغان)، جمادى الأولى 1347هـ، 25 أكتوبر 1928م، السنة 3.

13. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 120 (جناية ملك الأفغان على شعبه "رأي الهنود في تلك الأعمال الجنونية")، 18 جمادى الأولى 1347هـ/ 1 نوفمبر 1928، السنة 3.
14. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 121 (دفاع الرابطة الشرقية عن شرور ملك الأفغان)، 8 نوفمبر 1928م، السنة 3.
15. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 127 (وقفة أمام كابل)، 8 رجب 1347هـ، 20 ديسمبر 1928م، السنة 3.
16. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 130 (محمد نديم المصري، حقيقة الحالة في أفغانستان)، 29 رجب 1347هـ، 10 يناير 1929م، السنة الثالثة.
17. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 132 (شكيب أرسلان، ثورة الأفغان)، 24 يناير 1929م، السنة 3.
18. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 143 (منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي)، غرة ذي القعدة 1347هـ، 11-04-1929م، السنة 3.
19. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 149 (كل عام وأنتم بخير واللغة الجديدة التركية وانتهاء الفتنة في بلاد الأفغان)، 30 مايو 1929م، السنة 3.
20. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 173 (أفغانستان، شعر)، 14 نوفمبر 1929م، السنة 4.
21. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 175 (مستقبل أفغانستان)، 28 نوفمبر 1929، السنة 4.
22. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 177 (منشور الملك نادرخان)، 10 رجب 1348هـ، 12 ديسمبر 1929م، السنة 4.
23. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 196 (وزير أفغانستان المفوض في مصر)، 24 أبريل 1930م، 25 ذو القعدة 1348هـ، السنة 4.
24. محمد العيد مطر، أيام في بلاد الأفغان، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط 1، بغداد، العراق، 1986م.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Mike Barry- AFGHANISTAN- édition Seuil. Paris- France- 1976.
2. MIKE BARRY, AFGHANISTAN, Petite Planète, Tardy Quercy, Auvergne A Bourges-Paris 6^e, France,1974.
3. Timour Gaïdar, [Correspondant de la Pravda] les amis et les ennemis de révolution AFGHANE. ((tire du livre-sous le ciel Afghan-Spoutnik- Avril 1983-* Agence de presse NOVOSTI- MOSCOU. U.R.S.S, 17e Année.

القضية الليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائرية"

*** م 1947 - م 1956 ***

أ. سعدية بن حامد . جامعة المسيلة

Résumé de l'article:

ملخص المقال:

colonne de observateurs deuxième Insights trouvailes politiques, culturelles, économiques et sociales diverses centrées sur une série de questions nationales, arabes et internationales, phénomène colonial en particulier conque entre les pays arabes et émettent la Jamahiriya était l'une de leurs préoccupations, ils veulent enfermer le voile sur les conséquences des colonialistes britanniques et ont révélé des manœuvres, de la vision totalitaire le processus éditorial, où je me trouvais deuxième position journaux Insights objurgation coloniale après chaque droit délivré ou action négative empêche les droits du peuple libyen et de leur liberté et de l'unité.

Enfin représenter Insights et récipient enregistrer historiquement le conflit en cours entre l'Algérie et le colonialisme d'une part, et le monde arabe et nation islamique, en particulier la Libye sœur dans son combat contre le colonialisme et le sous-développement, d'autre part

الراصد لأعمدة البصائر الثانية المتنوعة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية يجدها تتمحور حول جملة من القضايا الوطنية والعربية والعالمية، لا سيما محاربة الظاهرة الاستعمارية جملة في البلاد العربية والقضية الليبية كانت من اهتماماتها، فهي تريد إحاطة اللثام على مغبة الاستعمار الإنجليزي وكشف مناوراته، انطلاقا من الرؤية الشمولية في العملية التحريرية، حيث وقفت جريدة البصائر الثانية موقف المؤنب للاستعمار عقب كل قانون صادر أو إجراء سلبي يحول دون حقوق السكان الليبيين وحريتهم ووحدتهم.

وأخيرا تمثل البصائر وعاءا تاريخيا سجل الصراع الدائر بين الجزائريين والاستعمار من جهة، والأمة العربية والإسلامية ولا سيما ليبيا الشقيقة في معركتها مع الاستعمار والتخلف من جهة أخرى.

Article Summary:

Insights second column finds political observers, cultural, various economic and social centered on a series of national, Arab and international issues, the colonial phenomenon especially conch between Arab countries and emit the Jamahiriya was one of their concerns, they want to lock up light on the consequences of the British colonialists and revealed maneuvers, totalitarian vision of the editorial process, in which I found myself second colonial newspapers Insights objurgation issued after each negative action prevents law or the rights of the Libyan people and their freedom and of the unit.

Finally represent Insights container and historically record the ongoing conflict between Algeria and colonialism on the one hand and the Arab and Islamic nation, especially the sister Libya in its fight against colonialism and under development, of other part.

مقدمة :

لقد شهد الوطن العربي مع مطلع القرن العشرين حركة استعمارية واسعة ، كان لها الأثر البالغ في تحريك الوعي التحرري واستنهاض الهمم من جراء انتهاك سيادة الدول وكرامة شعوبها ومقدساتها ، فحملت النخبة المثقفة على عاتقها مهمة إيقاظ الرأي العام وتوعيته. وتبلورت أكثر بعد تنكر الاستعمار لوعوده لاسيما في الفترة ما بين الحربين العالميتين 1918م-1939م .

ففي الجزائر ظهر النشاط الإصلاحي بصفة رسمية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والتي اعتمدت على عدة وسائل كالحركة الصحفية والخطابة والنوادي والتربية والتعليم وغيرها، وجمعت بين صفوفها خيرة من رجال العلم والمعرفة والثقافة العربية الإسلامية مما يحضون باحترام اجتماعي وسمعة طيبة ، وهذا ما أكسبها ثقة الشعب ، حيث استطاعت أن تؤدي رسالتها على أكمل وجه ، وساهمت في البناء الفكري والثقافي و السياسي للمجتمع الجزائري من جهة والعربي من جهة أخرى ، للوقوف بالمرصاد في وجه الظاهرة الاستعمارية . واستعادة الدور الحضاري لهذه الأمة .

تعد جمعية العلماء المسلمين منبرا إصلاحيًا متميزًا في الخطاب و معالجة القضايا الراهنة الحساسة وربط الجزائر بالوطن العربي والأحداث العالمية للنهوض به ثقافيا وفكريا وسياسيا.

وفي ظل الزخم الصحفي الكبير الذي عرفته الصحافة العربية بعد الحرب العالمية الأولى ، إلا أن الاستعمار وقف لها بالمرصاد ، غير أنها تبلورت أكثر بعد الحرب العالمية الثانية ، وجريدة البصائر نموذج عن ذلك، لان هذه الأخيرة كانت أكثر اهتماما بقضايا الوطن العربي في هذه المرحلة لما حملته من تطورات على صعيد الحركات التحريرية من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية ، وما خلفته من انعكاسات وآثار وخيمة على مستوى التجزئة السياسية لأقطار البلاد العربية وغرس الكيان الصهيوني في فلسطين 1948م .

وإذا كانت البصائر الثانية قد واكبت تلك الأحداث والقضايا العربية الحرجة ، و القضية الليبية تعد من بين اهتماماتها البالغة، لما لها من تأثير كبير على المنطقة ، وعلى مصيرها خاصة بعد تحول إيطاليا نحو ليبيا وغزوها لتغطية هزيمتها بالحبشة ، وهي الولاية العربية الباقية تحت الحكم العثماني في شمال إفريقيا عام 1911م ، غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية قد حطمت جهود إيطاليا الاستعمارية خاصة بعد انهزام

جيوش المحور أمام الجيش البريطاني في برقة، فكانت هناك مستجدات تاريخية أخرى تناولتها جريدة البصائر من منظور جمعية العلماء، وبما أنها الناطق الرسمي باسم الجمعية فما هو موقعها من هذه القضية العربية السياسية والثقافية؟ وإلى أي حد تفاعلت معها؟ وإلى أي مدى ساهمت فيها؟ وهل متابعتها للأحداث الراهنة في المغرب العربي على وجه الخصوص نابع من مواقفها النضالية فعلا تطابقا لمبادئها وأهدافها؟ أم هي مجرد متابعة إعلامية للأحداث؟

لهذا أردت تحرير هذا المقال وتحليل القضية الليبية بعد الحرب العالمية الثانية فيه من عدة جوانب، ومن منطلق كتابات جريدة البصائر، لإبراز مكانتها وقيمتها الصحفية من خلال تحصيل مدى مساهمتها في تنوير الرأي العام العربي والإسلامي والوقوف في وجه الهجمات الفكرية والثقافية وكشف مغبات الاستعمار الأوروبي والأمريكي.

وما كتب في البصائر الثانية حول القضية الليبية كفيل بالإجابة على التساؤلات المطروحة في هذا المقال.

عرفت الصحافة في الجزائر مراحل متعددة من التاريخ الاستعماري، وعكست مظاهر متنوعة من الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي، وإلى غاية 1908م كانت كل الصحف الصادرة باللغتين العربية والفرنسية إما رسمية¹ أو استعمارية²، أو خاضعة لسلطة الإدارة الفرنسية. أما الجرائد الوطنية العربية فظهرت متأخرة بسبب عراقيل الإدارة أو الإمكانيات³.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى أصدرت فرنسا قانون منع الصحف، إلا أن الصحافة الوطنية العربية ظهرت بقوة كالإقدام للأمر خالد 1920م والمنتقد، وصدى

¹ - مثل المبشر 1847م وظلت تصدر حتى سنة 1926 للمزيد أنظر: د. عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 25.

² - مثل الأخبار لصاحبها فيكتور باروكان التي ظهر فيها قسم بالعربية ابتداء من 1903م، أو المغرب بالعربية لأبيير فونتانا، الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 159.

³ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 09.

القضية الليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائرية" أ. سعدية بن حامد

الصحراء 1925م، والشهاب 1925م، والبصائر الأولى (1936-1939)⁴، غير أن عمر هذه الصحف كان معلقا بمدى شدة لهجتها، وطبيعة الحاكم العام في الجزائر، وأكثر من ذلك معرضة للتوقيف عند أدنى تهمة⁵، وما يلاحظ على الصحافة الوطنية التي كانت تعبر عن أفكار وطنية وبلغة عربية هي التي كانت أكثر عرضة للمضايقات والمنع من الاستمرار⁶ لأنها لا تخدم المشاريع الاستعمارية.

- ظهور جريدة البصائر :

والمتتبع للصحافة الوطنية الإصلاحية بعد الحرب العالمية الثانية نجد صدور البصائر الثانية (1947-1956م) والتي تعتبر اللسان الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهي كفيلة بإيضاح جانب مهم من توجهات الجمعية ومواقفها، وهي أساس دراسة هذا المقال؛ ولا ريب في أن الملامح العامة تبقى متناسقة ومتلازمة مع خط جمعية العلماء المسلمين التي رسمها العلامة عبد الحميد بن باديس الذي أكد: "أن الجمعية التي بثت روح النهضة في الأمة بما دعت إليه من الرجوع إلى الكتاب والسنة والمحافظة على الجنس واللغة والاعتزاز بالإسلام والعروبة حتى عرفت الأمة نفسها ... هي حارستها في جميع أطوارها والمدافعة عنها بكل ما لديها"⁷.

وقد كثر الحديث والنقاش عن مواقف الجمعية حول جملة من القضايا، ومنها القضايا الخارجية والعربية بالخصوص، ويرجع ذلك إلى النشاط الواسع لها، وتفاعلها مع القضايا الراهنة.

- دواعي صدور الجريدة :

والمتتبع للصحافة الإصلاحية ومن بينها البصائر الثانية، يجد أنها استخدمت التعليم والخطاب الروحي لربط المجتمع بتاريخه وقوميته وأمته⁸، وقد اهتمت بالإنسان

⁴ - عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 37، 38.

⁵ - أغلب الصحف عطلت من طرف الإدارة الفرنسية ما عدا جريدة النجاح (1919م-1956م). أنظر:

lhaddaden Zahir, *Histoire de la presse indigène en Algérie*, ENAL Alger, 1983, P 297.

⁶ - وتعد جرائد الشيخ أبي اليقطان الثمانية مثلا لذلك، حيث أوقفها كلها تباعا في فترة 13 سنة.

1- عمار طالبي، ابن باديس حياته وأثاره، ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ص 359.

⁸ - عملت الصحافة الإصلاحية على ربط الشباب الجزائري بالأفق الشرقي حيث العروبة والحضارة الإسلامية تحويلا لانضمامهم عن الأفق الغربي، راجع: محمد ناصر، "واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في

القضية الليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائرية" أ. سعدية بن حامد

تعلّما وتربية وروحا وفكرا وانتماء⁹. من خلال الأطر العلمية والمؤسسية والوسائل المتاحة ومن بينها البصائر التي كان اهتمامها بالقضايا العربية واسعا، ويحظى بقدر وافر لقناعة أن عملية النهوض والخروج من الدائرة الاستعمارية لن يتأتى إلا من خلال عمل منظم ومنهجي ويشمل كافة الأقطار العربية وأن مصير الجزائر مرهون بحركة الوطن العربي في نهضته الشاملة¹⁰.

وظلت البصائر منبرا إصلاحيا بعد الحرب العالمية الثانية، وما ميزها عن سابقتها من الصحف الإصلاحية شموليتها من حيث المواضيع المعالجة وتنوعها، إضافة إلى صراحتها وشدّة لهجتها واهتمام متزايد بالسياسة المحلية والخارجية والعربية خصوصا، فطالبت بتحرير بلدان المغرب العربي¹¹. وضرورة توحيده، والاهتمام بقضية فلسطين والدعوة إلى الوحدة العربية.

وبالتالي فإن صدورها سد فراغا كبيرا لتيار أصيل في هذا الشعب ليعبر عن رأيه ويتلقى منها الخبر الصادق والكلمة الهادفة، فالإبراهيمي يقول: "أن البصائر علاقتها مع قرائها كالمربي بتلميذه لا علاقة التاجر بعميله".

ولعل العامل الأهم من خروجها للواقع هو النهوض بالأمة الجزائرية وأن تكون واجهة سياسية في التحليل للأحداث الداخلية والخارجية من منظور الجمعية ورجالها، كما أن طبيعة الخطاب لم يكن موجها لطائفة معينة، أو نخبة أو عمال أو مركزة نقدها على جهة معينة، بل حاولت أن تمس هذه الشرائح والتقرب منها وتبليغ خطابها وطروحاتها، ولم يكن هذا الخط الصحفي على المستوى الداخلي، بل حتى على مستوى القضايا الخارجية أيضا، وبالخصوص العربية منها انطلاقا من الإحساس بحمل هموم الأمة وأنها مكلفة بهذه المسؤولية من منظور عقائدي وأمام الأمة.

الجزائر". الأصدالة، العدد 17، 1973، السنة الثالثة "مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر"، ص 259-269.

⁹ - الإبراهيمي، "الحقائق العريانة، البصائر، العدد الأول، 17 رمضان 1366هـ، 25 جويلية 1947م، المطبعة العامة، الجزائر، ص 3.

¹⁰ - الإبراهيمي، "البصائر في عامها الثاني"، البصائر، العدد 46، السنة الثانية، 1948م، ص 1.

¹¹ - الفضيل الورتيلاني، "سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي"، البصائر، العدد 284، السنة 7، 13

محرم 1374هـ، 10 سبتمبر 1954م، ص 8.

ولذلك حاولت الجريدة أن تقيم جسور مع غيرها من التيارات والشخصيات لصنع علاقات والتقريب بين الأفكار لخدمة القضايا المشتركة، وخاصة فيما يتعلق بدحر الظاهرة الاستعمارية والتميز الثقافي في الوطن العربي، وهذا كله يعود إلى طبيعة الجمعية التي تحمل مشروع أمة¹².

أما فيما يخص أهم محرريها فمعظمهم مسؤولون في الجمعية أو في إدارة الجريدة أو هم خريجو المدرسة الإصلاحية للجمعية، حيث نجد الإبراهيمي يركز على دحر الاستعمار قانونيا وفكريا وكشف الأعبية، وأحمد توفيق المدني¹³ تخصص بقضايا الشمال الإفريقي والقضايا العربية وكذا العالمية وآخرون

- أهم انشغالات الجريدة :

إن الملمح الصحفي لهذه الجريدة يتجاوب مع القضايا الراهنة للأمة في استنهاض الهمم ومخاطبة العقل وتربية الروح، حيث ركزت على قضايا المغرب العربي في صراعه مع الاستعمار، ولهذا ظل محور الشمال الإفريقي الذي ظهر منذ العدد 84 عام 1949م يعالج قضاياها خاصة بعد الانتقادات الموجهة للجريدة على إهمال قضايا المغرب العربي، وعلى العكس من ذلك وجهت عدة انتقادات لأبي محمد عن سبب عدم اهتمامه بقضايا الجزائر، وقد رد المدني على هذا الأمر واعتبره حملة شعواء ومنكرة ومحاولة للنيل من شرفه السياسي وعرضه الصحفي¹⁴، وبرر ذلك أن الأمر جاء بعد تقسيم الرئيس للعمل وتخصص القسم الخارجي له وأنه لا يهرب إدارة أو أي جهة أخرى¹⁵.

¹² - أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 50.
¹³ - أحمد توفيق المدني (1898-1983)، جزائري ولد بتونس، وتعلم في الزيتونة ومارس السياسة في شبابه، ومؤسس في الحزب الدستوري التونسي، ثم قدم إلى الجزائر وانخرط في جمعية العلماء وأصبح كاتبها العام في 1952م، يكتب اسمه بكنية أبي محمد، انخرط في جبهة التحرير في 1956م، ثم أوفد إلى القاهرة، أنظر: Achour Cheurfi, *La classe politique Algérienne*, CASBA, édition Algérie, 2001, P 245.

¹⁴ - أحمد توفيق المدني، "رد المدني"، البصائر، العدد 89، السنة الثانية، 14 شوال 1368هـ-25 جويلية 1949م، ص 4.

¹⁵ - نفسه، ص 4.

والملاحظ أن البصائر أرادت من وراء هذه الإستراتيجية عدة أمور، أولها المحافظة على تواصل إصدار الجريدة، وعدم تعريضها للخطر، وثانيها خدمة قضايا البلدان العربية الأخرى، وثالثها الدفاع عن قضايا الجزائر الجوهريّة كالتعليم وفصل الدين عن الحكومة والمحافظة على الهوية وربط المجتمع الجزائري بغيره وإطلاعه على مجريات الأحداث.

وظلت في السنوات الأولى تركز على بلدان المغرب العربي والبلاد العربية، حيث ركزت على الأزمة الليبية والمناورات الاستعمارية حولها ومحاولته تقسيمها، وكذلك القضية الفلسطينية بحكم أن القضية كانت في أشد تفاعلها، وكذلك نشاط الجامعة العربية ومحاولة حث القائمين عليها على أن تكون أداة تجميع ووحدة للقضايا والشعوب والأفكار والثقافات في البلدان العربية.

وبالتالي لم تكن متوقعة على حيزها الجغرافي، بل تعيش الشعوب العربية آمالها وآلامها، وتميط اللثام عن مؤامرات الاستعمار الأوروبي، حيث كان التفاعل مع قضايا الأمة العربية، وخصوصا الأزمة الليبية والقضية المصرية والقضية الفلسطينية فرصة مواتية لتجعل منها عاملا لتقريب الرؤى الوطنية والعربية، وتثمين جهود زعماء حركات التحرر¹⁶.

كما أنها كانت تفضح الاستعمار البريطاني والصهيوني، وكل الممارسات الاستبدادية في البلاد العربية، وهذا ما يعرض ضمنا الاستعمار الفرنسي في الجزائر للنقد، وبالتالي ترسيخ فكرة المقاومة المستمرة بطريقة غير مباشرة والمطالبة بالحقوق والانتباه إلى دسائسه.

لهذا يمكن القول أن البصائر كانت تهدف إلى الارتقاء بالحس الوطني والسياسي الجزائري إلى مصاف هموم الأمة العربية والإسلامية وآليات الخروج من واقعها المزري. - تفاعلها مع القضية الليبية (1949م-1955م):

وإذا كان صدور البصائر الثانية قد واكب مرحلة متأخرة من تاريخ ليبيا المستعمرة، فقد ركزت الجريدة على خطر المنافسة بين الحلفاء لاقتسام ليبيا بعد خروج إيطاليا وكشف

¹⁶ - محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطوراتها وأعلامها، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 389.

المناورات الأمريكية-الإنجليزية-الفرنسية في كل من فزان وبرقة وطرابلس، ولها في هذا الأمر عدة رسائل إلى الشعب الليبي.

من بين القضايا التي اهتمت بها جريدة البصائر القضية الليبية، غير أن احتلال ليبيا كان من قبل إيطاليا عام 1911م، تزامن وبدايات العمل الإصلاحي في الجزائر وتبلور الفكر السياسي الذي يعتمد على التوعية والتنظيم، ولذلك تفاعل رجال الإصلاح مع مقاومة عمر المختار الزعيم الليبي الذي قاد الجهاد ضد الإيطاليين، والتي بلغت أقصاها عامي 1930م و1931م، وقد استطاعت إيطاليا تسخير عدد من العملاء في الأوساط الدينية، ولذلك وجه ابن باديس نقدا لاذعا لرجال الدين الذين تعاونوا مع المستعمر الإيطالي وخاصة قاضي طرابلس الذي قدم سيفا لموسوليني¹⁷ سماه سيف الإسلام وأطلق على موسوليني حامي الإسلام¹⁸، وبعد مرحلة حرجة خاصة انهزام إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وبداية فترة الإدارة البريطانية والفرنسية مع بقاء جالية إيطالية كبيرة بليبيا، بالرغم من ذلك كان سعي حثيث لرجوع إيطاليا إليها، في وقت كانت المستعمرات الإيطالية على طاولة الأمم المتحدة للنظر في مصيرها.

وظلت الأوضاع متدهورة بليبيا، وما زاد الطين بلة هو رغبة الإنجليز في برقة، وطمع فرنسا في منطقة فزان، ورغبة إيطاليا في الرجوع إلى طرابلس والصومال، في هذه الأثناء تساءلت البصائر ما إذا كان مصطلح "المتسع الحيوي" إذا ما نادى به هتلر¹⁹ اعتبر ظلما وخرابا وإذا نادى به الدول الديمقراطية فهو رحمة وعدلا²⁰.

وظلت ليبيا تتعرض لعدة مخاطر، لا سيما قضية الاعتراف الجزئي مثل اعتراف الإنجليز باستقلال برقة، وهذه السياسة بمثابة تمزيق للوطن الواحد، وحذرت

¹⁷ - بنيتو موسوليني (1883-1945م) أسس الحزب الفاشي الإيطالي عام 1919م، واستولى على الحكم في أكتوبر 1922م، وأقصى منه 1943م، أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ط31، دارالمشرق، بيروت، لبنان، ص 270.

¹⁸ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 276.

¹⁹ - هو أدولف هتلر (1889-1945م) سياسي ألماني ولد بالنمسا، أصبح زعيم الحزب الوطني الاشتراكي 1921م، ثم رئيسا للدولة 1934م، أقام نظاما ديكتاتوريا. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 593.

²⁰ - "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 76، السنة الثانية، 20 جمادى الثانية 1368هـ 18 افريل 1949م، ص 2

من قواعد الإنجليز في إيجاد حيل لعودة إيطاليا إلى طرابلس²¹، خاصة بعد محاولة تنصيب محمد إدريس السنوسي²² على برقة، وهي صنيعة إنجليزية مقدمة لتثبيت إيطاليا من جديد في ليبيا²³.

وفي هذا السياق كتب الأمين العام لحزب الكتلة الوطنية الحرة بليبيا محمد توفيق المبروك ما كانت الجمعية تحذر منه الشعب الليبي حول الألعاب الإنجليزية لتقسيم ليبيا عن طريق هيئة الأمم المتحدة: "إن صبر الليبيين هذه المدة ليوضحوا للعالم أنهم طلاب حق ولم يقوموا بأي عمل عدائي ولكن إذا أظهرت المنظمة الأممية عدم إعطائهم حقهم فسيرفعون لواء المقاومة بالسلاح من جديد ولن يفل من عزمهم سياسة الاضطهاد والقمع الإنجليزي"²⁴.

- قرار هيئة الأمم المتحدة وموقفها من المناورة الغربية 21 نوفمبر 1949م :
في 21 نوفمبر 1949م قررت هيئة الأمم المتحدة وحدة ليبيا بولاياتها الثلاث برقة، فزان وطرابلس²⁵، وأن تنال استقلالها الكامل في موعد لا يتجاوز أول جانفي 1952م، ورغم هذه الموافقة الأممية على وحدة تراب ليبيا، رأت جريدة البصائر أنها مناورة غربية لإبعاد الاتحاد السوفيتي وتحييده من القضية، وتساءلت لماذا هذه الأجل المضروبة، وهذه التأجيلات، وأن الاستعمار الفرنسي ثائر على قرار الأمم المتحدة القاضي باستقلال ليبيا الموحدة متحججا أن ليبيا لا تملك المال والفنيين لاستغلال أراضيها، وقالت أنه كان الأجدر لفرنسا أن تأخذ العبرة من بريطانيا التي حاولت تمزيق ليبيا ووجدت نفسها منهزمة أمام العالم²⁶.

²¹ - منبر السياسة العالمية، البصائر، العدد 83، السنة 2، 16 شعبان 1368هـ-13 جوان 1949، ص 4.

²² - ملك ليبيا (1830-1983م) سنة 1950، وتم خلعها سنة 1969م.

²³ - أبو محمد في الشمال الإفريقي، البصائر، العدد 87، السنة 2، 2 رمضان 1368هـ-18 جويلية 1949م، ص 5

²⁴ - محمد توفيق المبروك "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 86، السنة الثانية، 15 رمضان 1368هـ-11 جويلية 1949م، ص 7.

²⁵ - تري رايح، "ليبيا بين أمس واليوم"، المعرفة، العدد 05، السنة 01، جمادى الأولى 1393هـ.

أكتوبر 1963، وزارة الأوقاف، الجزائر، ص 53.

²⁶ - أبو محمد، "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 105، المصدر السابق، ص 8.

والظاهر أن رأي البصائر كان عاما يسعى إلى توجيه الأحداث نحو الوحدة الليبية ومواجهة الحلول الجزئية أو سياسة التقسيم حيث حاولت أن تبرز آراء القوى الوطنية التي لها نفس الأهداف، فنشرت العريضة التي أصدرتها الكتلة الوطنية الحرة على لسان رئيسها "علي الفقيه" الذي استنكر فعل ما أسماهم بالطائفة الحكومية التي تسمت باسم المؤتمر الوطني العام بطرابلس، كانت تسعى لمبايعة السنوسي لحاجة في نفس يعقوب، وردا على هذا الفعل كتب الفقيه: "...إن الأمة بقضها وقضيضها متمسكة بنصوص قرار الأمم المتحدة القاضي بتأسيس دولة واحدة في ليبيا بأقاليمها الثلاث ... وأننا لا نريد أن يعث باستقلالنا نفر تجردوا من الصدق والإخلاص والوطنية..."²⁷. وقد سعت البصائر إلى إبراز الهيئات والأحزاب التي تعارض فكرة الدولة الفيدرالية²⁸ في ليبيا أي حق كل ولاية التصرف في شؤونها الداخلية شرط أن تكون خاضعة لاتحاد فيدرالي فيما بينها.

ويعود هذا التماطل في تنفيذ القرار إلى النوايا المبيتة. حيث تساءلت هذه المرة لماذا هذا البرزخ الزمني للمرور نحو الاستقلال²⁹، وحررت بأن القضية تعود إلى إبعاد روسيا عن المتوسط وتحييدها من المشكل، في ظرف يدعم فيه المعسكر الشيوعي قوى التحرر ضد الدول الإمبريالية، وحذرت البصائر من هذه التقسيمات، ونهت إلى مدى خطورة الداء الذي مس جزيرة العرب فصارت دولا وإمارات، ولولا ذلك الداء لما ضاعت فلسطين، حيث خاطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الشعب الليبي قائلا: "إن لكم إخوانا يشاركونكم المرارة والامتحان وأنكم في موضع قدوة لشعوب ترجو ما ترجون وتعمل لما تعملون، فاحذروا أن تكونوا قدوة في الهزيمة ومثالا لخيبة أمل أننا نعيذكم بشرف الرجولة أن تكون فيكم سيوف اليمن وجزرالات تونس³⁰. فتلك لا تصلح للضرب، وهذه لا تغني في الحرب..."³¹.

²⁷ - علي الفقيه، البصائر، العدد 110، السنة 3، 17 جمادى الأولى 1369هـ - 6 مارس 1950م، ص 8.

²⁸ - بدون كاتب، "في طرابلس"، البصائر، العدد 142، السنة 4، 6 جمادى الأولى 1370هـ- 12 فيفري 1951م، ص7.

²⁹ - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 450.

³⁰ - السيوف في اليمن تحمل عادة وليست للحرب، وأما الجزرالات فقد حولت فرنسا كل من يحمل لقب أمير في تونس إلى جنرال.

³¹ - الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج2، ص 452، 453.

ومن خلال هذا الخطاب الذي يهدف إلى توعية الشعب الليبي من مغبة هذه المؤامرات وعدم الخضوع لها ولا بد من حرصهم على وحدة ليبيا، وأن العدو يجس نبض الليبيين ومدى قبولهم أو رفضهم لها، حيث رأت أن تصریح المندوب الأممي القاضي بإمكانية استقلال ليبيا قبل حلول الأجل المسى هو الرأي الصائب حفظا لحقوق الشعب الليبي ومصداقية للهيئة الأممية³².

إضافة إلى ذلك وجهت انتقادا لاذعا لفرنسا وسياستها في الأمم المتحدة ساعية إلى الاحتفاظ بفزان بدعوى تمكين السكان من استغلال أراضيهم ورفع حالتهم الثقافية والفلاحية. واعتبرتها دعاوي استعمارية كثيرا ما رفعت هذه الشعارات من مساعدة وتمدين وتحضير، ولكن النتيجة هي استبعاد الشعوب³³.

وعلى ما يبدو أن الدول التي ترغب في الهيمنة على أجزاء ليبيا لم تستقر على صيغة تفاهم لتناقض مصالحها مما أطال عمر الأزمة، وهذا ما أشارت إليه البصائر من خلال انعقاد مؤتمر سانتا مارغاريتا الإيطالية بين فرنسا وإيطاليا، وإظهار النوايا الفرنسية في فزان وانجلترا ببرقة، وأمريكا بمطارات طرابلس³⁴، ريثما تعود إيطاليا بنفوذها بشكل من الأشكال، ورأت الجريدة أن النظام الفيدرالي هو وسيلة لضمان مصالح الاستعمار، وقد أحدثت هذه القضية جدلا واسعا في الأوساط الليبية، غير أن التيار المناوئ لها أقوى وتزعمه المؤتمر الوطني برئاسة بشير السعداوي³⁵، وبذلك حكمت الجريدة على أن نظام الفيدرالية محكوم عليه بالخيبة لأنه يلاقي رفض ليبي وعربي، وفي عهد تتوحد فيه الشعوب ولا تتجزأ³⁶.

وفي بداية الخمسينات وجه الشيخ الإبراهيمي كلمة عبر صوت العرب بالقاهرة إلى الشعب الليبي مثمنا جهوده وحثه على المحافظة على هذا الاستقلال وأنه جزء من استقلال الوطن العربي وخاصة أن ليبيا هي جسر بين الشرق والغرب عبر التاريخ مؤكدا

³² - أبو محمد، "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 132، السنة الرابعة، 20 ذي الحجة 1369هـ - 9 أكتوبر 1950م، ص 6.

³³ - بدون كاتب، "القضية الليبية"، البصائر، العدد 133، المصدر السابق، ص 7.

³⁴ - "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 144، المصدر السابق، ص 4.

³⁵ - أبو محمد، "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 149، السنة الرابعة، 20 جمادى الثانية 1370هـ - 2 أبريل 1951م، ص 6.

³⁶ - أبو محمد، "في الشمال الإفريقي"، البصائر، العدد 146، ص 7.

أن من أوجب الواجبات صيانة هذا الاستقلال "وأن يجنبوه وهو في الخطوات الأولى، مزالق المعاهدات مع من لا عهد له ولا ميثاق وأن يربطوا مستقبله بالشرق لا بالغرب، وبالقريب لا بالغريب"³⁷، وتأسف الإبراهيمي للارتباطات التي ظهرت مع الإنجليز الذين وصفوا بنقض العهود، ونبه إلى أقدامهم التي ما زالت تدوس العراق والقناة والأردن (المفرق) وفي شرق الجزيرة العربية، ويتماطلون في السودان، وحذر الليبيين من المعاهدة التي يراد عقدها مع الإنجليز: "أبها الإخوان الليبيون إنها ليست معاهدة إنها استعمار جديد ... إنها تمكين اختياري للعدو ومن رقابكم"³⁸، طالبا من الشعب الليبي أن يراجعوا بصائرهم، وأنها صفقة خاسرة، وبذلك حذرهم الإبراهيمي شعبا وقادة من الوقوع في هذه المكيدة، وبيع الوطن كله، وشرف الوطن كله وحرته وأن هذا الثمن البخس الذي يباع به البلد بأكمله أرضا وشعبا يمكن أن تقدمه كل حكومة عربية في كل سنة، وختم خطابه "قفوا صفا واحدا في طريق هذه المعاهدة المخسرة حتى تمزقوها قبل أن تمزقكم"³⁹.

ونظرا لخطورة الوضع في ليبيا، وما يراد من هذه المعاهدة التي كانت تلج عليها إنجلترا فإن الشيخ الإبراهيمي والورتيلاني قد وجها رسالة من مكتب جمعية العلماء المسلمين بالقاهرة إلى الملك إدريس السنوسي⁴⁰، مشعرين إياه أن الشعوب العربية والإسلامية كلها ساخطة على المعاهدة التي يخطط لها الإنجليز كي تقيد الحكومة الليبية وهي أشأم من كل استعمار مضى، وأضافا "وإخوانكم في المغرب العربي يحتجون بشدة على هذا الارتباط المشؤوم لأنه قاطع لأوصال الوطن العربي وقاض على ما يعلقونه من آمال على استقلال ليبيا، فباسم الجزائريين كلهم نطالب باستخدام نفوذكم لإبطال هذه المعاهدة المخزية أعانكم الله"⁴¹.

ومن خلال تتبع البصائر للقضية الليبية أو من خلال مصادر الجمعية الأخرى نلاحظ أنها انشغلت بها كثيرا قبيل إعلان الاستقلال الرسمي، حيث أبدت تخوفات كبيرة

³⁷ - الإبراهيمي، الآثار، ج4، ص 298.

³⁸ - نفسه، ص 269.

³⁹ - الآثار، ج4، ص 271.

⁴⁰ - "برقيات احتجاج من القاهرة"، البصائر، العدد 240، المصدر السابق، ص 1، 3. أنظر: الآثار، ج4، ص

236.

⁴¹ - باسم مكتب جمعية العلماء بالقاهرة "جلالة الملك إدريس السنوسي ليبيا"، البصائر، العدد 240، ص 3.

مما يحاك في الخفاء بين الدول الاستعمارية، وبذلك كثفت من اتصالاتها ورسائلها إلى الشعب الليبي والملك السنوسي والهيئات الحزبية، منبهة إلى خطر هذا الترهل في إعلان الاستقلال ونوهت إلى طبيعة الاستعمار فكل الأوصاف تعبير لجنس اسمه الإنجليز وسجله الحافل بنقض العهود فهو أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي ابتليت به ليبيا، وما جرت به المعاهدات السابقة من ولايات على الوطن العربي، كما نهت إلى تبادل الأدوار في الهيمنة، وأن هذه المعاهدات ما هي إلا نموذج جديد للاستعمار⁴².

- تهنئة ليبيا ملكا وشعبا :

وبقدر هذا التواصل والاهتمام والدعم الإعلامي والروحي للشعب الليبي والوطن العربي وهذا من خلال المباركة بالاستقلال وتهنئة الملك والشعب الليبي إضافة إلى البرقيات الرسمية والقصائد.

وهذا نص البرقية التي أرسلها رئيس جمعية العلماء المسلمين إلى الملك إدريس السنوسي يهنئه باستقلال ليبيا في 24 ديسمبر 1951م: "جلال الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا - بنغازي، جمعية العلماء المسلمين المترجمة عن إحساسات الأمة الجزائرية تعلن مشاركتها للشعب الليبي في ابتهاجه بتحقيق استقلاله، وترفع إلى جلالتكم تهنينا الأخوية راجية تتويج هذا الاستقلال بالوحدة الشاملة والتقدم المطرد تحت رعايتكم الحكيمة"⁴³.

كما أن الشيخ الإبراهيمي أرسل برقية إلى سعادة بشير بك السعداوي رئيس المؤتمر الوطني بطرابلس حيث عبرت جمعية العلماء المسلمين عن عواطف الشعب الجزائري ومشاركته الشعب الليبي الفرح والابتهاج بإعلان الاستقلال، متمنيا تظافر الجهود حكومة وشعبا لتحقيق وحدة ليبيا⁴⁴.

وحتى بعد استقلال ليبيا ظلت تقدم النصح للحكام في ليبيا أن يأخذوا بأيدي الأمة نحو التقدم ووحدة البلاد، وظلت قضية فزان التي بقيت فيها حامية فرنسية⁴⁵

42 - الإبراهيمي، الآثار، ج4، المصدر السابق، ص 236 .

43 - الإبراهيمي، "تضامنا مع الشعب الليبي"، البصائر، العدد 179، السنة 4، 9 ربيع الثاني 1371هـ - 7 جانفي 1952م، عدد خاص، تضامنا مع الشعب الليبي، ص 13.

44 - البصائر، العدد 178، 179، السنة الرابعة، 7 جانفي 1952م، وانظر الآثار، ج2، ص 450.

45 - حسب البصائر كانت فرنسا تدفع 196 مليون فرنك سنويا مقابل ذلك.

القضية الليبية في اهتمامات جريدة البصائر "الجزائرية" أ. سعدية بن حامد

قوامها أربعمئة جنديا، وتأسفت لفشل المفاوضات التي قام بها رئيس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم في باريس مع رئيس الحكومة الفرنسية مندرس فرانس الذي تعنت من أجل البقاء على النفوذ الفرنسي هناك⁴⁶.

⁴⁶ - "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 301، السنة 7، 20 جمادى الأولى 1374 هـ - 14 جانفي 1955 م،

خاتمة:

وصفوة القول أن البصائر الثانية اهتمت فعلا بقضايا المغرب العربي، وخاصة وأن صدورها تزامن ومروور هذه البلدان بمرحلة حرجة حيث استطاعت تنوير الرأي العام الليبي حول ما يحاك ضده من دسائس ، كما أنها واجهت مشروع تقسيم ليبيا وما يحاك حولها من مؤامرات التقسيم بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية رغم صدور القرار الأممي في 21 نوفمبر 1949م القاضي بوحدة ليبيا أو لربطها باتفاقيات تحول دون استقلالها.

وبالتالي حقيقة تبنت الجريدة هموم هذه الأقطار وعدم حصر نشاطها في الجزائر فقط ؛ لهذا ناشدت هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية على مساعدة الشعب الليبي ، وحتى بعد الاستقلال بقيت تعارض وجود القواعد الفرنسية في فزان . وانطلاقا من الرؤية الشاملة لنجاح قضية المغرب العربي كونها وحدة جغرافية واحدة، وأن نجاح جزء منه مرهون بالكل، لهذا شكلت هذه الأقطار وعلى رأسها ليبيا عنصر تأثير وتأثر خلال الدعم المعنوي والمادي والسياسي، ولهذا برز دور جمعية العلماء في بيانات الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها في الدفاع عن قضايا المغرب العربي، وتبعاً لذلك نجد ليبيا حكومة وشعباً قدمت دعماً مستمراً للقضية الجزائرية، ووقوف الشعب الليبي بتضامنه الفعال يؤيد الثورة الجزائرية مادياً ومعنوياً، وهذا محور آخر لا بد من إمارة اللّثام عليه لاحقاً.

لهذا عملت البصائر على جعل المغرب العربي جهة تحريرية واحدة في وجه فرنسا ، وتثبيت خصوصية الشمال الإفريقي لا سيما الهوية العربية الإسلامية وتبني مواقف وطنية موحدة وجعل الاستعمار هدفاً مشتركاً .

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- سلسلة البصائر الثمانية، 1947-1956 م، المقالات الخاصة بالقضية الليبية، المطبعة العامة، الجزائر.
- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997
- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج4، ط1، جمع وتقدين أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997 م.

المراجع:

*باللغة العربية:

- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م
- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1403هـ-1983م.
- عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطوراتها وأعلامها، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

* باللغة الفرنسية:

- IHADDADEN Zahir, Histoire de la presse indigène en Algérie, ENAL Alger, 1983.

- المجلات والدوريات:

-الأصالة، العدد 17، 1973، السنة الثالثة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

- المعرفة، العدد 5، السنة 1، جمادى الأولى 1383هـ-1963م، وزارة الأوقاف، الجزائر.

المناجد:

- باللغة العربية :

-المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق، بيروت، لبنان، 1997م.

- باللغة الأجنبية :

- Achour CHERFI, La classe politique Algérienne de 1900a nos jours , CASBA, édition Algérie, 2001.

ملخص المقال:

إنه (هذا العمل) يؤرخ لكثير من الأحداث التي شهدت تونس في نضالها التحريري ضد سلطات الاحتلال، وما كابده إخواننا في تونس من ويلات السياسة الاستعمارية، وما صبروا عليه من مآطلات أثرت عليهم نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وما لحق بهم من قمع وتنكيل وأسر واعتقال وإقامة جبرية واغتيالات. هذه الأخيرة التي مست رمزا من رموز عملهم النقابي والسياسي وهو زعيم النقابيين التونسيين السيد فرحات حشاد.

Résumé:

Les Questions Tunisiennes dans le journal Algérien (El-Manar) (29 Mars 1951 – 01 Janvier 1954).

Cet article est examine un sujet très important dans le champs de l'histoire commune du Maghreb arabe. Et intitulé de:

Les Questions Tunisiennes dans le journal Algérien (El-Manar) (29 Mars 1951 – 01 Janvier 1954).

Le journal el- Manar pas de journal proprement dit, mais c'est une revue Algérienne libre, politique, culturelle et religieuse. Paru durant la période mentionnée ci-dessus, Mais portait ce nom à cause les circonstances à l'époque.

Il ya beaucoup de sujets qui traitent l'histoire commune des peuples du Maghreb depuis

كثيرة هي المواضيع التي تناولت التاريخ المشترك لأبناء المغرب العربي عبر العصور، وكثيرة أيضا تلك التي تناولت جهاده ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي المشترك الذي ضرب الأرض الجزائرية سنة 1830 ثم تونس 1881 وأخيرا المغرب الأقصى سنة 1912 م. وإن كان قد أخذ شكل الاستعمار بالجزائر وشكل، الحماية بالجزائر.

ولسنا هنا من أجل التأريخ للاستعمار بالمغرب العربي، ولا لذلك النضال المشترك بين المغاربة، وإنما أردنا موضوعا آخر، هو اخراج نصوص تاريخية مصدرية من مضانها الأصلية، وهي هنا جريدة (المنار) الجزائرية، ونشرها حتى تكون قريبة من الباحثين والطلبة والمهتمين بكل ما يتقاطع مع هذه المقالات من قريب أو من بعيد.

وتكمن أهمية هذا العمل، إضافة إلى كونه مادة خيرية مصدرية موثوقة كان أصحابها فاعلين في الحياة بالمغرب العربي، فهم إما من فئة الطلبة المتابعين والمسؤولين في خلايا الحركة الوطنية الاستقلالية، أو الصحفيين النشطين العاملين أو من السياسيين الضالعين الوطنيين المحنكين. وبالتالي فهي على قدر كبير من الأهمية قادتنا المسؤولية التاريخية إلى نشرها والتعريف بها.

Abstract :

**Tunisian Questions in the
Algerian journal (El-Manar)
Marsh 29 th, 1951 – January 01 st,
1954**

The journal el Manar it is Algerian magazine, political, cultural and religious. Released during the period mentioned above, but that name because the stat at the time. There are many topics of common history of the Maghreb peoples since the ancient period. And many of those who treated the resistance of the people of North African against the French colonization.

We are not here in order to follow the course of historical events or the Arab Maghreb its common struggle against France, but we want to collect and publish historical articles published in this newspaper (Al-Manar) at the time. as a very important original historical source, and put it within the reach of researchers and students.

On top of that, the importance of this work that all articles are written by nationalist students mobilized, active workers, journalists or national politicians. And on my part and in a great historical responsibility I try to write and publish this article.

l'ancienne période. Et aussi beaucoup de ceux qui traitait la lutte des peuple maghrébins contre la colonisation française, qui a conquêt le territoire Algérien en 1830 et en Tunisie en 1881, et enfin le Maroc en 1912. Même si cela peut prendre la forme du colonisation en Algérie et la forme de la protection aux deux autres pays.

Nous ne sommes pas ici dans le but de suivre le cours des événements historiques au Maghreb arabe ou bien sa lutte commune contre la France, mais nous voulons recueillir et publier les articles historiques publiés dans ce journal (El-Manar) à l'époque. comme une source historique originale très importante, Et le mettre à la portée de chercheurs et d'étudiants.

En plus de ça, L'importance de ce travail ce que tous les articles sont rédigées par des étudiants nationalistes mobilisés, des travailleurs actifs, des journalistes ou bien des politiciens nationaux. Et de ma part et sous une grande de responsabilité historique j'écrire et essayer de publier cet article.

مقدمة:

حاولنا في موضوعنا هذا التطرق لقضية هامة جدا في تاريخ النضال المشترك للمغرب العربي، وهي القضايا التونسية التي تناولتها صحيفة المنار الجزائرية (29 مارس 1951 - 01 جانفي 1954) التي أسسها السيد محمود بوزوزو¹، ثم سرعان ما أصبحت الجريدة الناطقة باسم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها (05 أوت 1951 - سبتمبر 1952).

ورغم أننا سعينا جهدنا إلى جمع كل المقالات التي صدرت بالجريدة في كل ما تعلق بتونس، وهي موضحة في هذا المقال، إلا أنه لا يمكن نشرها جميعا هنا. كما ننبه إلى أن هذا المقال ليس تركيزا على سرد الأحداث التي شهدتها الساحة التونسية والمواقف المختلفة منها... لأن ذلك موجود في مصادر ومراجع معلومة. لكنّه جمعٌ لمادة خبرية غير متاحة أمام الجميع من الباحثين والطلبة والمهتمين. فمن هي جريدة المنار؟ وماهي المقالات التي مثلت جهاد الكلمة وعبرت عن تلاحم المغاربة بعضهم ببعض؟ وإلى أي حد كان النضال المغربي المشترك بين الأقطار الثلاثة تونس والمغرب والجزائر واضحا في الجريدة؟ فمن أجل ذلك سعينا جهدنا في توظيف هذه المادة المصدرية والاكثار من الاستشهاد بها، متعمدين ذلك من أجل توظيف أكبر قدر ممكن من تلك النصوص.

¹ - محمود بوزوزو: درس بقسنطينة بالمدرسة الشرعية وتعلم على دروس ابن باديس بحضوره ليلا بالجامع الأخضر بقسنطينة، حيث كان ابن باديس يلقي دروسه. وربط علاقات صداقة مع تلامذته وأصدقائه فاقنتع بفكرهم الاصلاحى على نفس الدرجة التي اقتنع بها بالفكر الثوري لحزب الشعب رغم أنه لا انفصال بين الفكر الثوري والاصلاحي بالجزائر، لأن كلاهما كان يهدف إلى تحقيق الاستقلال في النهاية. ومن قسنطينة التحق بوزوزو بالمدرسة العليا بمدينة الجزائر ونال منها الشهادة العليا التي تؤهله لتولي مناصب القضاء والتدريس. ورغم أن والده كان يريد قاضيا، إلا أن محمودا فضل التدريس لما في القضاء من سلطة استعمارية نافذة مقارنة بالتعليم. فعمل في حقل التعليم الرسمي، وخصص ساعات للتدريس خارجها، كانت لفئات اليتامى والمحرومين والجمالين... كما سعى في "فتح المدارس الحرة وجلب أساتذة أحرار وفتح نواد للشباب والكهول وتنظيم أفواج الكشافة". ثم سرعان ما اجتذبه جمعية العلماء المسلمين للتدريس في مدارسها الحرة، وقد كانت تسهر على التعليم الحر بالجزائر. اقترح عليه أصدقاؤه من حركة انتصار الحريات الديمقراطية حزب الشعب سابقا سنة 1950 "اصدار جريدة وطنية غير متحزبة تكفل لها حقوق الطبع والتوزيع مع استقلال التحرير بشرط بث الروح الوطنية في عموم البلاد. وهكذا نشأت جريدة (المنار)". محمود بوزوزو، جريدة المنار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، من المقدمة.

1- حول جريدة المنار: 29 مارس 1951 – 01 جانفي 1954 م:

جريدة (المنار)² الجزائرية كانت أول مرة طموح لمحمود بوزوزو، الذي أرادها مجلة "تشمل جميع ميادين الحياة الجزائرية، بحيث يجد فيها العالم ما يزيده إيمانا بالحقائق العلمية، والسياسي ما ينبه حاسته السياسية، والأديب ما يذكي قريحته، والشاعر ما يلهم عبقريته، والفنان ما يشجعه، والتلميذ ما يزيده شغفا بالدرس، والمرأة ما يقوي شعورها بمسؤوليتها، والمتدين ما ينعش روحانيته، والشباب ما يزيده همته علوا. وما زالت الأمنية تلح في البروز حتى يسر الله تحقيقها. وهامي اليوم تبرز في ثوب جريدة، ريثما تتيسر الأسباب للمجلة المرجوة. وقد سميتها "المنار" تفاعلا ورجاء أن يؤتمن الله نورا من لدنه تنقشع به الظلمات الحالكة التي تخيم على أمتنا في جميع الميادين. وسيرسل "المنار" أشعته تطارد الظلام أينما حل، وتنير السبل للسايرين، أتي كانت وجهتهم، السياسة أو الثقافة أو الدين أو الحرية. فالمنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة"³. ومنذ تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بتاريخ الأحد 03 ذي القعدة 1370 هـ، الموافق لـ 05 أوت 1951 م بقاعة سينما دنيا زاد بمدينة الجزائر، صارت جريدة المنار الناطق الرسمي لها. وسواء منهم محمود بوزوزو أو الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، كلٌّ قد آمن بنفس الأفكار التي آمنت بها الجريدة عند تأسيسها. وكلاهما كان يناضل من أجل تلك المبادئ التي جاءت في افتتاحية العدد الأول والمذكورة سابقا.

2- حول الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها: (05 أوت 1951 –

سبتمبر 1952)

تأسست الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بتاريخ 05 أوت 1951 من مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، في ظل الأوضاع الجزائرية المتعقبة بسبب السياسة الاستعمارية منذ 1830 لاسيما تعفن الوضع السياسي بفعل تزوير الإدارة

² - كان تأسيس هذه الجريدة بدلا عن فكرة المجلة بسبب ظروف الفترة الاستعمارية، وقد تأثر الفتى محمود بوزوزو بنصيحة الشيخ عبد الحميد بن باديس التي نصحه بها وهو ابن السادسة عشرة من عمره بقوله: "أتمم دراستك وبعد ذلك كن مسلما". يراجع: المنار، المصدر السابق، من المقدمة. وتجدر الإشارة إلى أن أمنية المجلة لم تتحقق حيث بقيت المنار جريدة إلى آخر عدد صدر لها في الفاتح من جانفي سنة 1954 م. وهو العدد 51. - المنار، ع 01، السنة 01، الجمعة 21 جمادى الثانية 1370 هـ، 29 مارس 1951 م. الشركة الوطنية للنشر³ والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 01.

الفرنسية لانتخابات 1951. مما يقضي على أي أمل في التمثيل الحقيقي للأحزاب الجزائرية بالمجالس. ولذا جاءت أهداف الجبهة على الشكل التالي:

- 1- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951 والتي كانت نتيجتها في الواقع تعيين الإدارة أشخاصا لم يكلفهم الشعب الجزائري بتمثيله، وينكر عليهم الحق في التحدث باسمه.
- 2- احترام حرية الانتخاب في القسم الثاني.
- 3- احترام الحريات الأساسية: حرية الضمير، والفكر، والصحافة، والاجتماع.
- 4- محاربة القمع بجميع أنواعه، لتحرير المعتقلين السياسيين ولإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على مصالي الحاج.
- 5- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.⁴

وفي حقيقة الأمر كانت هذه الجبهة هي أول اتحاد رسمي يجمع بين مختلف اتجاهات الحركة الوطنية بالجزائر في شكل حزبي بعد ذلك الاتحاد الذي تم خلال الحرب العالمية الثانية تحت اسم حركة أحباب البيان والحرية التي تأسست في 14 مارس 1944 والتي كانت قد جمعت بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحزب الشعب الجزائري، والحزب الشيوعي الجزائري، جماعة النخبة الجزائرية.⁵

⁴ - كان تمثيل تيارات الحركة الوطنية بالجبهة على النحو التالي: الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الدكتور أحمد فرانسيس والأستاذ المحامي قدور ساطور عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (جماعة النخبة قبل 1946)، أحمد مَزْغَنَة. مصطفى فَرْوخي عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب قبل 1946) بول كالبيرو، أحمد محمودي عن أنصار الحرية والديمقراطية (الحزب الشيوعي الجزائري قبل 1946). راجع: المنار، "لجنة انشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، ص 01، ع 06، 30 جويلية 1951، ص 01. والملاحظ هنا أن أسماء أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية قد تغيرت باستثناء الجمعية، وذلك بعد السماح لها بالعودة إلى النشاط السياسي في أبريل 1946.

⁵ - كانت حركات وأحزاب الحركة الوطنية الجزائرية كلها قد تعرضت للحل منذ سبتمبر 1939 بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية وتخوف فرنسا من أي عمل ثوري بالجزائر باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان فرعا تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي. فحلت حزب الشعب الجزائري ورمت بزعيمة وزعيم الحركة الوطنية الجزائرية جميعا آنذاك السيد مصالي الحاج إلى الإقامة الجبرية بمدينة روبيل (قصر الشلالة حاليا) ثم إلى المنفى بالكونغو، وحلت جمعية العلماء المسلمين وحظرت النشاط على زعمائها وصحفها لا سيما الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي وافته المنية في 16 أبريل 1940 وكذلك الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلفه على رأس الجمعية فنفته الإدارة الاستعمارية إلى أفلو بولاية الأغواط حاليا بالصحراء الجزائرية. أما جماعة النخبة فقد كانت ترى في فرنسا رمز الحضارة أول مرة إلى أن جرب زعيمها الصيديلي فرحات عباس العمل تحت راية الجيش

القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية د. مصطفى عبيد

كما أمنت كل من جريدة المنار والجمعة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بوحدة المغرب العربي وناضلتا من أجلها، ولذا أحصينا ثلاثة وأربعين (43) مقالا عن تونس وتسعة مقالات (09) تشترك فيها تونس مع المغرب الأقصى أو شمال إفريقيا بصفة عامة.

3- المقالات المتعلقة بتونس:⁶

المؤلف	الموضوع	العدد، السنة / الصفحة
عبد الكريم الخطابي	بيان عن الوضعية الحاضرة في تونس	06، 1951 / 04
محمود بوزوزو	مذكرة الحكومة التونسية للحكومة الفرنسية	11، 1951 / 01
محمد المتيجي	تطور القضية التونسية	12، 1951 / 01
محمد المتيجي	الاجتماع العام لطلبة شمال إفريقيا	12، 1951 / 02
محمود بوزوزو	قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد	13، 1952 / 01

الفرنسي وهناك اقتنع بضرورة التنسيق مع جمعية العلماء وحزب الشعب من اجل محاربة الاستبداد والاستعمار الفرنسي بالجزائر. فكتب مذكرته في 21 ديسمبر 1942 بعد نزول الحلفاء بالجزائر وأرسلها إليهم ثم ساهم مساهمة فعالة مع من بقي بعيدا عن السجن والمعتقلات من قادة الحركة الوطنية بل ومنهم من زارهم في سجونهم وكتبوا البيان الشهير ببيان 03 - 10 فيفري 1943 الذي يكشف السياسة الفرنسية بالجزائر منذ 1830 ويطالب بالاستقلال، وأخيرا جاءت فكرة انشاء حركة البيان والحرية في 14 مارس 1944 م التي تهدف إلى الالتفاف وراء بنود البيان السابق. هذه الحوصلة هي من إنجاز الباحث، وللمزيد من الإطلاع حول الأفكار التي جاءت فيها، يرجى العودة إلى الكتب التالية على الخصوص:

Farhat ABBAS, *Le jeune Algérien 1930 suivi de rapport au maréchal Pétin (Avril 1941)*, Alger-livres éditions, 2011, p 137 et suivantes.

Farhat ABBAS, *l'Injustice*, Alger-livres éditions, 2010, pp 23 - 40.

أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، 1930 - 1945، بموسوعة أعمال الدكتور أبو

القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 173 وما بعدها.

يحيى بوعزيز، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، بأثار

الدكتور يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 06 وما بعدها.

⁶ - هذه المقالات مستخرجة من خلال تتبع أعداد مجلة المنار الصادرة منذ أول أعدادها في 29 مارس 1951 إلى

آخر أعدادها وهو الصادر في 01 جانفي 1954 كما مزمعنا.

القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية د. مصطفى عبيد

01 / 1952 ، 13	نداء لشعوب المغرب ع	عزام باشا
02 / 1952 ، 14	القضية التونسية في هيئة الأمم	
03 / 1952 ، 14	اعتقالات فجائية في تونس	
03 / 1952 ، 14	رد الحكومة التونسية على الجواب الفرنسي	
01 / 1952 ، 15	يوم تونس	بوزوزو
01 / 1952 ، 15	دروس من التجربة التونسية	محمد المتيجي
01 / 1952 ، 15	أطوار القضية التونسية	المتيجي
01 / 1952 ، 15	تضامن الجزائر مع الشعب التونسي	
04 / 1952 ، 15	الحوادث التونسية في الصحافة العالمية	
01 / 1952 ، 16	هل يتحقق توحيد الكفاح المغربي؟	بوزوزو
01 / 1952 ، 16	تونس في مجلس الأمن	محمد المتيجي
01 / 1952 ، 17	هل تنصف القضية التونسية	المتيجي
03 / 1952 ، 17	تجديد جمعية الطلبة بتونس	محمد المتيجي
03 / 1952 ، 17	هل تنصف القضية التونسية؟	المتيجي
01 / 1952 ، 18	النصر للشعب التونسي	محمد المتيجي
03 / 1952 ، 18	كلنا يا تونس اليوم سواء	عن جريدة المصري
04 / 1952 ، 18	ماذا يراد بالمغرب العربي	عبد الإله
01 / 1952 ، 19	اعتقال الوزراء التونسيين	محمد المتيجي
01 / 1952 ، 19	هذا هو الطريق	تونسي
03 / 1952 ، 19	برقية يوسف الرويسي إلى هيئة الأمم م	يوسف الرويسي
03 / 1952 ، 19	إلى تونس الشقيقة	أحمد بوعدو
01 / 1952 ، 01	تطور القضية التونسية	محمد المتيجي
03 / 1952 ، 01	بيان من الوزراء التونسيين	صالح بن يوسف
01 / 1952 ، 02	مؤامرة استعمارية ضد الشعب الأمة	محمد المتيجي

القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية د. مصطفى عبيد

	التونسية	
01 / 1952 .02	تضامن الشعب الجزائري مع الشعب التونسي	عمر الجزائري
02 / 1952 .03	وثائق رسمية عن القضية التونسية	السيدة إكرام الله
04 / 1952 .02	حركة التضامن مع الشعب التونسي	محمد العيد آل خليفة
01 / 1952 .03	تونس في الميدان الدولي	محمد المتيجي
01 / 1952 .03	الافراج عن الوزراء التونسيين	؟؟؟
03 / 1952 .03	صور من كفاح تونس	الرشيد ادريس
04 / 1952 .03	بلاغ إلى الطلبة الزيتونيين	تريدي الحارث
01 / 1952 .04	في تونس تفاقم الاضطرابات	محمد المتيجي
02 / 1952 .06	برنامج الاصلاحات التونسية	؟؟؟؟
01 / 1952 .07	في تونس	محمد المتيجي
04 / 1952 .07	مؤتمر صحافي بشأن تونس	عمر حليبق
01 / 1952 .08	تصريح لصالح بن يوسف ومحمد بدرة	صالح بن يوسف، محمد بدرة
01 / 1952 .09	تونس	محمد المتيجي
03 / 1952 .09	محاولة تسميم باي تونس	محمد صالح الصديق
01 / 1952 .10	فازت القضية التونسية بالتسجيل	محمد محفوظي
04 / 1952 .12	المشكلة التونسية	محفوظي
01 / 1952 .13	حوادث تونس ومراكش	بوزوزو
01 / 1952 .13	فرحات حشاد المناضل	عبد الحميد مهري
02 / 1953 .16	تفاصيل جديدة عن اغتيال فرحات	؟؟؟؟

	حشاد	
02 / 1953، 16	قضية إفريقيا الشمالية قائمة	حبيب جماتي
01 / 1953، 17	استفسار هام في قضية الاتحاد	بوزوزو
02 / 1953، 18	هل ستثار القضية التونسية من جديد	محمد محفوظي
01 / 1953، 19	استفسار هام في قضية الاتحاد	بوزوزو
02 / 1953، 19	السياسة الفرنسية في تونس	محمد محفوظي
04 / 1953، 09	ندوة صحافية للجنة القومية للدفاع عن شمال إفريقيا	
01 / 1953، 20	حول مصرع فرحات حشاد	محمد محفوظي
03 / 1953، 20	استفسار هام في قضية الاتحاد	

وكما أشرنا في المقدمة فإنه لا يمكننا هنا أن نحيط بجميع المواضيع المطروقة ولكننا نتناول نماذج منها:

1- بيان حول مشاركة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد في الوزارة التفاوضية المعلنة في 17 أوت 1950 م:⁷

جاء هذا البيان الممضي من طرف محمد بن عبد الكريم الخطابي⁸ بالقاهرة في 08 شوال 1370 هـ الموافق ليوم 12 جويلية 1951 كتعبير عن وحدة وشرعية النضال بشمال إفريقيا قاطبة، حيث يعبر هذا المقال عن اهتمام مغربي بالقضية التونسية في جريدة جزائرية وهو أمر لا يحتاج إلى الكثير من التعليق فيما يخص وحدة نضال شمال إفريقيا واهتمام أهل المغرب العربي كله بالقضية التونسية وبقضاياهم المشتركة الأخرى.

⁷ - محمد بن عبد الكريم الخطابي، "بيان من سمو الأمير محمد عبد الكريم الخطابي حول الوضعية الحاضرة في تونس"، جريدة المنار، ع 06، س 01، 30 جويلية 1951، المصدر السابق، ص 04.

⁸ - يتكلم هنا السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي بصفته مسؤول لجنة تحرير المغرب العربي التي تأسست في 05 جانفي 1948 وضمت الأحزاب الوطنية الاستقلالية لثلاثة دول من المغرب العربي وهي: تونس والجزائر والمغرب الأقصى. يراجع: امحمد بن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة، دراسات ووثائق، منشورات عكاظ، مكتبة جامعة الدول العربية، القاهرة، 1992، ص 52، 53.

ومن جهة أخرى، فإن هذا البيان يعكس حرص محمد بن عبد الكريم الخطابي وحسه الوطني والثوري، لا فيما يخص القضية المغربية وحدها، وإنما في كل ما يهم القضية المغربية المشتركة، والتي يراها قضية واحدة غير مجزأة.

حمل محمد بن عبد الكريم الخطابي الحزب الحر الدستوري الجديد مسؤولية كبيرة في هذا البيان الذي صدر كرد فعلي متأني (بعد ستة أشهر) من انضمام الحزب الدستوري الجديد التونسي إلى ما سمّته فرنسا آنذاك "الوزارة التفاوضية". وهي الوزارة التي أنشأتها فرنسا في تونس بتاريخ 17 أوت 1950 "من ستة من الوزراء التونسيين، وستة آخرين من الفرنسيين وشارك فيها الحزب الحر الدستوري الجديد بوزير واحد. وكان مفهوما عند الجميع -حسب البيانات الرسمية- أن الوزارة قامت على أساس الوضعية الاستعمارية المفروضة على البلاد، وهذا ما أدخل الريبة في نفوس جميع الوطنيين لا في تونس وحدها، بل في كافة أقطار المغرب العربي".⁹

تأسست هذه الوزارة كما جاء في مذكرتها إلى الحكومة الفرنسية في 17 أوت 1950 كما جاء في بيان الخطابي، وكانت أهدافها التي نشأت من أجلها كالتالي:

- 1- انفراج الأزمة السياسية.
- 2- الإسراع في إنجاز إصلاحات جوهرية قاضية بالسير بالبلاد التونسية تدريجيا نحو الاستقلال الداخلي.¹⁰

وعلى عكس ما كان يرى الخطابي، فإن الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد كان يرى أن الوضع في تونس ليس وضعاً استعمارياً بالمعنى الحقيقي للكلمة. لأن الحقيقة بالنسبة للوزارة هذه هي عكس ما تراه فرنسا التي تريد إخضاع تونس لسيطرتها، وهي مناورة اعتمدها الوزارة لكسب معركة الاستقلال الداخلي لتونس وذكرت بذلك الإدارة الفرنسية في مذكرتها هذه: "إن معاهدة 1881 أبقت لجلالة الباي سيادته الداخلية، ومن المعلوم أن هاته المعاهدة جاءت في شكل اتفاقية بين دولتين. إلا أن اتفاقية 08 جوان 1883 وهي أول نص جاءت فيه عبارة الحماية تضمنت "تسهيلا عن الحكومة الفرنسية للقيام بحمايتها فإن جلالة الباي يتعهد بإجراء الإصلاحات الإدارية والعدلية

⁹ - الخطابي، المقال السابق.

¹⁰ - الحكومة التونسية، "مذكرة الحكومة التونسية للحكومة الفرنسية بتاريخ 31 أكتوبر 1951". بجريدة المنار،

ع 11، س 01، السبت 09 ربيع الأول 1371 هـ الموافق لـ 08 ديسمبر 1951، 01 - 03.

التي تراها الحكومة الفرنسية صالحة". فليس في ذلك تنازل من جلالة الباي عن سلطته لفائدة الحكومة الفرنسية بل مجرد التزام من جلالته باتخاذ الإصلاحات التي تعتبرها الحكومة الفرنسية مفيدة. والأحرى فليس في ذلك تخل من جلالته عن سلطانه إذا بقي متمسكا بحقه التشريعي ما لم يكن هذا الحق مخالفا لما جاء في معاهدة 12 ماي 1881¹¹.

وذلك رغم ما حاولت إدارة الاحتلال تجاوزه من خلال بنود اتفاقية المرسى المؤرخة في 10 نوفمبر 1884¹² والتي "عهد فيما (الرئيس الفرنسي) للمقيم العام المصادقة نيابة عن الحكومة الفرنسية على إصدار جميع الأوامر العلية وتنفيذها داخل المملكة التونسية، جاعلا من هذا الموظف الفرنسي السامي صاحب الحل والعقد في البلاد، وله وحده السلطة التي تكسب القوانين القوة التنفيذية"¹³.

وواضح هنا أن الوزراء التونسيين في هذه الحكومة، يريدون دفع فرنسا إلى الاعتراف بأن الباي لم يتنازل عن حكمه ولا عن تشريعه ولا عن إدارته للبلاد التونسية. فإذا تمكنوا من ذلك انتزعوا الاستقلال الداخلي لتونس بكل سهولة سياسية. بل وكانوا يعتبرون سياسة المراحل هذه هي رد على الاستعمار الفرنسي الذي "ادعى أن التونسيين غير قادرين على إدارة شؤونهم بأيديهم وأنه سيعمل جادا على مساعدتهم ومعونتهم حتى يصبحوا قادرين على ممارسة سيادتهم بأنفسهم وإلى أن يحين ذلك الوقت فإن سياسة المراحل والإصلاحات أمر لا مناص منه"¹⁴. للوصول إلى تحقيق "الاستقلال الداخلي الذي

¹¹ - نفسه. ومهم هنا أن نذكر ما جاء في معاهدة 12 جمادى الثانية 1298 هـ الموافق لـ 12 ماي 1881 التي وقعت بعد احتلال تونس بداية من احتلال بئررت في 01 ماي قبل أن يصل فيلقا الجنرالين موران (Mourand) و بريار (Bréart) إلى الجديدة فيما بين 08 و 11 ماي، قبل أن يصل الأخير في اليوم الموالي إلى البارود وهو قصر الباي ويفرض امضاء المعاهدة حيث صرح الباي محمد الصادق بقوله: "نظرا إلى استعمالكم القوة لامضاء المعاهدة فإنه لم يبق لي إلا الخضوع" ورد عليه الجنرال: "أسجل رضاكم دون أن اهتم بردود فعلكم". عبد الرحمن تشابجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881 - 1913، ترجمة عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، ط 01، تونس 1970، ص 126 - 130. وكذلك: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط 03، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373 هـ، ص 178. وكذلك علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، سراس للنشر، تونس، 1986، ص 60. و 152 - 156.

¹² - يراجع في بنود معاهدتي البارود والمرسى: المحجوبي، المرجع السابق، ص 152 - 156.

¹³ - مذكرة الحكومة التونسية، المقال السابق.

¹⁴ - محمد التميمي، "تطور القضية التونسية"، بجريدة المنار، س 01، ع 12، ص 01، 02.

القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية د. مصطفى عبيد

يقتضي تخويل البلاد التونسية سيادتها الداخلية متمتعة بحكمها الذاتي وسائرة بمؤسساتها حسب عبقريتها. وهذا الاستقلال الداخلي الذي هو عربون الصداقة الفرنسية التونسية يجب انجازه في القريب، ويجب من الآن ابرازه رسميا في النواحي الثلاث: ناحية الحكم وناحية التشريع وناحية الإدارة. أما في الحقل الإداري فتونسة الحكومة أصبحت أمرا ضروريا، وعندئذ يستعين الوزراء التونسيون بأخصائيين فرنسيين وذلك لأداء واجباتهم على الوجه الأتم، ولإعداد موظفين إداريين متصفين بالخبرة والبراعة حسب المنهاج الإداري الفرنسي. وبذلك نتجنب ازدواجا فعليا في قلب الحكومة التونسية لا تخفى مضرته في سير دواليب الحكم ولا آثاره السيئة على الصداقة التونسية الفرنسية"¹⁵.

اعتبرت الحكومة الفرنسية موقف الحكومة التونسية هذا موقفا معاديا لكل اتفاقات وبنود التعاون السابقة، وعرقلة لسير الاصلاحات المأمول انجازها بتونس فظهرت أزمة تونسية - فرنسية، اضطر نشطاء تونس إلى عرضها على هيئة الأمم المتحدة "فسافر إلى باريس الوزيران صالح بن يوسف أمين حزب الدستور الجديد ووزير العدالة، ومحمد بدره وزير الشؤون الاجتماعية في الوزارة التونسية، لتقديم قضية تونس أمام هيئة الأمم المتحدة"¹⁶. وهذا الموقف الفرنسي المماطل والهادف إلى الحيلولة دون استقلال تونس، هو ما كان يخشاه محمد بن عبد الكريم الخطابي. الذي رأى أن الحزب الحر الدستوري الجديد قد ارتكب خطأ سياسيا جسيما حين اشترك في هذه الحكومة وذلك للأسباب التالية:

01 - أن الحكومة التفاوضية هذه هي حكومة استعمارية. وذلك لكونها "قامت على وضعية استعمارية" من جهة. كما أنها أمضت في فيفري 1952 على اتفاق مع الفرنسيين "يقضي بأن تكون الوزارة التونسية برئاسة وزير تونسي، إلا في حالة

¹⁵ - مذكرة الحكومة التونسية، المقال السابق.

¹⁶ - المنار، "القضية التونسية في هيئة الأمم المتحدة"، ص 01، ع 14 جانفي 1952، ص 02. ومن الجيد هنا الإشارة إلى أن الوفد التونسي هنا استعان بالدول العربية في إطار وحدة النضال المشترك فقام رئيس الحكومة العراقية آنذاك السيد محمد فاضل الجمالي بضم الوفد التونسي إلى الوفد العراقي رغم الاحتجاج الشديد للحكومة الفرنسية. ينظر: عبد الله مقلاتي، "محمد فاضل الجمالي رئيس الوزراء العراقي والثورة الجزائرية"، المجلة التاريخية المغربية، ص 38، ع 143، 144، أكتوبر، 2011، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 357 وما يتبعها.

الطوارئ فيتولى رئاستها المقيم العام الفرنسي، على أن يكون تأليفها من ستة من الوزراء التونسيين وستة من الوزراء الفرنسيين... كما يشتمل الاتفاق على ادخال تغييرات أخرى في الإدارة التونسية يتعلق بتحديد نسبة الموظفين التونسيين بها وتوزيع اختصاصاتهم".¹⁷ كل هذا اعتبره الخطابي ترسيخا للاستعمار لا للتحرر الذي ينشده الحزب الدستوري ويناضل من أجله.

02 - خطورة وعدم جدوى سياسة المرحلة التي انتهجها الحزب الحر الدستوري في تعامله مع السياسة الاستعمارية " لقد تكشف هذا الاتفاق عن النوايا الحقيقية التي يكنها الفرنسيون من وراء سياسة المراحل التي يطلبون من الوطنيين قبول الاشتراك في الحكم على أساسها فهي لا ترمي إلى استقلال البلاد، ولكن إلى تعويق هذا الاستقلال عن طريق تضليل الرأي العام بقبول الوطنيين المكافحين لكراسي الوزارة، ورضاهم عن إصلاحات مدخولة ينهون بها ويخفون خطرهما على مستقبل البلاد. ومع هذا فإن الحزب الحر الدستوري لم يقيم أي وزن لهذا الخطر، وظل مشتركا في الوزارة القائمة".¹⁸

03 - عدم تحقيق ما تم الوعد به: " وتتابعته الشهور بعد ذلك والوزارة التفاوضية كما أطلق عليها لا تتقدم خطوة واحدة في سبيل تحقيق الأماني الوطنية... "

04 - خروج الحزب الحر الدستوري الجديد عما كان قد تم الاتفاق عليه مع بقية الأحزاب التونسية " في 23 أوت 1946" وكذا عن مبادئ سياسة الأحزاب الاستقلالية بالمغرب العربي وهو طرف منها. حيث قال الخطابي: "... إذ أن المبادئ التي تقوم عليها الأحزاب الاستقلالية المغربية (يقصد المغربية) والمواثيق التي تربط بينها، وميثاق لجنة تحرير المغرب العربي التي تنضوي تحت لوائها. كلها تعتبر الأوضاع القائمة في أقطار المغرب أوضاعا استعمارية لا يجوز الاشتراك في الحكم على أساسها. بل يعد نقضا لمبدأ الاستقلال الذي تنادي به عدة أحزاب. هذا علاوة على ما تعهدت به الأحزاب المشتركة في اللجنة من عدم الدخول مع الفرنسيين في مفاوضات لأجل تحقيق بعض الإصلاحات الجزائرية، نظرا لما بينته التجربة في الأقطار الثلاثة من أن كل إصلاح لا يمكن أن يكون

¹⁷ - الخطابي، المقال السابق.

¹⁸ - نفسه.

سليما إلا إذا كان موجها من الوطنيين أنفسهم، وفي ظل حريتهم واستقلالهم".¹⁹

ولابد أن ننوه هنا إلى أن الخطابى ورغم قساوته وتبرئه من عمل الحزب الدستوري التونسي الجديد إلا أنه لم يحكم عليه بالعمالة للاستعمار أو شيء مما قد يتبادر للأذهان، بل لم ينف عنه صفة الوطنية حين قال: "فهي (سياسة المرحلة) لا ترمي إلى استقلال البلاد، ولكن إلى تعويق هذا الاستقلال عن طريق تضليل الرأي العام بقبول الوطنيين المكافحين لكراسي الوزارة، ورضاهم عن إصلاحات مدخولة ينوهون بها ويخفون خطرهما على مستقبل البلاد".²⁰

وفي النهاية يخلص الخطابى إلى التبرؤ التام من انضمام الحزب الدستوري التونسي الجديد إلى هذه الحكومة فقال: "لهذا كله فإننا نعلن استنكارنا لمشاركة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد في هذه التجربة، ونعتبر هذه المشاركة إخلالا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، واعترافا بأوضاع لا تقبها. كما نعلن معارضتنا الشديدة لما أسفرت عنه هذه التجربة لمنافاته للأمانى الوطنية، ومساسه بجوهر السيادة التونسية التي يجب أن تكون من حق التونسيين وحدهم لا يشاركون فيها غيرهم. وندعو الحزب إلى سحب ممثله فورا من الوزارة، والرجوع إلى ميدان الكفاح الصحيح على أساس المبادئ الاستقلالية التي أقرتها اللجنة، وارتبطت بها الأحزاب في كافة أقطار المغرب العربي. كما أننا ننبه الحزب إلى أن استمراره في هذه التجربة سوف لا يقتصر خطره على تونس وحدها، بل سيلحق القطرين الشقيقين: الجزائر ومراكش أيضا. وإنه الآن أمام مسؤولية كبرى، هي مسؤولية المحافظة على كيان الحركة الاستقلالية في أقطار المغرب العربي كله، وعدم تعريضها إلى التصدع والانهيار بسبب تحويل اتجاهها، والإخلال بمواثيقها، وتعريض وحدة التضامن فيما بينها إلى التمزق والانحلال... وبهنا أن نؤكد أن لجنة تحرير المغرب العربي التي ينضوي تحت لوائها جميع الأحزاب الاستقلالية المغربية لا تتحمل أية مسؤولية في السياسة التي ينتهجها هذا الحزب ما دامت تخالف مبادئ

19 - نفسه.

20 - نفسه.

ميثاقها، كما تتبرأ من أي عمل يصدر عنه مادام لا يرجع إليها لمعرفة رأيها مقدما حسبما ينصّ عليه ميثاقها".²¹

وقد أكدّ الواقع أن الخطابي كان صائبا في تحليلاته كما سيأتي من خلال ما سنستشهد به، كما أن الحزب الحر الدستوري الجديد كان -هو الآخر- يأمل في استخلاص مجموعة من الإصلاحات التي تخفف عن الشعب التونسي وطأة الاستعمار الفرنسي الذي عاد بعد الحرب العالمية الثانية وكله بطش "لقد كان الوطنيون التونسيون أثناء المفاوضات الطويلة الممطّطة يفكرون في سلامة طوية، كيف يستعملون تلك الإصلاحات الهزيلة التي كلفهم التحصيل عليها كثيرا من التنازلات، وكثيرا من الوقت والأتعاب، لفائدة تحرير بلادهم، ورفق شعهم. بينما كان الاستعمار الفرنسي يبرئ البرامج الجهنمية للقضاء على الحركة الوطنية التونسية، ويمطط المفاوضات لربح الوقت، علّه يستطيع التخلص من الصعاب التي يتخبط فيها في البلاد الأخرى، وتحضير هذه القوات الهائلة التي تفتك اليوم بشعب أعزل إلا من الإيمان بشرعية مطامحه في الحرية والاستقلال. هذه هي حقيقة المؤامرة التي دبرها الاستعمار للشعب التونسي وحركته الوطنية التحريرية، والتي نشاهد اليوم محاولة تنفيذها في صورة لا تختلف كثيرا عما عرفه الجزائريون أثناء حوادث 08 ماي 1945".²²

وكانت هذه المواقف في وقت كانت القوات الفرنسية تقوم فيه بحملات تمشيط واسعة بمنطقة الرأس الصالح، متزامنة مع تصريحات استقلالية (الاستقلال الداخلي) للحبيب بورقيبة، الذي كان تحت الإقامة الجبرية آنذاك. ورغم كل ذلك إلا أن تصريحات رئيس الحكومة الفرنسية السيد إدغارفور القاضية بأن حكومته تبذل كل ما في وسعها لاستعادة الهدوء بالتراب التونسي متناسيا أن قوات الليف

²¹ - نفسه. وبالفعل نجد أن الحزب الحر الدستوري الجديد واصل على نفس المنهج الذي كان قد اتفق عليه مع الأحزاب الاستقلالية بالمغرب العربي، وذلك من خلال اجتماع الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا بباريس يوم 02 فيفري 1952 والتي تعهدت بمتابعة الكفاح ومضاعفته في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار والوصول بأقطارها -في دائرة ميثاق الأمم المتحدة- إلى نظام دولي ديمقراطي متمتع بسيادته... يراجع: محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، مؤسسة الضحى، ط 03، الجزائر، 2009، ص 50، 51.

²² - المنار، "دروس التجربة التونسية"، ص 01، ع 16، 15 فيفري 1952، ص 04.

الأجنبي آنذاك قد عاثت في الأرض فساد.²³ مما جعل الحركة الشعبية تعمل على تنظيم المظاهرات بمختلف أنحاء البلاد التونسية استنكارا لعمليات الزجر والارهاب.²⁴ وكان من المستحيل أن يكون الهدوء بتونس في ظل عدم الاستقلال الداخلي، وتماطلات حكومة إدغارفور، وعبث اللفيف الأجنبي.

2- صدى اغتيال المناضل فرحات حشاد يوم 05 ديسمبر 1952 بجريدة المنار:

فرحات حشاد هو أكبر نقابي تونسي ومغربي على الإطلاق، عمل طوال حياته النقابية على التمكين للحركة العمالية التونسية والمغربية بصفة عامة على تحسين أوضاعها المهنية والاجتماعية. كما انتقل بها إلى أن جعلها سندا قويا للحركات الاستقلالية والتحريرية في المغرب العربي. مما اضطر فرنسا الاستعمارية إلى اغتياله عن طريق فرق الميليشيات والمرتقة، رغم مناداتها (فرنسا) بالديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل النقابي "في ظل رسالة فرنسا "التمديدية" وتحت رحمة القوانين "الديمقراطية" الفرنسية، وفي عهد المقيم الفرنسي دوهوت كلوك، وعلى إثر التهديد الذي وجهته الحكومة الفرنسية إلى سمو الباي، وبينما تناقش اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة قضية تونس، في هذه الظروف التاريخية يجرؤ بعض الأندال على اغتيال أكبر زعيم نقابي تونسي".²⁵

ومن المعروف عن فرحات حشاد انه قد تمكن من "تنظيم الطبقة العاملة التونسية وتكتيلها حول الحركة التحريرية التونسية ونفخ فيها روح الكفاح والصبر، فكانت دائما في المقدمة تكافح في سبيل تحسين حالتها المادية والمعنوية، وتكافح من أجل تحرير بلادها. وكانت تضحي -راضية- بمصالحها الخاصة في سبيل التحرير القومي العام ... هذا المناضل البسيط المتواضع لا يمكن أن يخلفه أحد بعينه، لأن شخصيته الفذة وأفكاره النيرة وأعماله العظيمة طبعت جيلا كاملا من الشغاليين التونسيين، وتركت خطة واضحة المعالم لرفاقه المقربين، ومساعديه الأوفياء. فهذه النخبة المختارة من مساعديه، وهذا الجيل الذي طبعه فرحات حشاد بطابعه

²³ - محمد المتيجي، تونس في مجلس الأمن، جريدة المنار، س 01، ع 16، 15 فيفري 1952، ص 01.

²⁴ - محمد المتيجي، النصر للشعب التونسي، جريدة المنار، س 01، ع 18، 14 مارس 1952، ص 01.

²⁵ - محمد محفوظي، جريمة فظيعة لا تغتفر في تونس، جريدة المنار، س 02، ع 13، 12 ديسمبر 1952، ص

الخاص، هو الذي يخلف فرحات حشاد ويضطلع بإتمام رسالته في البلاد التونسية".²⁶

ويبين المقال أن فرحات حشاد كان مغاربي التفكير، قوي العزيمة من أجل توحيد نضاله العمالي وجعله حلقة مكملة للنضال السياسي لا يكتمل إلا بها " فكان لهذا شديد الإيمان بالوحدة المغربية، وكان يصنع الخطط لتنظيم العمل التونسي والجزائري والمراكشي في جامعة نقابية واحدة. وكان يقول: "ما معنى إضراب عمال الفسفاط في تونس، إذا كانت الشركات المستغلة توجه كل قواتها لإنهاك عمال الفسفاط في مراكش، لتعويض خسائرها؟" وكان لهذا شديد الاهتمام بكفاح العمال الجزائريين والمراكشيين. كثير الاتصال بهم وله بينهم أصدقاء عديدون".²⁷

كما أن عبد الحميد مهري وضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك، أن النضال النقابي المغاربي لدى فرحات حشاد لم يكن سوى وسيلة وليس غاية في حد ذاته: "ولم تكن هذه الجامعة النقابية المغربية غاية عند حشاد، بل كان يراها خطوة أولى تفتح الطريق لتكوين جبهة سياسية بين الأحزاب والهيئات المغربية... وتمكن رحمه الله من تغذية بذور الوحدة المغربية في صفوف العمال من جزائريين وتونسيين ومراكشيين وجعلهم يتطلعون إلى اليوم الذي تبرز فيه جامعة النقابات المغربية إلى الوجود".²⁸

ويظهر لنا بوضوح أيضا أن من بين العوامل التي ركّز عليها حشاد من أجل انجاح أهدافه السياسية هي تدويل القضية التونسية: "...ولم يغب عن فرحات حشاد -وهو الرجل الواقعي- أهمية كسب الأنصار في الخارج فكان يعمل جاهدا في هذا المضمار، يرأسل ويسافر، ويحضر المؤتمرات، ويكتب في المجلات العالمية، ويدعو الشخصيات العالمية لحضور المؤتمرات والاجتماعات التي يشرف على تنظيمها وإدارتها. ويعرضها على العالم صورة حية ناطقة لمجهود الطبقة العاملة التونسية وقدرتها على تنظيم الكفاح. وقد حقق فرحات حشاد الكثير من أفكاره في

²⁶ - عبد الحميد مهري، "فرحات حشاد المناضل"، جريدة المنار، س 02، ع 13، 12 ديسمبر 1952، ص 01.

²⁷ - نفسه، ص 04.

²⁸ - نفسه، ص 04.

القضايا التونسية في جريدة (المنار) الجزائرية د. مصطفى عبيد

صبر وأناة وعمل متواصل، وجعل الكثير من قادة الرأي في المغرب العربي يؤمنون بأفكاره التي لم يتح له أن يشهدها حقيقة قائمة...وقد ظل فرحات حشاد يبشر بأفكاره هذه في الأوساط النقابية العالمية ويكسب لها الأنصار، فأعلن بذلك على اخراج القضايا المغربية إلى النطاق العالمي".²⁹

²⁹ - نفسه، ص 04.

خاتمة:

لقد عاش أبناء المغرب العربي عيشة ضنكى تحت سياسة المستعمر الفرنسي بكل من تونس والجزائر والاستعمار المزدوج الفرنسي الاسباني بالمغرب الأقصى. فهب أبناؤه إلى النضال أمليين وعاملين على توحيده، فنشأت الصحف وتناولت القضايا المشتركة، وانبرت الأقلام فكان أصحابها في قمة الجهاد بالكلمة وبالقلم. وهذا ما حاولنا أن نظهره في هذه المقالة الموجزة، التي حاولنا فيها استخراج النصوص التي تعتبر بالنسبة لنا مصادر حية عن تلك الجهود المشتركة في مضمار تحرير المغرب العربي وتحقيق استقلاله الذي كان لتونس والمغرب سنة 1956 وكان للجزائر سنة 1962.

البعد السوسيوولوجي في رواية غثيان الغائب لـ "مصطفى ولد يوسف"

جامعة البويرة

الأستاذة: صليحة لطرش

Résumé

Beaucoup de méthodes critiques qui traitent le sens du texte narratif (ou roman) et sa réalité et sa réalité sont perdu entre son lexique et ses expressions, c'est pourquoi il existe autant de méthodes et de théories critiques qui ont pour objectif de saisir cette signification du texte. Il y a même des méthodes qui ont tenté d'appréhender le texte (roman) en dehors de son contexte social. Malgré toutes ces tentatives cela n'a pu être concluant, car la réalité a prouvé que le texte (roman) algérien ne peut être lu et compris sans prendre en compte son environnement et sa communauté sociale. Ainsi il est indispensable de remettre ce texte à son contexte social, il faut donc lors de l'étude critique de ce dernier se concentrer sur sa construction littéraire et ainsi qu'à son contexte social extérieur.

الملخص

إن كثيرا من المناهج النقدية التي تروم معنى النص الروائي، وحقيقته الضائعة بين مفرداته وعباراته لم تستطع الوصول إلى هذه الحقيقة فكان نتاج ذلك تعدد المناهج والنظريات النقدية، التي تسعى إلى الوصول لهذا المعنى، ومن بين هذه المناهج من أرادت عزله عن سياقه الاجتماعي، ورغم كل هذه المحاولات لم يستطع فعل ذلك، والمجتمع الذي تشكل فيه فقد أثبت الواقع أن النص الروائي الجزائري لا يمكن عزله عن بيئته ومجمعه، لذلك لا بد من إعادة هذا النص إلى سياقه النقدي الاجتماعي، ودراسته من خلاله ولكن من دون شطط ويكون ذلك بالتركيز على بنيته اللغوية بقدر الاهتمام بسياقه الاجتماعي الخارجي.

الكلمات والمفاتيح : المناهج النقدية، النص، سياقه الاجتماعي، النص الروائي، البنية اللغوية، النقد الروائي الاجتماعي الجزائري.

Summary

Many critical methods which treat the direction of the narrative text (or novel) and its reality are lost between its lexicon and its expressions, this is why there exists as many methods and critical theories which aim to seize this significance of the text. There are even methods which tried to apprehend the text (Romance) apart from its social context. Despite everything these attempts that could not be conclusive, because reality prove that the Algerian text (Romance) can be read and understood without taking into account its environment and its social community. This Why it is essential to give this text its social context, it is thus necessary at the time of the critical study to concentrate on its construction and its external social context.

تمهيد

الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل العواطف من أفكار، وخواطر، وهواجس بأرقى الأساليب الكتابية سواء كانت شعرا أم نثرا لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن الإفصاح عنه وفي معناها العام يشمل كل ما كتب عن التجارب الإنسانية والإبداعات المختلفة. لذلك فمنذ أن شق "دوركايم" الطريق العلمي أمام دراسة المجتمع، انفتحت أمام الدارس مجالات متنوعة، وأفاق واسعة للبحث في الوقائع الاجتماعية المتنوعة، في طبيعتها وأسلوبها، ولم يعد علم الاجتماع علما نظريا مجردا، يتناول الظواهر والوقائع الاجتماعية في الطلق، بل نزل إلى ساحة الحياة، وراح يعالج هذه الظواهر في حيزها المكاني والزمني، وفي ارتباطها ببعضها البعض، لأن المجتمع كائن حي، تكثر فيه المؤثرات وتعدد التفاعلات،⁽¹⁾. فعلم الاجتماع يتقدم بتقدم الحياة تتطور مجالاتها المختلفة، يقول روبيرت إسكاربيت: «علم الاجتماع يتطور بتطور الحياة ويتفرع بتفرع اتجاهاتها فيتجه إلى معالجة ظواهر إنسانية تكتسب صفتها "الاجتماعية" من جراء اتسامها بصفة الظاهرة العامة»⁽²⁾.

فلطالما كان الإنسان وسيظل المحور،" الذي يدور حوله اهتمام الإنسان، فتتأكد مرة جديدة صحة اتجاه الفلسفة اليونانية، بالتركيز على القول: إن الإنسان "عالم صغير"، وفي الواقع كلما تقدم العلم، رأينا إن دراسة الإنسان هي خلاصة لدراسة الكون."⁽³⁾

فشيوع القول بأن "الأديب ابن بيئته، يتأثر بها كما يؤثر فيها، ليس فقط بين الباحثين الأدبيين وطلاب الأدب، بل حتى بين العامة، يدل إلى أي مدى يتصف هذا القول بميزة الشمول، بحيث يبلغ إلى مرتبة الحقيقة البديهية، التي لا جدال في صحتها، فلا عجب والحالة هذه أن نرى بعض الباحثين، يولون هذه الظاهرة الإنسانية، في صميمها اهتماما يتعدى نطاق الكلام العابر، ليصل إلى ميدان الكلام العلمي المسؤول، ويجعل من الأدب في ركائزه الثلاث -الأدب، النتاج الأدبي القارئ-، موضوعا لفرع من

¹ - روبير إسكاربيت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص05.

² - روبير إسكاربيت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي،، ص05.

³ - روبير إسكاربيت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي،، ص05.

علم الاجتماع متميز نوعيا عن غيره، هو «علم اجتماع الأدب، أو سوسولوجيا الأدب»⁽⁴⁾. ومنذ أوائل القرن التاسع عشر بدأت بوادر اهتمام من قبل المفكرين، بالناحية الاجتماعية التي يفترضها الأثر الأدبي "أثار إسكارييت في هذا المجال إلى مدام سوتال «الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية»، كونه أول محاولة لدراسة منهجية لمفهومي الأدب والمجتمع"⁽⁵⁾.

"من هنا كانت المحاولة مجرد بارقة طليعية لسوسولوجيا الأدب، كما غابت عنها عناصر أساسية لهذا العلم المستحدث، إذ بقيت الناحية الاقتصادية وقضية القراءة، على هامش البحث، ناهيك بمسائل أخرى لقضية انتماء الكتاب الاجتماعي، ووسعهم الثقافي، وحقوق المؤلف والجمعيات الأدبية الخ...، ولا حاجة إلى التركيز على أية سوسولوجيا لا يمكن أن يتم لها استخلاص نتائج، وتأكيد مبادئ وقوانين سوسولوجية. إن لم تنطلق من وقائع معينة وتستند إلى إحصاءات دقيقة، خصوصا بنظر إنسان العصر"⁽⁶⁾.. إلا أن هذا لا يعني أن سوسولوجيا الأدب عبارة عن أرقام، وإحصاءات فحسب، بل تتناول الطبعة الاجتماعية التي ينشأ فيها المؤلفون، بل أن ميولهم الفكرية وعدد النسخ التي تطبع منها الكتاب، وطريقة تمويل طبع الكتاب، أو الربح الذي يحققه المؤلف ونشأه، بل أنها تتناول ويجب أن تتناول إلى جانب هذه الأمور، المقومات النفسية للأدب، أي التي ترتب ارتباطا جذريا بمقوماته العرقية، والظروف الزمانية والمكانية للبيئة، التي نشأ فيها وترعرع، والبيئة العائلية، والوسط الاجتماعي"⁽⁷⁾.

فعلى تعدد الدراسات التي تناولت هذه المسألة أو تلك، من المسائل المرتبطة بالأدب من زاوية اجتماعية، يمكن القول أن سوسولوجيا الأدب ما زالت ترتكز على أفكار رئيسية، وخطوط عريضة لم تلتئم في جسم متكامل الكيان، موحد المنهج، محددة أهدافه ومعين موضوعه لذلك: "وفي طليعة من تحدث عن «سوسولوجيا الأدب» "شوكينغ"، غير أنه في مؤلفه الذي صدر سنة 1931 يطرح أفكارا للتداول وأراء ضلت في نطاق المسائل الصورية... أما المراجع الأخرى فتمتد حتى 1963م، وتجد أن بعض

⁴ - روبير إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص 06.

⁵ - روبير إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص 07.

⁶ - روبير إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص 08.

⁷ - ينظر: روبير إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص 08.

المؤلفين استعملوا كلمة سوسولوجيا، وأشاروا إلى المناهج التي يجب أن تعتمد في سوسولوجيا الأدب.

"في حين نجد لوكاتش" قد وضع سوسولوجيا الأدب و"بيشوا" كتب مقال بعنوان "نمو سوسولوجيا تاريخية للوقائع الأدبية" 1961. في مجلة "التاريخ الأدبي الفرنسي".

وهو الموقف نفسه نجده عند إسكارييت حين وضع دراسة بعنوان "مناهج السوسولوجيا الأدبية"، قدمها في المؤتمر الثاني للجمعية الدولية المقارن 1986⁽⁸⁾... فكانت هذه الدراسات الوضعية تركز على الظروف الخاصة والعامة التي عاشها الأديب، وهذه الظروف تساهم في تكوين شخصية الأديب، وتؤثر على إنتاجها الأدبي.

أولاً: مفهوم المنهج السوسولوجي (الاجتماعي)

«كلمة منهج في الترجمة العربية للكلمة الانجليزية "Methode"، والكلمة الفرنسية "Méthode" وكلاهما مأخوذة من الأصل اليوناني "Methode"، الذي يتألف من مقطعين هما: "Métha" بمعنى بعد، و"hodos" بمعنى طريق، والذي يدل من الناحية الاشتقاقية على معنى "التزام الطريق" أو السير تبعاً لطريق محدد»⁽⁹⁾.

أما المنهج السوسولوجي (الاجتماعي) هو: من المناهج الحديثة، التي أخذت تجذب إليها اهتمام الباحثين، في الأدب العربي، فمع ظهور علم الاجتماع وتقدم دراسته، وتعدد اتجاهاته ومدى تأثيرها على أفرادها، ومدى استجابتهم لهذا التأثير، أو تمردهم عليه وما يكون بينهم وبين مجتمعاتهم، من توافق اجتماعي وفقدان لهذا التوافق، وما تنطوي عليه الحياة البدائية⁽¹⁰⁾.

ويرى بعض النقاد المعاصرين وفي طليعتهم يوسف خليف: "أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة، ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع، والواقع الاجتماعي بنوع خاص، ومن الأوائل المفكرين الغربيين الذين تبناوا هذا الاتجاه "سيمون" "1760-1825م"، وجماعته الذين دعوا لتنظيم المجتمع،

⁸ - روبر إسكارييت، سوسولوجية الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، ص10.

⁹ - يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب، القاهرة، (د.ط.)، 2004، ص11.

¹⁰ - ينظر: يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص36.

والقضاء على الأسرة والفردية وتفاني الفرد في خدمة مجتمعه، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل أبناء مجتمعه، وتحقيقا لهذه الأهداف النبيلة⁽¹¹⁾.

و من هذا المنطلق يمكن اعتبار المنهج الاجتماعي، أيضا كامتداد طبيعي للمنهج التاريخي ولكن في إطار يتسم بالتنظيم والتنظير، الذي يسند لمفاهيم محددة في علم الاجتماع، بل قد يحمل في طياته أبعادا سياسية وإيديولوجية، فالمنهج الاجتماعي يعبر عن هموم المجتمع، وبالتالي فهو المرأة العالمية في مختلف جوانب الحياة⁽¹²⁾.

إذن فقد ساهم أصحاب هذا المذهب، بالرغم مما يوجهه إليهم من انتقادات بوضع أسس جديدة للنقد الاجتماعي، مفادها أن كل قارئ ينتمي للمجتمع، وإلى حياة اجتماعية، فهما اللذان يحددان قراءته، ويفسحان مجالات التأويل للنصوص الأدبية أمامه، كما يجعلانه حرا مبدعا⁽¹³⁾.

ثانيا: سوسولوجية الرواية

إن سوسولوجية (مجتمع) الرواية: هو "السوسيو رواية"، بمعنى هو المجتمع الذي يصنع فيه النص (الروائي)، وتعتبر سوسولوجية الرواية محط اهتمام السوسيو نقد والسوسيو رواية، فهي التي تسمح بقراءة: "المجتمع في النص (الروائي)"، وبذلك يمكن تعريف لفظة: «السوسيو (الرواية) في اشتقاقها كاجتماعية (الرواية)، وفي الحقيقة هذا يعني المجتمع عندما تصنعه (الرواية)، بدون أن يكون أكثر مما تسميه الكلمات أو تصفه في (الرواية)»⁽¹⁴⁾.

أي أن مجتمع الرواية هو المجتمع الذي تصوره الرواية، من خلال الكلمات أو بتعبير آخر هو المجتمع الذي يصنع الرواية، وحسب "دوشي" فـ: «إن حقيقة الرواية أو المهمة التي تسعى لتحقيقها، هي إعادة خلق الواقع وتجسيد أوهامه، على منوال "لم يقل بعد" أو "لا... بعد"»⁽¹⁵⁾، وهذا يعني أن الرواية عند "دوشي" مجال خصب، يمكن أن

¹¹- يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي ص36.

¹²- ينظر، بوعلي كحال، محاضرات في المدارس النقدية المعاصرة، مخطوط، 2010-2011، ص05.

¹³- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص87.

¹⁴- Henery Hervais Sima Eyi, lecture sociocritique du Roman gabonais, pour l'obtention du garde du philosophie Docteur (ph, D), Université Laval Que Bec, Canada, 1997, p49.

¹⁵- غلودمان لوسيان، مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري عيون المقالات العدد6-7 المغرب 1987ص65.

تمثل المجتمع بطريقة جيدة، في الأعمال الأدبية ويمكن اكتشاف الطريقة التي يصنع بها المجتمع الأعمال الأدبية وحضور هذا المجتمع في الرواية لا يعني أنه: «مجتمع حقيقي حيث كلمات النص توضح، أنه مجتمع لا يحتوي إلا على "دلالة... دلالة محتملة، بدون دلالة، دلالة خالصة"، وحضور المجتمع في الرواية عند دوشي مستقبلة لكل الكتابات، التي تخضع لسيطرة الاحتمالية»⁽¹⁶⁾، لأن هذا الحضور ليس حضورا ثابتا لا يتغير، بل هو حضور خاضع للاحتمالية.

مجتمع الرواية يشارك الخطاب الاجتماعي، وهي مناسبة حسب دوشي «امتداد المجال، فكل خطاب يخص مجتمع بذاته، وأيضا مجتمع الرواية»⁽¹⁷⁾، وأما "انجينو" فيعتبر الخطاب الاجتماعي: «كل ما قيل وكتب في حالة المجتمع، كل الذي طبع، كل الذي تحدث به علنا أو المقدم اليوم في الإعلام الإلكتروني، كل الذي يحكي ويثبت، إذا افترضنا أن الحكي والإثبات هم رمزا لوضع الخطاب»⁽¹⁸⁾، فمجتمع الرواية في هذه الحالة كل ما يتعلق بالمجتمع، وبالخطاب الاجتماعي ومضمونه وسياقاته، غير أن "دوشي" ركز في دراسته لمجتمع الرواية على الخطاب النصي.

فمجتمع الرواية هو مزيج بين النص والمجتمع، والمجتمع هو الذي يقوم بعملية تشكيل النص، وينشر فعله فيه، وبصورة عامة «الخطاب الاجتماعي يكشف الأفق الإيديولوجية، (النصية - الخارجية، Extra textuel)، إنه فعل داخل للخطاب الاجتماعي»⁽¹⁹⁾، فالإيديولوجية تسجل في مضمون الأعمال، وتحليل الخطاب الاجتماعي لا يبحث في النص (الروائي) عن الإيديولوجية فقط، بل يبحث أيضا عن النصية والجمالية الموجودة في الخطاب، هذا الأخير الذي: «وجد قبل الرواية، وبالنسبة إليه يشكل بارز واضح»⁽²⁰⁾، فالخطاب الاجتماعي سابق عن الرواية، وأثره واضحة جلية في الأعمال الروائية، وبالنسبة لـ "روجين روبين" الخطاب الاجتماعي «هو عبارة عن ضجة

¹⁶- غلودمان لوسيان، . مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتمصم مراجعة، محمد البكري ص49.

¹⁷- غلودمان لوسيان، . مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتمصم مراجعة، محمد البكري ص49.

¹⁸- Hénery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61.

¹⁹- Hénery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61

²⁰- غلودمان لوسيان، مقدمات في سوسولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودي، ص125.

إجمالية، غير متماسكة، ذات تصدعات موصولة ومتراصة، وهو صوت الجماعة "نحن no"، وهو رواج الآراء الشائعة، وهو موجود مسبقا، وما سبق قوله، وما يؤدي وظيفته بوضوح على شكل افتراضات أو مسلمات قبلية، أو كل ما تبلور وكل جماد، وهو العادات السيئة، وما لم يقل واللاتكبير، وهو الجمع المشتت وضوضاء العالم، الذي سيصبح مادة نصبة (روائية)⁽²¹⁾، وما يمكننا قوله عن سوسولوجيا الرواية، أنها تسعى لتحقيق فعل القراءة بطريقة أساسية وعميقة فالنص لا يكون تاما ويستطيع تحقيق كيانه إلا بعد قراءته، والقراءة التي نتحدث عنها في هذا المجال ليس القراءة السطحية، والسريعة الخاطفة من دون تدقيق لا تمنع، بل ما تسعى إليه سوسولوجية الرواية، الوصول إلى قراءة عميقة ودقيقة، تأخذ وقتها في ملاحظة كل لفظة، وكل كلمة أو جملة أي القراءة التي تتمكن فك رموز النص، وتستطيع استنباط الذي قيل فيه، والذي لم يقل بين سطور الكلمات، والصمت الموجود في النص، أي تحقيق الجسر الذي يربط عالم الرواية الداخلي، بكيئونه الخارجية إيديولوجيته.

ثالثا: علاقة الرواية بالمجتمع

إن الأدب بأشكاله المختلفة، ولنا أن نتوسع فنقول: "جميع أشكال الفكر البشري" يحيل إلى مرجعية أولى، هي الصراع بين ما لم يوجد، وما يجب أن يوجد. «والرواية من حيث هي ضرب من ضروب الإبداع الفكري، ولكونها أكثر الأشكال الأدبية قابلية لتجسيد الواقع بكل ما فيه»⁽²²⁾، كانت خير شاهد على ما يحمله الخيال الإنساني من إمكانات، «فهي عمل درامي... يضحى في النهاية معادلا فنيا للواقع وعملا تخليا قادرا على الانتقاد والاختيار، وإبرازا لكل ما هو جوهري في الحياة، بغية تكميل ما نقص منها، ومن ثم تغدوا تصورا للممكن والمحتمل، أي أنها لا تتوجه إلى ما هو كائن فقط، بل لما ينبغي أن يكون»⁽²³⁾، بحيث أضحت الرواية مرآة عاكسة للمجتمع، تعكس أحوال أفرادهم وظروفهم، مصورة محاسنهم ومساوئهم، مجسدة لكماليات البعض

²¹ - Henery Hervais, lecture sociocritique du Roman gabonais, p61.

²² - لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، منشورات أمانة، عمان، 2004، ص40.

²³ - ينظر: عبد الفتاح عثمان: الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع (دراسة تحليلية فنية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص11.

واحتياجات البعض الآخر كل هذا في قالب درامي خاص، تستسيغه الأنفس الحاملة، والأبصار الزائغة، والقلوب الوجلة، لتجد فيها الملاذ الأمن، والسكينة المطلقة، ولو في بضع صفحات، فهي على تقدير "ولسون" أداة لمعرفة الذات أو لخلقها كما يقول: «إن الرواية هي في الأساس نوع من مرآة الحلم، التي يحاول فيها الروائي أن يعكس نفسه الجوهرية... فلا تستطيع أن تخلق إلا نفسك»⁽²⁴⁾.

فالرواية وقفة للبحث عن الماهية، عندما يجلس اليوم كاتب شاب أمام حزمة الأوراق وقلمه بيده، فإن السؤال الذي يواجهه ليس ببساطة ماذا أكتب؟ بل من أنا؟ ماذا أبغي أن أكون؟⁽²⁵⁾.

فالكاتب ينبغي عليه أن يملك فكرة حول ما يريده، إضافة إلى ما لا يريده، وهذا النزوع البشري الفطري للارتباط بما سيكون، والرغبة في تحقيقه، هو الذي يدفع الروائيين كافة للتعبير عن أحلامهم، في الأعمال الإبداعية، فالروائي العربي عاش حالة الانكسار نتيجة للواقع الرديء، الذي ألقى بكل هزائمه وإحباطاته دون أن يمنح أحدا بصيصا من الأمل، فأخذ الراوي يسعى إلى تجاوز هذه الحال، مراهنا بقوة على المستقبل ومحاولا تفعيل قيم الرفض والفعل، ودفعها إلى الأمام، يقول محسن الموسوي: «إذا أريد للرواية العربية أن تفخر بشيء، تفخر بطردها الوجودي لمأساة الإنسان العربي...، الذي تسهم العائلة والحكومات وقوى الاغتصاب والاحتلال جميعا، في سحقه والبطش به، لكن كل هذا العذاب المأساوي يحمل في داخله بذور الوعي والانبعاث والتجدد»⁽²⁶⁾.

ولما كان للإنسان وجود اجتماعي متطور، والحياة الإنسانية لا يمكن أن تتحقق إلا في وسط جمعي، فإن الأعمال الأدبية من شعر ونثر لا بد أن تكون متأثرة بعناصر مستمدة من المجتمع، بمعنى أن ذكاء الأديب أو الشاعر وخياله وتصورات ومدرجاته الحسية والعقلية، لا يمكن أن تكون فردية خالصة، بل لا بد أن تكون في بعض أصولها مستمدة من مصادر اجتماعية، والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى من أفات ومشاكل اجتماعية مثل القيادة في المجتمع والزعامة، وموجات الانتحار والقمع النفسي... والهزات الثورية المؤثرة في نفسية الجماهير، كل هذه الظواهر وما إليها التي قد تبدوا في أول الأمر

²⁴- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، 1986، ص 27.

²⁵- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، ص 21.

²⁶- محمد الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص 144.

ظواهر فردية، متأثرة بمنطق الأفراد، إنما ترجع حقيقة أمرها في أصولها، إلى دوافع وأسباب اجتماعية، يجسدها الكاتب أو الروائي في أعماله النظرية.

وما يمكننا أن نقوله عن علاقة الرواية بالمجتمع، أنها علاقة "تأثير وتأثير" تتأثر الرواية بأحوال المجتمع، فتؤثر فيه بإعادة صياغة أحواله، وفق أسلوب منمق، ما يمنح المجتمع وجهة نظر جديدة، ومن بين الأمثلة الكثيرة نجد أن الرواية الجزائرية تعكس الواقع بمختلف صوره ومعطياته، وتعدد أشكاله فالشكل الواقعي للرواية يستمد من الواقع الاجتماعي، قبل أن يكون واقعا روائيا، يقول: "ميشال زرافا، **Michael Zerafa**:" «إن الشكل الذي تجسده الرواية، موجود في الواقع قبل وجوده في الرواية، لكن الكتابة هي التي تشكله»⁽²⁷⁾، وهناك من يرى أن دلالة العمل الأدبي لا توجد إلا في هذا العمل، ولا تدل على شيء آخر غير ذلك، ولا ترتبط بالواقع مطلقا، وليس لها علاقة به ونجد ذلك عند "تودوروف، **Todorov**".

إذ يقول: «بتحليلنا للمظهر الأدبي للنص، لا نكف عن مساءلة دلالة عناصر الحكاية، ولكن هذه الدلالة لا توجد إلا على الكتابة وليست في المرجع»⁽²⁸⁾. ويؤكد هذه النظرة "رولان بارث" بحيث ينتفي أي علاقة بين النص الأدبي – الرواية- والواقع وبذلك لا يمكن أن تكون هناك دلالة واقعية للعمل الأدبي، وذلك ما يتضح في قوله "رولان بارث": «يبدو اليوم أكثر فائدة التركيز على مسألة كل عمل أدبي على انفراد، واعتباره عالما وحيدا معزولا، أي كشيء لا يجد علاقة بين الموضوع والتاريخ، واعتبار العمل الأدبي مكتملا غير قابل للتصنيف»⁽²⁹⁾.

ما نستخلصه من هذه الآراء المتضاربة، حول مرجعية العمل الأدبي عموما أو الفن الروائي على وجه الخصوص، أن هناك من يربط هذا الفن –الرواية- بالواقع الاجتماعي المعاش، حيث يعتبر مادتها الخام التي تنهل منه لتشكيل نصوصها الأدبية، وإعادة صياغة هذه الوقائع الاجتماعية وفق أسلوب ممنهج، ومنمق تستسيغه الأنفس القارئة كما أشار إليه "ميشال زرافا **Michael Zerafa**" سابقا.

²⁷ -Mechael Zerafa, Roman et Société, presses universitaires de France 2^{ème} édition, 1972, p69.

²⁸ -Tzevéan Todorov, littérature signification, Larousse, paris, 1976, p69.

²⁹ -Roland Bartles, Essais critique, édition du seuil, paris, 1964, p165.

وهناك من نقد هذا القول، وقام بنفي العلاقة الموجودة بين النص الروائي والمجتمع، مثلما جاء به كل من "تودوروف، Todorov"، و"رولان بارث، Roland Barth"، أين اعتبروا أن قيمة كل عمل أدبي بمختلف جنسه تكمن في عزلته ووحدته، عما يحيط به، ما يفتح المجال للخلق والإبداع، وإطلاق العنان لجنوح الخيال.

- تجليات البعد السوسيوولوجي في الرواية:

-النفاق حسب ابن منظور هو: "والنفاق بالكسل، فعل المنافق، والنفاق: الدخول في الإسلام من وجهه والخروج عنه من آخر، مشتق من نفاقاء اليربوع الإسلامية، وقد نافع منافقة ونفاقا...، وهو الذي يستكفره ويظهره إيمانه..."⁽³⁰⁾.

استطاعت هذه الظاهرة -النفاق- أن تخدم بعد الرواية، باعتبارها من أهم القضايا الاجتماعية المفتشية في المجتمعات، التي عزت كيائها وزعزعت أسسها، فقدمت للمصالح الشخصية على حساب المصالح العامة، ولذلك نجد أن الروائي قد ركز على هذه الظاهرة الاجتماعية في روايته، من خلال تصويرها في شخصية "عجاج" المنافقة، والتي تمثل نفاق المجتمع، عندما حاول سرقة أراضي السكان بالحيلة والنفاق يقول الروائي على لسان الشخصية: "أنصتوا إلى أنني... أنين الأرض الخافت، إنها أسيرة الإهمال وترغب في تغيير أديمها الذي شوي في العقم، وتحلم اليوم الذي تعانق فيه المحراث، ليعود مجدها الذي خطفه البحر منها... أصغوا إلى تأوها مثلي وتسرق أفندتكم..."⁽³¹⁾.

فانساق البعض وراء خطبته العسلية، وصدقوا كلامه العذب ليتحقق بهذا مخططه الثرير، في الاستيلاء على أراضي الناس بالمثل والخداع. "ليكتمل بذلك دائرة هيمنته..."⁽³²⁾.

أشار الروائي إلى تغطي الناس عن هذه الظاهرة، بل وحتى المشاركة في حفل تأبين الضمير، والمشي في جنازة موت الحقيقة، فكانوا كمن قتل القتل ومشي في جنازته.

³⁰- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس (الميم-الياء)، تحت مادة "نق"، دار المعارف، 119، كورنيش النيل، القاهرة، ج م ع، طبعة جديدة، ص 09 و45.

³¹-مصطفى ولد يوسف غثيان الغائب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2012. ص68.

³²- مصطفى ولد يوسف غثيان الغائب، ص68.

- الجريمة:

يعرفها ابن منظور بـ "والجرم: التعدي، والجرم: الذنب، والجمع: أجرام وجروم وهو الجريمة، وقد جرم يجرم جرماً واجترم وأجرام، فهو مجرم وجريم..."⁽³³⁾.
وتعتبر الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان ذاته، فمنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشرية، ونحن نرى الجريمة شائعة بين الأفراد على اختلاف ديانتهم، وألوانهم، وأعمارهم، وحضارتهم، وصفاتهم، وقصة قابيل وهابيل أصدق مثال على ذلك، وفي هذا يقول الحق تعالى: "وأتل عليهم بتأ ابني آدم بالحق، إذ قريبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله العالمين، إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين..."⁽³⁴⁾.

وفي هذا يقول الله عز وجل: "...زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المرسوطة والأنعام والحراث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المثاب..."⁽³⁵⁾.

وفي غياب الضمير الأخلاقي، كانت الجريمة مغطاة برداء الخوف، الذي نسخه حمق وغباء البشر بأيد دامية، دمت من وخز إبر ضمائرهم القلقة، يقول الروائي: "...تخبو العاصفة فجأة، ويعود الجميع إلى ديارهم القلقة، ويبقى المغفور هناك يصارع الموت في الغيبوبة التي صنعها إنسان..."، إن الكوابيس المروعة تلاحقني في منامي، فمرة حملت بالمغفور يحث الناس على قطع رأسي ورمية في اليم، ثم طلب جسدي وفي يده أداة الجريمة التي استعملها في..."⁽³⁶⁾.

وفي صحوة الضمير تتجلى الحقائق، وتتكشف لتعرية المجتمع من أفنعتة الزائفة، فيبزغ الحق شمساً مشرقة ويغيب الباطل سرمداً.

³³- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، "الهمزة-الجيم"، تحت مادة "جرم"، ص4980.

³⁴- سورة المائدة، الآيات 27-28-29.

³⁵- شفيق محمد محمد، الجريمة والمجتمع، محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرمل الإسكندرية، رقم الإيداع 7975، 87، ص11.

³⁶- سورة آل عمران، الآية14.

- الأسطورة:

الأسطورة في اللغة هي: "... الأساطير: ج أسطورة: الأساطيل، والأساطيل أحاديث الإنظام لها، ... يمتل: إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال: هو يستطل ما لا أصل له، أي يؤلف..."⁽³⁷⁾.

والسبب في تناسي هذه الأساطير يعود إلى التراجع الحضاري، والثقافي للمجتمع، وبقائه مغلقا بالغيبيات، والشعوذات، والسحر، والخرافات، التي تتغلغل عميقا في فكر المجتمع وتسيطر عليه، فحينما يسود الفكر الأسطوري قويا، وفاعلا لدى مجتمع من المجتمعات، فإن ذلك يعني وجود سلطة بتعدد أوجهها، تمنح شرائحها من العيش بأمان، وطمأنينة، وسلام روحي، كما يصورها الروائي في شخصية عجاج الظالمة، التي لم يسلم من شره أحد، يقول الروائي: "... فهو كالطوفان الشرس كلما شم مكيدة تحاك ضده، والويل ثم الويل لمن يعترض سبيل أهوائه أو يعيق تطلعاته الجارفة، فقد تعود على أخذ ما يريد بالقوة والمنورة..."⁽³⁸⁾.

هذه الشخصية التي لطالما سطرت على عقول الناس الضعفاء، التي نحرت صرخاتهم بشفرة الخوف والاضطهاد، فما كان منهم إلا الانصياع، والإذعان، والقبول حتما بما يقوله عمدتهم، وفي ذلك "... حكاية اختفاء (والد عبد العي) وتفاصيلها العجيبة، التي لا تغدوا أن تكون سوى من تأليف عجاج...، فبعض الصيادين الذين كانوا مع أبيه، أصروا على أن عروس البحر خطفت المغفور انتقاما منه، لأنه قتل ابنها..."⁽³⁹⁾.

³⁷- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، الشين-العين، تحت مادة "سطر"، ص2007.

³⁸- مصطفى ولد يوسف: غثيان الغائب، ص08.

³⁹- مصطفى ولد يوسف: غثيان الغائب، ص15.

الخاتمة:

إن الرواية هي الفن الأدبي الأجدر لتمثيل المجتمع، فقد استطاعت هذه الأخيرة تجسيد الصراعات الاجتماعية، والأزمات التي يعيشها من خلال اللغة، ومن خلال دراسات "بيلزيم" التطبيقية، استطاع استنباط الأزمات اللغوية، وعلاقتها بالأزمات الاجتماعية، فاللغة تتأثر بالوضع الاجتماعي، في رُقيه أو انحطاطه، وتستطيع الرواية أن تمثل هذه الخاصية.

فالرواية العربية عموما، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص، لا يمكنها أن تنفصل عن مجتمعتها وبيئتها، والروائي يطمح دائما لتحقيق رؤية وإبراز المشاكل الاجتماعية، والقضايا الاجتماعية، من خلال كتاباته، وذلك من خلال لغته، لذلك كانت الغاية لدراسة الرواية الجزائرية من الناحية النقدية الاجتماعية ومعرفة مدى تمكنها من استيعاب المجتمع بكل قضاياها، وصراعاته الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، وقد مثلت الرواية الجزائرية هذه الصراعات أحسن تمثيل، خاصة الروايات التي تناولت قضية التفاوت الطبقي وظاهرة النفاق.

لنرى أن الرواية الجزائرية ارتبطت بمرجعياتها المختلفة، الاجتماعية والثقافية، وقد استطاعت أن تبرز هذه المرجعيات، من خلال بنائها الروائي واللغوي فالروائي الجزائري المعاصر مصطفى ولد يوسف استطاع توظيف اللغة، والثقافة الخاصة بهذا المجتمع، من أجل تحقيق إيديولوجيته وإبراز هوية هذا المجتمع. مُصَوِّرا مجتمعه بمختلف الطرق، والمستويات، وتمكن من استغزار الحياة الإنسانية، والولوج إلى أعماقها، وتمثيل الصراع الداخلي والتمزق الذي يعاني منه المجتمع.

إذن فقد تنبّه هذا الروائي للعلاقة الوطيدة التي تربط الأدب بالمجتمع، لذلك وظّف كل عناصر الرواية المختلفة، من أجل ذلك، فقد استطاع أن يوظف المكان لخدمة موضوعه، وإبراز القضايا الاجتماعية، والأزمات التي يعاني منها المجتمع. وفي ختام هذا البحث، لا يسعنا إلا التأكيد على أن الرواية هي الفن الأكثر استيعابا للمجتمع ولصراعاته، كما أنها الفن الذي استخدم كل مقوماته النقدية لتجسيد إيديولوجيته.

مصادر ومراجع المقال:

القرآن الكريم .

المصادر:

مصطفى ولد يوسف : غثيان الغائب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

المراجع:

- 1- يوسف خليف، مناهج البحث الإداري، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2004.
- 2- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2008.
- 3- بوعلي كحال، محاضرات في المدارس النقدية المعاصرة، مخطوط، 2010-2011.
- 4- لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، منشورات أمانة، عمان، 2004.
- 5- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع (دراسة تحليلية فنية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- 6- محمد الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- 7- شفيق محمد محمد، الجريمة والمجتمع، محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرمل الإسكندرية، رقم الإيداع 7975، 87.

الكتب المترجمة:

- 1- ولسون كولسن، فن الرواية تر: محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، 1986
- 2- غلودمان لوسيان، مدخل إلى قضايا علم اجتماع الرواية تر، محمد معتصم مراجعة، محمد البكري عيون المقالات العدد6-7 المغرب 1987.
- 3- غلودمان لوسيان، مقدمات في سوسولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودي، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1993.
- 4- روبير إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرمولي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

المعاجم:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس (الميم-الياء)، تحت مادة "نفق"، دار المعارف 119، كورنيش النيل، القاهرة.
المراجع الأجنبية:

1-Michael Zarefa, Roman et Société, presses universitaires de France 2^{ème} édition, 1972.

2-TZevétan Todorov, littérature signification, Larousse, paris, 1976.

3- Roland Bartles, Essais critique, édition du seuil, paris, 1964.

4-Henery Hervais Sima Eyi, lecture sociocritique du Roman gabonais, pour l'obtention du garde du philosophie Docteur (ph, D), Université Laval Que Bec, Canada, 1997.

ACCOMPAGNER LE CHANGEMENT DANS LES BIBLIOTHEQUES UNIVERSITAIRES POUR ATTENUER LES RESISTANCES

Lounis OUAOUDIA

Université de Constantine 2

ملخص:

يشهد مجتمع المعلومات خلال القرن 21 تحولات سريعة ، التنفيذ الناجح للتكنولوجيا جديدة أو أي مشروع يعتمد أساسا على القبول من قبل المستخدمين في المستقبل (المكتبات). السلوكيات ممكنة من المستخدمين بشكل مستمر بين قطبين : القطب الذي يتمثل في القبول وهو قوة دافعة من جهة والقطب يتمثل في المقاومة من جهة أخرى. والتغيير هو المتغير الذي يعتبر جزء من حياة المنظمة (المكتبة). غير أن الحديث عن التغيير يعني رد الفعل إزاء هذا التغيير. يقدم هذا المقال تصنيفا لأنواع مقاومات التغيير التي يمكن ملاحظتها لدى عدد من الأفراد بالمكتبات الجامعية. ويتم تحليل الأسباب والنتائج الناجمة عنها بشكل خاص ' و كذا كيفية التعامل معها و مواجهتها.

الكلمات المفتاحية:

التسيير، التغيير، مقاومة التغيير، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، المكتبات الجامعية

Résumé

Aujourd'hui, à l'aube du 21^{ème} siècle, la société de l'information est en pleine mouvance. Le succès de l'implantation d'une nouvelle technologie ou de tout projet dépend essentiellement de l'acceptation de la part des futurs utilisateurs (bibliothécaires). Les comportements possibles des utilisateurs se situent continuellement entre deux pôles : celui de l'acceptation qui est la force motrice et celui de la résistance. Le changement est une variable qui fait partie de la vie de l'organisation (Bibliothèque). Toutefois, qui dit changement, dit réaction au changement. Cet article dresse une typologie des résistances au changement qui peuvent être observées chez un certain nombre d'individus dans les bibliothèques universitaires. Une analyse des causes et des conséquences est particulièrement effectuée ainsi que les moyens d'y faire face.

Mots clés :

Management, Changement, Résistance au changement, Tic, Bibliothèques universitaires.

Introduction :

L'usage des Tic modifie les rôles, paradigmes et culture organisationnelle des bibliothèques et des bibliothécaires tandis que notre monde se transforme en une communauté globale interconnectée. Il ne peut bien sûr être question ici de réaliser une synthèse de l'état de la situation des bibliothèques, du point de vue notamment de leur usage des Tic, mais plutôt d'aborder la problématique du management du changement.

Dans ce contexte, si les bibliothèques souffrent et que leur principale fonction de médiation et d'intermédiation est désormais remise en cause ; le problème qui se pose est fondamentalement celui de la non compréhension par les gestionnaires de la nécessité du changement, de la non maîtrise par eux des concepts et outils qui aideraient à accompagner, voir anticiper les mutations.

Les bibliothèques se sont toutes trouvées dans la nécessité impérieuse de devoir changer, se transformer, repenser entièrement leurs fonctions et la gamme de leurs services offerts aux usagers. Pour mener à bien ce changement, par une mobilisation judicieuse de l'ensemble des énergies et compétences des forces en présence, le recours aux principes du management public est plus que nécessaire car nos bibliothèques, se situant en retrait par rapport aux pratiques managériales appliquées ailleurs dans divers secteurs, travaillent toujours d'une manière artisanale.

A partir de cette réalité, et pour pouvoir résister dans un environnement économique et informationnel incertains, les bibliothèques ne peuvent plus feindre ignorer la nécessaire ouverture aux autres sciences (économie, gestion, psychologie, sociologie) qui sont les précurseurs à poser les bases de management. C'est dans ce cadre que se situe notre papier : celui de comprendre et d'aborder la réaction au changement à travers les différentes approches émises par un certain nombre de chercheurs sur le sujet.

En effet, au moment de la mise en place d'un nouveau projet, la bibliothèque rencontre des difficultés, surtout de la part de sa

composante humaine. Le succès de l'implantation d'une nouvelle technologie ou de tout projet dépend essentiellement de l'acceptation de la part des futurs utilisateurs (bibliothécaires). Les comportements possibles des utilisateurs se situent continuellement entre deux pôles : celui de l'acceptation qui est la force motrice et celui de la résistance.

Ainsi, toute intervention porteuse de changement dans la bibliothèque peut susciter une réticence, une suspicion, voire même une résistance. Malgré toute la rhétorique sur « la résistance au changement » qui a marqué les années soixante-dix et quatre-vingt, ce concept reste d'actualité pour tous les réformateurs. La résistance est un phénomène souvent exprimé lors des changements organisationnels. Elle est à l'origine de l'échec de nombreux projets de changements comme l'ont expliqué plusieurs auteurs. A présent, on peut se demander quelles sont les principales raisons qui amènent les individus à résister au changement ?

Nombreuses sont les causes qui ont été étudiées au sujet de la résistance au changement. Nous aborderons en détail ses manifestations dans les bibliothèques, ses causes et ses conséquences. Ainsi, l'aboutissement aux objectifs assignés au changement induit par les Tic ou tout autre projet est conditionné par le degré d'acceptation, de coopération et d'implication des employés dans le projet de changement.

Pour assurer cette implication, celui-ci doit être pensé en termes de méthodologie de conduite, d'où la nécessité pour les responsables des bibliothèques de s'imprégner de ce qui se fait dans les autres secteurs en matière de management et donc de s'ouvrir sur l'extérieur et d'éviter le replis sur soi-même en vivant dans un vase clos. En rédigeant un texte aussi simple que possible, nous aimerions offrir à nos collègues bibliothécaires de BU un modeste outil à vocation préventive, que nous espérons utile dans le cadre de leur travail. La première partie de cette contribution vise à élucider le phénomène de la résistance au changement, à savoir ses formes, ses manifestations, ses déterminants. Nous nous intéresserons aux moyens visant à atténuer cette résistance dans la seconde partie.

Le phénomène de résistance au changement

« Qui dit changement, dit résistance au changement » comme le rapportent Bareil et Boffo¹ (2003, p.543). La terminologie « résistance au changement » remonte aux auteurs Coch et French, qui en 1947, publiaient un article dans la revue *Human Relations*, devenu un classique en la matière. Il s'intitulait « *Overcoming resistance to change* ». Deux questions étaient abordées : pourquoi les gens résistent-ils si fortement au changement et qu'est-ce qui peut être fait pour surmonter cette résistance ?

Depuis, nombre d'auteurs ont traité de ces questions. Collerette et al (1977, p.94) définissent la résistance au changement comme « *l'expression implicite ou explicite de réactions de défense à l'endroit de l'intention de changement*² ». Pour Bareil et Savoie (2000, p.151), ils la définissent comme « *une expression implicite ou explicite de réactions négatives ou défensives face au changement, ou de forces restrictives qui s'opposent à la réorganisation des façons de faire et à l'acquisition de nouvelles compétences, la résistance au changement est sans aucun doute la bête noire de tous ceux qui véhiculent des idées de changements*³ ».

Enfin, pour François Gagné (1973, p.681) "*Le phénomène de résistance au changement constitue un problème central auquel sont confrontées toutes les expériences de changement planifié. S'il n'y avait pas de résistance à dissiper, point ne serait besoin de planifier avec autant de soins des stratégies de changement: il suffirait aux agents de changement de préciser leurs attentes*⁴ ».

¹ - BAREIL Céline et SAVOIE A. (2003).- Qui dit changement, dit préoccupation et non plus résistance.- In : G. Karnas, C. Vadenbergh et N. Delobbe (Dir.).- Bien-être au travail et transformation des organisations : actes du 12^{ème} congrès de psychologie du travail et des organisations, tome 3.- Louvain : P.U.F.- P.543.

² - COLLERETTE, P., DELISLE, G. et PERRON, R. (1997).- Le changement organisationnel : théorie et pratique.- Québec : P.U.F., p. 94.

³ - BAREIL C. et SAVOIE A. (2000).- Comprendre et mieux gérer les individus en situation de changement organisationnel.- In : Revue Internationale de Gestion.- Sept.- Déc., p. 151.

⁴ - GAGNE François (1973).- Vicissitudes d'une expérience de changement planifié basé sur l'évaluation des enseignants par leurs étudiants.- In : Tessier R. et Tellier

Les résistances peuvent ainsi se manifester de plusieurs manières. Elles peuvent être implicites, c'est-à-dire indirectes, ou explicites quand elles se traduisent en hostilité ou en refus. Ces réactions peuvent être parfois ennuyeuses en ce qui concerne la réussite d'un changement et elles peuvent même le ralentir. Si l'on conçoit la bibliothèque comme un système social qui, comme tout système, aurait une tendance naturelle à rechercher un état d'homéostasie, on peut alors analyser ce phénomène de résistance au changement comme étant une réaction -des plus naturelles- de tout système social pour se protéger et se défendre des "intrants" nouveaux qui le menaceraient et l'ébranleraient: la résistance au changement serait naturelle, c'est une réaction d'un système qui tente de se défendre et de maintenir son état antérieur. On pourrait alors envisager la résistance au changement comme une sorte de signal d'alarme qui fonctionnerait par rapport au système social de l'organisation, *"un peu comme la fièvre qui informe la personne humaine qu'un agent infectieux est en train d'affecter l'équilibre relatif de son organisme"*⁵ » (J. Jabès, 1999, p.598).

La place de l'individu dans la mise en œuvre du changement

Le phénomène de résistance, qui est à l'origine de l'échec de multiples projets de changement, vient nous rappeler que quelque soit le type de changement, celui-ci doit se faire par et avec les hommes et que tout changement doit placer les individus « les acteurs » au cœur du processus de sa mise en œuvre. Car, quelque soit l'origine de la décision, le changement ne peut se réaliser si le personnel n'y participe pas.

Contrairement à la philosophie taylorienne de l'école classique pour laquelle le seul acteur est le gérant, « l'homme est loup pour

Y.- Changement planifié et développement des organisations.- Montréal : IGF, p.681.

⁵ - JABES, Jack (1999).- Changement et développement organisationnel.- In : AUBERT, Nicole [et all].- Management : aspects humains et organisationnels.- Paris : PUF, p.598.

l'homme », et que la fonction du souverain est d'assurer le contrôle social sur le sujet, la coordination est pensée du sommet et l'autorité statutaire appartient au chef. L'observation et les différentes enquêtes⁶ menées en Europe comme aux Etats-Unis et au Canada ont montré que la réussite d'un projet de changement organisationnel est conditionnée par l'implication de l'ensemble des exécutants.

Bien que le rôle des dirigeants soit important dans la conduite du changement, il est faut de croire qu'ils peuvent, à seuls, mettre en œuvre le changement.

R. Teerlin, Président d'Harley-Davidson, a dit à ce sujet : « *quiconque pense qu'un dirigeant peut conduire ce type de changement se trompe*⁷ ». Charles Szulak, ancien Président de Visteon Automotive System disait quant à lui : « *Il n'est pas possible à une poignée de personnes de faire accomplir d'en haut un changement profond à un groupe de 82000 personnes*⁸ ».

Cette réalité a incité plusieurs auteurs à admettre qu'un changement profond, qui a une résonance sur ce que pensent les individus, sur leurs croyances, leurs perceptions, ne peut être obtenu par le suivisme. Ils insistent ainsi sur le rôle indéniable du personnel opérationnel dans l'élaboration des choix stratégiques. Ceci les a conduit à prôner l'importance de faire participer les salariés des différents niveaux hiérarchiques dans le processus de changement et que les changements qui viennent du sommet de la hiérarchie ont peu de chance d'être concrétisés si la base n'adhère pas et non pas du tout mobilisée.

⁶ - Deux études indépendantes réalisées au début des années 90 et publiées par D. Little et McKinsey ont révélé que sur les centaines de programmes de gestion de la qualité totale étudiée ; deux tiers ont été arrêtés pour leur incapacité à produire les résultats escomptés. Une autre étude menée par John Kotter de Harvard a montré que 50 % des projets de changement pilotés par la direction générale n'ont pas dépassé le stade initial.

⁷ - Propos rapportés par P. Senge [et al] dans : La danse du changement, p.19.

⁸ - Idem p.19.

G. Koenig⁹ écrit à ce propos : « *On s'accorde aujourd'hui à penser qu'il est moins important de canaliser les exécutants que de mobiliser les acteurs* ». M.A. Lyles¹⁰ montre que si les résolutions de problèmes sont essentiellement le fait des dirigeants, en revanche, le concours des employés sera souvent précieux en ce qui concerne notamment l'identification et la formulation du problème. De son côté, H. Mintzberg souligne la non implication du personnel opérationnel dans une stratégie à laquelle il n'a pas pris part. Il note à ce propos : « *Tant que la planification décentralisée exige de la part des cadres de niveaux inférieurs qu'ils mettent en œuvre des procédures selon un calendrier sur la base d'hypothèses établies par d'autres personnes situées plus haut qu'eux dans la hiérarchie ; personne ne peut s'attendre à ce que l'implication soit forte*¹¹ ».

C. Bernard¹², quant à lui, il évoque la capacité de refus des acteurs à se plier à l'ordre : « *Ce sont les personnes qui reçoivent l'ordre qui décident si cet ordre fait autorité ou non, et non pas les personnes en position d'autorité* ». Parallèlement à cela, il a ajouté « *Aucun changement ne peut avoir lieu si les acteurs qui le mettent en œuvre ne lui donnent un sens* ».

Dans le même esprit d'idées, Philippe Bernoux considère que quelque soit l'origine du changement, les acteurs concernés ont toujours le pouvoir de dire « *non* » ou « *oui* » : « *Si le déclencher est le plus souvent extérieur, comme la concurrence ou les technologies, le changement lui-même n'existera que dans la mesure où les acteurs concernés l'accepteront* ». Il ajoute que « *toute société connaît des rapports de domination qui se traduisent à travers les relations de pouvoir. Mais la domination n'est jamais mécanique.*

⁹ - KOENIG G. (1981).- Management stratégique : paradoxes, interactions et apprentissage.- Paris : Nathan

¹⁰ - LYLES M.A. (1998). - Formulation strategy problem: empirical analysis and model development. - In: Strategy Management Journal, vol. 2.

¹¹ - MINTZBERG H. (1994).- Grandeur et décadence de la planification stratégique.- Paris : Dunod.

¹² - BERNARD C. (1938).- The theory of authority.- In : The functions of the executive.- Cambridge : Harvard University Press, 1938

Elle est la chance, pour des ordres spécifiques, de trouver obéissance¹³ ».

Toujours pour Bernoux, l'exécution du changement ne peut avoir lieu que si les exécutants l'approuvent et pour cela, elle dépend du sens qu'ils lui donnent : « *Les exécutants sont aussi de véritables acteurs soumis à des décisions qu'ils peuvent infléchir pour les transformer en partie* ». Dans cette vision, Bernoux rejette la vision behaviouriste du comportement humain. Il s'appuie sur le paradigme de l'individualisme méthodologique, pour qui, tout phénomène social est toujours le résultat d'actions, d'attitudes, de croyances et de comportements individuels et que l'explication d'un phénomène social doit retrouver le sens des comportements individuels qui en sont la source.

Dans le même ordre d'idées, Michel Crozier et Erhard Friedberg vont plus loin en évoquant la capacité du personnel, non seulement à résister, mais aussi à développer des stratégies pour contrôler les espaces discrétionnaires : « *Même dans les situations les plus extrêmes, l'homme garde toujours un minimum de liberté et qu'il ne peut s'empêcher de l'utiliser pour battre le système¹⁴ ».*

Ainsi, pour ces auteurs, le cœur de la résistance d'un acteur au changement, réside dans l'affectation de sa situation de pouvoir. En effet, l'accès à certaines ressources est-il soudain compromis ? Son autonomie de décision et sa capacité d'agir subissent-elles des restrictions ?

La question centrale est effectivement de savoir comment les acteurs sociaux tirent, de leur place dans la structure, les moyens de jouer un jeu qui leur soit personnel.

Par ailleurs, la vision précédente est partagée également par R. Sainsaulieu qui estime que tout ce qui peut réduire la capacité d'un acteur à agir sur son environnement, le fera assurément réagir. Il est

¹³ - BERNOUX Philippe (2004).- Sociologie du changement dans l'entreprise et dans les organisations.- Paris : Seuil.

¹⁴ - CROZIER Michel et FRIEDBERG Erhard (1977).- L'acteur et le système.- Paris : Seuil.

difficile selon lui, de supporter une aliénation et une perte d'identité. Plusieurs auteurs partent de cette vision et estiment que tout ce qui peut dévaloriser le statut d'un acteur, amènera inévitablement des résistances. Ainsi, quelle que soit la situation, les individus ne se soumettent pas passivement. Ils arrivent à utiliser leur marge de liberté et à développer leurs propres stratégies.

Comme tout phénomène social, le changement résulte de comportements individuels. Le sens que chacun des acteurs donnera à son action, ses valeurs et sa représentation conditionnera son comportement face à ce phénomène. C'est à l'individu de décider de s'inscrire ou non dans le changement et la confirmation nous viendra de H.J. Leavitt : « *Quel que soit le pouvoir que possède le « changeur », quel que soit son rang dans la hiérarchie, le « changé » reste maître de la décision finale. C'est l'employé le plus mal payé, qui en dernier ressort, décide s'il ira ou non travailler. C'est l'enfant qui décide, en dernier ressort, s'il obéira ou non. C'est le « changé » qui change. « A » peut exercer plus ou moins d'influence sur la situation. « A » peut faire des entrechats devant « B » pour le séduire ; il peut cajoler, menacer ou punir, mais c'est « B » qui [et cela peut être « B » déraisonnable et capricieux] prendra la décision finale d'accepter ou non de changer. Bien plus, c'est « A » qui éprouve une tension, c'est « A », dont les besoins sont insatisfaits ... qui dépend de « B ». « B » après tout, est un être libre ; les efforts de « A » pour amener un changement chez « B » ne sont qu'un jeu de forces dans la multitude des forces qui s'exercent sur le comportement de « B ».*

En effet, « B » est installé derrière le rempart solide de sa propre histoire et de sa propre personnalité, intégrant les efforts de « A » dans l'ensemble des forces qui agissent sur lui, et d'où peut sortir un genre de comportement nouveau, qui est, peut-être, ce que « A » désirerait obtenir, mais qui peut aussi bien ne pas l'être¹⁵ ». Il convient donc, de comprendre le changement non pas uniquement au niveau des décideurs (Directeurs de BU) qui le pilotent, mais

¹⁵ - LEAVITT H. J. (1973).- Psychologie des fonctions de direction dans l'entreprise.- Paris : Hommes et techniques, p.267.

également au niveau des animateurs (autres corps : attachés, assistants de recherche, etc.) des systèmes d'actions concrètes qui sont, par leur capacité, à accepter, adopter ou, au contraire à résister de transformer les intentions et à construire le changement. Ce sont ces animateurs qui vont donner naissance ou non, une vie, un sens et une efficacité aux changements envisagés.

1- Les facteurs de résistance au changement

L'individu résiste au changement pour de nombreuses raisons. Ses réactions négatives à l'égard du changement s'expliquent par le fait qu'il doit quitter la zone de confort et s'aventurer vers de nouvelles zones, souvent empreintes d'incertitudes. Il doit s'adapter au nouveau contexte, à de nouvelles tâches et responsabilités, apprendre de nouveaux comportements, adopter de nouvelles attitudes et surtout, abandonner ses habitudes faisant partie de son quotidien.

Nombreuses sont les causes qui ont été étudiées au sujet de la résistance au changement. Boneu [*et al.*] (1992¹⁶) en identifient deux types: les facteurs psychosociologiques et les facteurs stratégiques. Toutefois, nous tenons à préciser qu'il y a bien des différences individuelles dans la perception des risques liés au changement car ce qui est interprété comme risque pour une personne peut être perçu par une autre comme un avantage. Collerette [*et al.*] (1997¹⁷) regroupent les résistances en trois catégories : les résistances liées à l'individu, celles liées au système social et les résistances liées au mode d'introduction du changement. Néanmoins, il y a lieu de préciser que les deux premières catégories ne sont pas différentes des facteurs psychologiques. De la même façon, les facteurs stratégiques de résistance sont complémentaires à la troisième catégorie de Collerette [*et al.*]

Dans ce qui suit, nous aborderons les facteurs pouvant expliquer des comportements ou des attitudes reliées à la résistance. L'influence des

¹⁶ - BONEU François, FETTU Françoise et MARMONIER Luc (1992).- Piloter le changement managérial.- Editions liaisons, 175 p.

¹⁷ - COLLERETTE Pierre, DELISLE Gilles et PERRO Richard (1997).- Le changement organisationnel : Théorie et pratique.- Québec : Presse de l'Université.- 173 p.

caractéristiques des modes d'introduction du changement ainsi que des processus psychologiques seront examinés.

1- 2- Les causes liées au mode de l'introduction du changement

Ces résistances liées au mode d'introduction du changement font que les individus préfèrent être consultés et impliqués dans toute démarche de changement, sinon ils risquent de s'y opposer. Collerette [et al.] (1997) et Maillet (1993¹⁸) identifient certaines manifestations que peut prendre la résistance concernant le mode d'introduction ou la nature du changement en soi :

« Les résistances au changement peuvent se manifester d'une multitude de façons et pour les saisir, on doit être attentif aux différents indices qui se présentent. Contrairement à une idée largement répandue, les résistances ne s'expriment pas toujours de façon explicite par l'hostilité ou le refus. Souvent la résistance se manifeste par des voies indirectes¹⁹ » (Collerette, Delisle et Perron, 1997).

Ces trois derniers auteurs retiennent également les dimensions suivantes : le respect des personnes et des compétences, le temps et les moyens fournis pour s'adapter au changement et la crédibilité de l'agent. On dit souvent également : « les gens ne résistent pas au changement mais davantage à la façon dont il est implanté ». Les causes liées à une mise en œuvre du changement déficiente constituent très souvent la cause majeure des échecs, dus aux résistances. L'absence de conditions favorables au sein de la bibliothèque, pour réussir la démarche de transformation, peut mener le salarié (destinataire) à résister au changement. S'il n'accepte pas le changement, il résistera. Malheureusement, les bibliothèques ne suivent pas toutes ces modalités et c'est souvent ce qui engendre de la résistance au changement.

¹⁸ - MAILLET L. (1993).- Psychologie et organisations : l'individu dans son milieu de travail.- Montréal : Agence d'Arc.

¹⁹ - COLLERETTE Pierre, DELISLE Gilles et PERRO Richard (1997).- Le changement organisationnel : Théorie et pratique.- op. cit.

Pour A. Rondeau (2002, p. 110), « *le succès d'une transformation n'est pas qu'une question de disposition positive des acteurs concernés, il faut aussi développer les capacités individuelles et organisationnelles nécessaires à sa réalisation. L'habilitation permet d'équiper les acteurs pour réaliser le changement*²⁰ ». Si les employés ne sont pas formés adéquatement et au bon moment, n'ont pas l'encadrement requis, ni les ressources et le pouvoir nécessaires, et qu'en plus, leur rendement n'est pas mesuré, ils risquent bien de se conforter dans leurs anciennes habitudes, ce qui sera évalué comme étant de la résistance au changement.

Les gens peuvent aussi résister pour élever leur voix contre l'absence de consultation et d'implication. Les individus résisteront parce que le changement leur est imposé. Plusieurs études en Tic sont fortement teintées de ces variables concernant la participation et la consultation. Ainsi donc, les individus peuvent résister tout simplement parce qu'ils manquent d'information ou qu'ils n'ont pas été consultés, impliqués ou associés.

1- 3- Les raisons psychologiques

Nous essayerons de regrouper dans cette partie les principales appréhensions de l'employé par l'annonce du projet de changement et jusqu'à son implantation. Le processus psychologique étant complexe et en quelque sorte propre à chaque individu selon ses valeurs, ses expériences antérieures et son vécu. Nous présenterons les principaux constats qui ressortent des écrits sur le sujet.

Pour Lueddeke (2001²¹), l'aspect psychologique est à considérer dans l'identification des sources de résistance ; sachant que toute approche de solution du problème en sciences sociales et humaines nécessite l'examen des aspects psychologiques qui vise à

²⁰ - RONDEAU Alain (2002).- Transformer l'organisation. Vers un modèle de mise en œuvre.- In : R. Jacob, A. Rondeau et D. Luc.- transformer l'organisation.- Montréal : HEC. p. 110

²¹- LUEDDEKE G. (1997). - Telecommunication in education and training and implications for the communications and information technologies. - In: Education and training, vol. 39, issue 7.

comprendre les intérêts sous-jacents. Ainsi, les intérêts non avoués, les habitudes, les peurs et les préjugés potentiels en sont quelques exemples. Par conséquent, peu importe la stratégie d'implantation du changement, elle devra s'attarder aux appréhensions individuelles implicites au processus psychologique notamment le sentiment de peur et de perte que peut engendrer l'implantation d'un changement technologique.

1-3-1- La peur de l'inconnu

Le changement est le passage de l'état actuel à un état à définir. Le mot changement par lui-même suppose que les choses ne seront plus les mêmes et que des deuils seront à faire, ce qui engendre des peurs et des craintes face à l'introduction d'un changement. La peur de l'inconnu est sans aucun doute un sentiment que l'ensemble des intervenants visés par le changement ressent. L'annonce d'un changement ne correspond pas nécessairement à la réalisation de certaines attentes des employés face à l'organisation, le changement ne représente qu'une organisation en devenir dans lequel résident plusieurs interrogations et incertitudes.

Plusieurs auteurs identifient la peur de l'inconnu comme une cause de la résistance au changement. Pour Javorek (2000²²), « *la peur de l'inconnu amène les individus à douter de leur capacité de s'adapter au changement* ». Certaines personnes craignent l'innovation technologique et cette crainte génère un comportement de résistance. Igbaria et Chakrabati (1990²³) relatent que ces individus sont facilement repérables dans un groupe, car ces personnes, qu'ils qualifient d'anxieuses face à la technologie ont des comportements négatifs. J.C. Marquie (1994²⁴) qualifie les employés qui craignent les

²²- JAVOREC J. (2000). - Time may chance me. - In: Incentive, vol. 174, n° 12, New-York, Dec., pp.: 24-27.

²³ - IGBARIA M. et CHAKRABATI A. (1990).- Computer anxiety and attitudes towards microcomputer use.- In: Behaviour and information technology, vol. 9, pp.: 229-241.

²⁴ - MARQUIE J. C., THON B. et BARACAT B. (1994).- Age influence on attitudes of office workers faced with computerized technologies.- In: Applied ergonomics, vol. 24, n° 3, pp.: 130-142.

nouvelles technologies comme étant des technophobes. A titre d'exemple, l'introduction des ordinateurs personnels dans les bureaux, liée au développement de la bureautique, a suscité des phénomènes de résistance chez certaines personnes appelées à manipuler ce nouvel équipement et craignant d'être incapables de le faire. Cette résistance a pu donner lieu, dans certains cas, au développement d'attitudes négatives envers l'outil informatique et des comportements dysfonctionnels dans le cas où les employés concernés étaient malgré tout obligés d'utiliser ces nouveaux équipements.

La peur de l'inconnu peut être intimement reliée à l'intolérance au changement. Ainsi, plusieurs individus redoutent le changement à cause des expériences passées négatives ou d'une tolérance moins grande à la nouveauté. Or, la crainte de l'échec dans un environnement d'insécurité et d'incertitude est présente. L'incertitude crée un milieu où les comportements et les attitudes à adopter pour répondre aux attentes du changement sont également inconnus. Les employés peuvent donc avoir une peur de l'échec.

La peur d'être ridiculisé dans le changement ou de perdre la face sont d'autres causes qui peuvent expliquer des comportements de résistance (Marjanovic, 2000²⁵). Dans le même ordre d'idées, Gutknecht (1990²⁶) résume bien les raisons pour lesquelles les employés pourraient craindre le changement en identifiant le fait d'avoir peur de perdre la face ou d'admettre que la manière de faire les choses dans le passé était erronée.

Pour être en mesure de répondre adéquatement aux attentes de l'organisation suite au changement, Macadam (1996²⁷) illustre bien les inquiétudes que peuvent avoir les individus en regard à l'aspect de formation. Ils doivent quitter leur zone de confort pour acquérir de nouvelles connaissances : « *Many people are resistant to change*

²⁵ - MARJANOVIC O. (2000). - Supporting the « soft » side of business process reengineering. - In: Business process management journal, vol. 6, n° 1.

²⁶ - GUTKNECHT M. (1990). - The organizational and human resources sourcebook. - 2^{ème} éd. - New York: University Press of America. - 405 p.

²⁷ - MACADAM C. (1996). - Addressing the barriers of managing change. - In: Management development Review, vol. 9, n° 3.

because they might have been in their job for years and do not want the challenge of learning new skills, or they may feel stressed when required to move out of established comfort zones. »

1-3-2- La crainte de perdre ce qu'on possède

Intimement relié au sentiment de peur, le sentiment de perte se manifeste par la crainte de perdre des acquis. Les pertes sont principalement reliées à la relation d'emploi et à certaines conditions de travail (statut, salaire, identité professionnelle...). De plus, les rôles et les responsabilités respectifs de chacun peuvent devenir incertains, et la zone d'intervention (ou le territoire) peut subir le même sort comme le soulignent Scott et Jaffe (1992) : « *De façon plus générale, les individus ont des craintes, car les résultats du projet de changement sont inconnus*²⁸ ».

Les conséquences inconnues peuvent engendrer des inconvénients, des pressions pour une meilleure performance, etc. (Lamb, 1999²⁹). Plus précisément, les individus craignent de subir des préjudices, de perdre les acquis et les privilèges qu'ils détenaient avant l'introduction du changement (Scharmehorn [et al.] 1994³⁰) ; (Collerette [et al.], 1997³¹ et Lamb, 1999³²).

Le changement peut bouleverser les acquis et l'état actuel de l'organisation, il peut engendrer une redistribution des valeurs et des

²⁸ - SCOTT C. D. et JAFFE D. T. (1992).- Maîtriser les changements dans l'entreprise.- Laval : Agence d'Arc. 71 p.

²⁹ - LAMB M. C. (1999). - Implementing change in the National Health Service. - In: Journal of management Medecine, vol. 13, n° 5.

³⁰ - SCHARMEHORN [et al] (1994).- Comportement et organisation.- Québec : Ed. du renouveau pédagogique.- 571 p.

³¹- COLLERETTE Pierre, DELISLE Gilles et PERRO Richard (1997).- Le changement organisationnel : Théorie et pratique.- op. cit.

³²- LAMB M. C. (1999). - Implementing change in the National Health Service. - Op. cit.

pouvoirs à travers l'organisation. La perte de pouvoir (Agocs, 1997³³ ; Scheinder et Goldwasser, 1998³⁴) est intimement liée au statut occupé dans l'organisation. Si l'individu craint de perdre du pouvoir, il est également préoccupé par la crainte de perdre son statut actuel, son confort et de se sentir incapable de faire le travail qu'on lui demande. (Lamb, 1999³⁵ ; Perren, 1996³⁶ ; Dent et Goldberg, 1999³⁷).

1-3-3- La préférence de la stabilité

Le confort inclut généralement la notion d'habitude ; les individus étant à l'aise dans leur routine. Le changement vient bouleverser le quotidien et déplace ou restreint la zone de confort. Le chercheur Ader (2001³⁸) explique les bonnes vieilles habitudes dans un contexte de changement technologique. Il existe deux sources fondamentales de résistance à l'innovation technologique, le risque perçu et les habitudes. La perception du risque est l'évaluation faite du projet de changement et l'impact qu'il aura si on adhère. Les habitudes pour leur part, font référence à ce que l'on fait de façon routinière dans le quotidien.

Généralement et le plus souvent, les habitudes développées par les individus au travail constituent une source importante de résistance au changement. Faire les mêmes choses de la même manière quotidiennement constituent une forme de stabilité qui engendre de la sécurité. Dès lors, changer les relations auxquelles un employé est habitué et les tâches qu'il a appris à accomplir constituent sans doute

³³ - AGOCS C. (1997). - Institutionalized resistance to organizational change: denial, inaction and repression. - In: Journal of Business Ethics, Jun, vol. 16, n° 9.

³⁴ - SCHNEIDER D. M. et GOLDWASSER C. (1998). - Be a model leader of change. - In: Management Review, New York, March, vol. 87, n° 3.

³⁵ LAMB M. C. (1999). - Implementing change in the National Health Service. - Op. cit.

³⁶ - PERREN L. (1996). - Resistance to change as a positive force: its dynamics and issues for management development. - In: Career Development international, vol. 1, Issue 4.

³⁷ - DENT E. B. et GOLLOWAY GOLDBERG S. (1999). - Challenging "resistance to change". - In: the journal of Applied Behavioural Science, March, Vol. 35, n° 1.

³⁸ - ADER M. (1984).- Le Choc informatique.- Paris : Ed. Denoël. - 227 p.

une source d'anxiété. Ceux qui ont des affinités avec leurs responsables, leurs tâches et leurs collègues au sein de l'organisation (BU), et qui y trouvent de la sécurité dont ils ont besoin, se montreront forcément « *résistants* » face à toute tentative de changement. De même, les changements remettant en cause les relations sociales d'un service à un autre se heurtent souvent à des résistances car le changement qui viole les normes du groupe provoquera des résistances du simple fait que ce sont justement ces normes qui déterminent les modèles de comportement acceptables au sein du groupe. Finalement, la principale crainte est certainement celle due à la modification de la relation d'emploi et du contenu de la tâche.

1-3-4- La remise en cause des compétences

Une autre raison de résister tient à la remise en cause des aptitudes et des compétences qui peuvent être le résultat de certains processus de changement. Les employés peuvent être fatigués d'avoir à apprendre et acquérir de nouvelles compétences dues à l'implantation d'un changement. Les changements mis en œuvre dans l'organisation peuvent conduire un certain nombre d'employés à se sentir incompetents ou carrément disqualifiés pour accomplir les nouvelles tâches qui leur seront demandées, alors qu'ils s'étaient sentis jusque-là tout à fait compétents dans l'accomplissement de leur travail, nous verrons là également apparaître et se développer le phénomène de résistance au changement.

Les employés peuvent être fatigués d'avoir à apprendre et acquérir de nouvelles compétences dues à l'implantation d'un changement. L'intérêt pour l'acquisition de nouvelles compétences dans un contexte de changement ne laisse que peu d'options aux employés, ils doivent se conformer et subir une formation.

2- Les formes de résistance au changement

Les acteurs disposent de plusieurs possibilités de s'opposer au changement. Cette résistance peut prendre plusieurs formes qui vont de la simple méfiance à l'égard du changement à une résistance

farouche, active et qui se caractérise par l'inertie, l'argumentation, la révolte, le sabotage. D'après Gérard Dominique (1997³⁹), ces formes d'expression ne se présentent pas de façon linéaire et les personnes qui résistent peuvent passer d'une forme à l'autre selon l'évolution de la situation. Cette évolution dans l'attitude se fait sous l'influence de la personnalité de l'acteur, sa culture, sa perception du changement proposé et son environnement.

2-1- La résistance passive

Dans les formes de résistances dites passives (inertie, argumentation), l'acteur ne rentre pas dans une confrontation ouverte. Bien souvent, il n'a pas d'avis clair sur le changement. Dans le cas de l'inertie, l'acteur ne trouve pas d'intérêt dans le projet de changement. Il est dans une situation d'attente pour comprendre les raisons de ces changements, ce qui lui permet de gagner du temps et de trouver des raisons pour ne pas l'accepter. Méfiant, il doute des objectifs avancés. Mais par calcul, il s'abstient de réagir.

Dans le cas de l'argumentation, l'acteur fait savoir ses doutes et ses réserves. Il rentre dans une logique de négociation afin de faire reconnaître les inconvénients liés au changement et tente de faire modifier le résultat en fonction de sa réalité. L'argumentation est un jeu dialectique qui peut prendre des proportions considérables si le pilote du changement entre dans ce jeu. Les stratagèmes alors utilisés sont soit l'homonymie qui vise à utiliser systématiquement un mot dans un sens différent de celui donné par le pilote, soit l'attaque de la personne qui vise à faire perdre le calme à notre interlocuteur, soit par la généralisation qui vise à démontrer qu'une hypothèse n'est pas toujours vraie ou la spécification qui vise à montrer l'exception de l'hypothèse.

Cette résistance passive se manifeste souvent par l'absentéisme, la mauvaise volonté et le manque de motivation au travail, la baisse de

³⁹ - DOMINIQUE Gérard (1997).- Eloges du changement, leviers pour l'accompagnement du changement individuel et professionnel.- Paris : Ed. Village mondial.

productivité, l'application négligée ou erronée des principes du changement. Dans certains cas, les acteurs s'emploient silencieusement mais activement à vider le projet du changement de sa substance en entretenant les règles de l'ancien système, en valorisant ces derniers et en mettant en évidence les problèmes et les difficultés que pose le changement.

2-2- La résistance active

Certains acteurs rentrent plutôt dans une résistance ouverte sous forme de révolte ou de sabotage. La révolte s'installe quand il y a absence d'argumentation ou celle-ci ne permet pas à l'acteur d'ajuster sa réalité au changement proposé et que le pilote n'a pas su lui rendre ce changement acceptable par rapport à sa réalité. L'acteur agit soit contre le changement lui-même soit contre celui ou ceux qui en sont les auteurs, soit contre la manière dont il est mené, soit contre l'ensemble à la fois. La densité de la révolte dépend du système de croyance de l'acteur, de ses valeurs, de sa perception et de sa personnalité. Plus ces éléments sont forts et structurés, plus sa révolte est forte et violente à l'égard du changement.

La révolte peut prendre deux formes : la première est la menace tactique. Elle relève du bluff et induit une relation de pouvoir et une escalade des rapports de force. La seconde est la menace stratégique. L'acteur tentera de faire échouer le changement par la démonstration des conséquences socio-économiques. Cette révolte s'exprime souvent dans le milieu professionnel par : la démission, l'action syndicale, la grève, la demande de mutation ou le recours à la hiérarchie, le départ volontaire ou la retraite anticipée. Le sabotage consiste à œuvrer ouvertement à faire échouer le changement en essayant de démontrer l'inutilité et la stupidité du changement engagé. Ceci peut aller jusqu'à commettre des fautes professionnelles.

Ces formes de résistances se manifestent quand il y a absence d'événements forts qui peuvent remettre en cause la situation actuelle et justifier ainsi un changement. Cela peut traduire aussi le manque d'efforts des initiateurs du changement pour justifier, argumenter et surtout légitimer le changement envisagé. Si cet effort n'a pas été fait,

il est difficile de faire accepter aux acteurs le changement comme le souligne clairement Ph. Bernoux (2004) « *pour quelles raisons les salariés acceptent-ils des changements contraignants, qui les obligent parfois à changer de métiers, qui peuvent les réduire au chômage*⁴⁰ ».

Il faut donc montrer l'intérêt de ce changement et surtout le justifier. Selon Gérard Dominique (1997⁴¹), cette attitude « de résistance » dépend justement d'une part, de cet effort de justification et d'explication et de la détermination avec laquelle le changement est conduit d'autre part. Tout changement marque une rupture entre une situation initiale qui existait avant le changement et une situation finale, celle à laquelle on souhaite aboutir au terme du projet. Une rupture qui provoquera des émotions, du stress chez les salariées de l'organisation. Vivre cette rupture ne prendra de sens à leurs yeux que si elle leur semble justifiée et réaliste. Elle ne sera possible que s'ils disposent de points de repères en terme de temps et de méthodes leur permettant de situer leur action et leur rôle. C'est dans cette optique que des méthodes de pilotage du changement organisationnel ont été développées selon les approches et les représentations de l'organisation.

3- Accompagner le changement : clé de la réussite pour vaincre la résistance

Cette partie rentre, plus concrètement, dans les actions à mettre en oeuvre pour assurer une gestion humaine du changement. Accompagner le changement sur le plan opérationnel signifie la mise en oeuvre d'une démarche de participation, de communication et de formation. L'objectif du pilotage opérationnel du changement est de permettre la compréhension et l'acceptation par les individus de nouvelles règles du jeu résultant du processus de changement. Pour bien mener ce pilotage, il est nécessaire de mettre en place une équipe de conduite du changement différente de l'équipe fonctionnelle qui

⁴⁰ - BERNOUX Philippe (2004).- Sociologie du changement dans les entreprises et les organisations.- Op. Cit.

⁴¹ - DOMINIQUE Gérard (1997).- Eloge du changement, leviers pour l'accompagnement du changement individuel et professionnel.- Op. Cit.

sera chargée de gérer l'ensemble de cette démarche. La composante de cette équipe se fera à partir des acteurs jugés favorables au changement.

3-1- La communication pour obtenir l'adhésion

Les réactions sont largement conditionnées par la mise en œuvre des changements. On s'aperçoit donc de l'importance d'un accompagnement du changement dans le processus d'adhésion. Le manque d'information et l'absence de justification d'un changement vont générer chez les individus déjà naturellement stressés face au changement, un sentiment d'incertitude et d'insécurité qui favorisera les attitudes de résistance. Pour donner une chance au changement de réussir et de minimiser ces résistances, il faut assurer l'adhésion du maximum d'acteurs dans le processus du changement. Pour cela, les initiateurs du changement doivent introduire dans leur projet de conduite du changement, un plan de communication pour expliquer les objectifs, les enjeux, les leviers d'action et le choix du modèle de changement. Ils doivent aussi faire comprendre aux acteurs de la bibliothèque les enjeux, les étapes, les échéances du changement, les risques de l'immobilisme et l'intérêt à trouver dans changement. Le plan de communication doit accompagner le processus de changement, éclairer les zones sombres et présenter une vision futuriste claire.

En période de changement, la communication doit être intensifiée. Les responsables de la communication ne doivent pas faire l'économie de moyens. Tous les moyens doivent être actionnés pour éclairer, justifier et faire partager le projet. Ils ont à leur disposition, différents outils de communication (documentation, affiches, dépliants, sites web et forums, conférences et réunions, organisation d'événements et meeting, publications de textes, séances de projections, etc.). Leur utilisation se fera en fonction du caractère plus ou moins collectif de la cible et de l'interactivité souhaitée. Pour chaque population identifiée, ces différents outils seront mobilisés dans le cadre de la réalisation d'un « mix-com » c'est-à-dire, « le bon message, au bon moment avec le média le plus approprié ».

Le résultat de cet effort de communication dépend non seulement des moyens mis en œuvre, mais aussi de la continuité, du sens et de la force du discours communiqué. Il ne suffit pas simplement de communiquer (« je l'ai dit, donc c'est compris »). En période du changement managérial et organisationnel, les salariés sont souvent très attentifs au discours des dirigeants. Ils expriment souvent une forte demande d'informations et d'explications. Tout est écouté et analysé avec soin. La communication ne doit pas les décevoir. Elle doit tenir compte des éléments d'interprétation de chacun d'eux. Sa finalité doit être définie au préalable. Le contenu du message doit faire référence avec clarté à la stratégie, au changement que la bibliothèque connaîtra, aux conséquences de celui-ci sur leur travail et sur leurs vies professionnelles. Autrement dit, elle doit se porter sur les conséquences du changement, détectées sur leurs postes de travail, sur leurs carrières, les avantages qu'ils auront, etc. La communication doit refléter l'engagement des dirigeants de la bibliothèque pour mener à bien le projet. Elle doit montrer leur volonté et leur détermination.

Au début du projet, les messages diffusés doivent être simples et présenter clairement, les objectifs, le pourquoi, les enjeux du projet et ses grands traits afin qu'ils soient compris par tous. Au cœur du projet, la communication doit aborder le détail, il ne faut surtout pas induire de fausses idées, il faut gérer « à chaud » les situations de crise. La communication doit surveiller et faire évoluer l'image que les personnes ont du sujet. Elle doit changer les représentations dans le sens de favoriser le changement. Elle doit aussi aider à changer les attitudes négatives face au changement et promouvoir les attitudes positives. C'est donc dès la prise de décision initiale que la communication doit accompagner le changement, et non pas seulement en fin de cycle, lors de sa mise en application.

3-2- La formation pour favoriser la compréhension

Alors que la communication vise l'acceptation, la formation se donne comme objectif l'appropriation du nouveau dispositif par ses utilisateurs, qui devront s'en servir à bon escient, c'est-à-dire,

rapidement et correctement. Même lorsque les technologies, méthodes de travail sont acceptées, elles ne sont pas pour autant bien assimilées et utilisées. Il est donc important de s'assurer qu'une formation sur les fonctionnalités mais aussi sur les avantages d'un outil ou d'une organisation a bien été promulguée à l'ensemble des acteurs impactés.

La formation est l'un des leviers du système d'animation. Elle permet d'éviter une éventuelle résistance due à l'appréhension de ne pas être à la hauteur des exigences de la nouvelle organisation et des Tic, de faciliter l'insertion des travailleurs dans le nouveau dispositif mis en place et de les adapter à l'usage des Tic. Le plan de formation va donc permettre aux employés de s'adapter aux différentes évolutions induites par le changement en termes de pratiques managériales, de communication, d'évolution du métier de bibliothécaire et de changement technologique. Il permet également de modifier des représentations et des approches collectives du changement. Lors de l'élaboration du plan de formation, l'entente entre les opérationnels et l'équipe du projet est importante et indispensable. Les formations ne doivent pas se concentrer uniquement sur l'outil, mais également sur les métiers, les modes de fonctionnement et les procédures. Tous ces facteurs doivent être pris en compte afin que la formation joue correctement son rôle de levier.

Conclusion :

L'évolution rapide de l'environnement des bibliothèques, sa complexité et l'incertitude qui le caractérise, font que le changement ne peut plus être géré par un management classique de type taylorien, mais nécessite une approche globale qui tienne compte de l'ensemble

des aspects organisationnels et des actions spécifiques et temporaires. La notion de conduite du changement ouvre ainsi la gestion aux concepts socio-organisationnels et à l'importance à accorder aux acteurs, à leurs réactions. Ce sont là des sources potentielles de résistance dont il convient de tenir compte dans le pilotage du changement. Elles déterminent, en grande partie, les comportements des acteurs dans le changement et leurs résistances propres. L'aboutissement aux objectifs assignés au changement est conditionné par le degré d'acceptation, de coopération et d'implication des employés dans le projet du changement. Pour assurer cette implication, le changement doit être pensé en termes de méthodologie de conduite. Construire le changement sans l'enrichissement des idées des utilisateurs et des acteurs concernés constitue un vice majeur. Ceci étant, il est donc du devoir de chaque gestionnaire de gérer les relations hommes/contraintes pour obtenir la synergie nécessaire à la réussite du changement dans sa bibliothèque.

Bibliographie :

- 01- Ader, M. - Le Choque informatique.- Paris : Ed. Denoël, 1984.
 02- Agocs, C. - Institutionalized resistance to organizational chance: Denial, inaction and repression. - In: *Journal of Business Ethics*. - Juin, vol. 16, n° 09, 1997.

- 03- Avorek, J. - Time may change me. - In: *Review Incentive*. - Vol. 174, n° 12, pp: 24-27, 2000.
- 04- Bareil, C. et Savoie, A.- Qui dit changement, dit préoccupation et non plus résistance.- In : G. Karnas, C. Vandenberghe et N. Delobbe (Dir.).- Bien-être au travail et transformation des organisations: actes du 12^{ème} congrès de psychologie du travail et des organisations, tome 3.- Louvain : P.U., 2003, pp : 541-551.
- 05- Bareil, C. et Savoie, A.- comprendre et mieux gérer les individus en situation de changement organisationnel.- In : *Revue internationale de gestion*.- Septembre -Décembre 2000.- pp.145-162.
- 06- Boneu, F. [et al.].-Piloter le changement managérial.- Ed. Liaisons, 1992, 175 p.
- 07- Bernoux, Philippe.- Sociologie du changement dans l'entreprise et dans les organisations.- Paris : Seuil., 2004
- 08- Coch, L. et French, J.R. (1947).- Overcoming resistance to change.- In : *Revue Human Relations*.- Vol. 1, 1974, pp: 512-532.
- 09- Colletette, P., Delisle, G. et Perron, R. - Le changement organisationnel : théorie et pratique.- Québec : P.U.F., 1997,169 p.
- 10- Colletette, P., Delisle, G. et Perron, R. - Le changement organisationnel : théorie et pratique.- Québec : P.U.F., 1999, 169 p.
- 11- Crozier, Michel et Friedberg Erhard.- L'acteur et le système.- Paris : Ed Seuil, 1977, p. 383
- 12- Dominique, Gérard.- Eloges du changement, leviers pour l'accompagnement du changement individuel et professionnel.- Paris : Ed. Village mondial, 1997.
- 13- Gagné, François.- Vicissitudes d'une expérience de changement planifié basé sur l'évaluation des enseignants par leurs étudiants.- In : Tessier, R. et Tellier, Y.- Changement planifié et développement des organisations.- Montréal : IGF, 1973, 681p.
- 14- Gutknecht, M. - The organization and Human resources sourcebook. - University Press of America, 1990. - 405 p.
- 15- Igarria, M. et Chakrabati, A. (1990).- Computer anxiety and attitudes towards microcomputer use.- In: *Review Behaviour and Information Technology*.- Vol. 9, 1990, pp : 229-241.
- 16- Jabès, Jack.- Changement et développement organisationnel.- In : Aubert, Nicole [et al.]- Management : aspects humains et organisationnels.- Paris : PUF, 1999, p.598.

- 17- Lamb, M. C. (1999). - Implementation change in the National Health Service. - In: *Journal of management in Medicine*. - Vol. 13, n° 05, 1999, pp: 69-76.
- 18- Lueddeke, G. (1997). - Telecommunication in education and training and implications for the communications and information technologies. - In: *Review Education and training*. - Vol. 39, issue 7, 1997, pp: 59-66.
- 19- Macadam, C. (1996). - Addressing the barriers of managing change. - In: *Management Development Review*. - Vol. 9, n° 3, 1996, pp: 39-43.
- 20- Maillet, L. - Psychologie et organisation: l'individu dans son milieu de travail. - Montréal : Agence d'Arc, 1993, 350 p.
- 21- Marjanovic, O. (2000). - Supporting the soft side of business process reengineering. - In: *Business Process Managing Journal*. - Vol. 6, n° 01, 2000.
- 22- MARQUIE J. C., THON B. et BARACAT B.- Age influence on attitudes of office workers faced with computerized technologies.- In: *Applied ergonomics*, vol. 24, n° 3, 1994, pp.: 130-142.
- 23- Perren, L. - Resistance to change as a positive force: its dynamics and issues for management development. - In: *Revue Career Development International*. - Vol.1, Issue 4, 1996.
- 24- Rondeau, A. (2002). - Transformer l'organisation: vers un modèle de mise en œuvre.- In: R. Jacob, A. Rondeau et D. Luc.- *Transformer l'organisation*.- Montréal : HEC, 2002, pp : 91-112.
- 25- Sainsaulieu, Renaud [et al].- L'Intervention du sociologue dans l'entreprise.- Paris : Dalloz, 1992.
- 26- Scharmehorn [et al].- Comportement et organisation.- Québec: Ed. Du renouveau, 1994.- 571 p.
- 27- Schneider, D.M. et Goldwasser C. (1998). - Be a model leader of change. - In: *Management Review*. - Vol. 87, n° 3, 1998, pp: 26-41.
- 28- Scott, C.D. et Jaffe, D.T. (1989).- *Managing organizational change: a practical guide for Managers*.- California: Crisp Pub., 1989, 71 p.
- 29- Senge, Peter, Klainer, Art, Roberts, Charlotte [et al].- *La danse du changement : Maintenir l'élan des organisations apprenantes*.- First Edition, p.19.